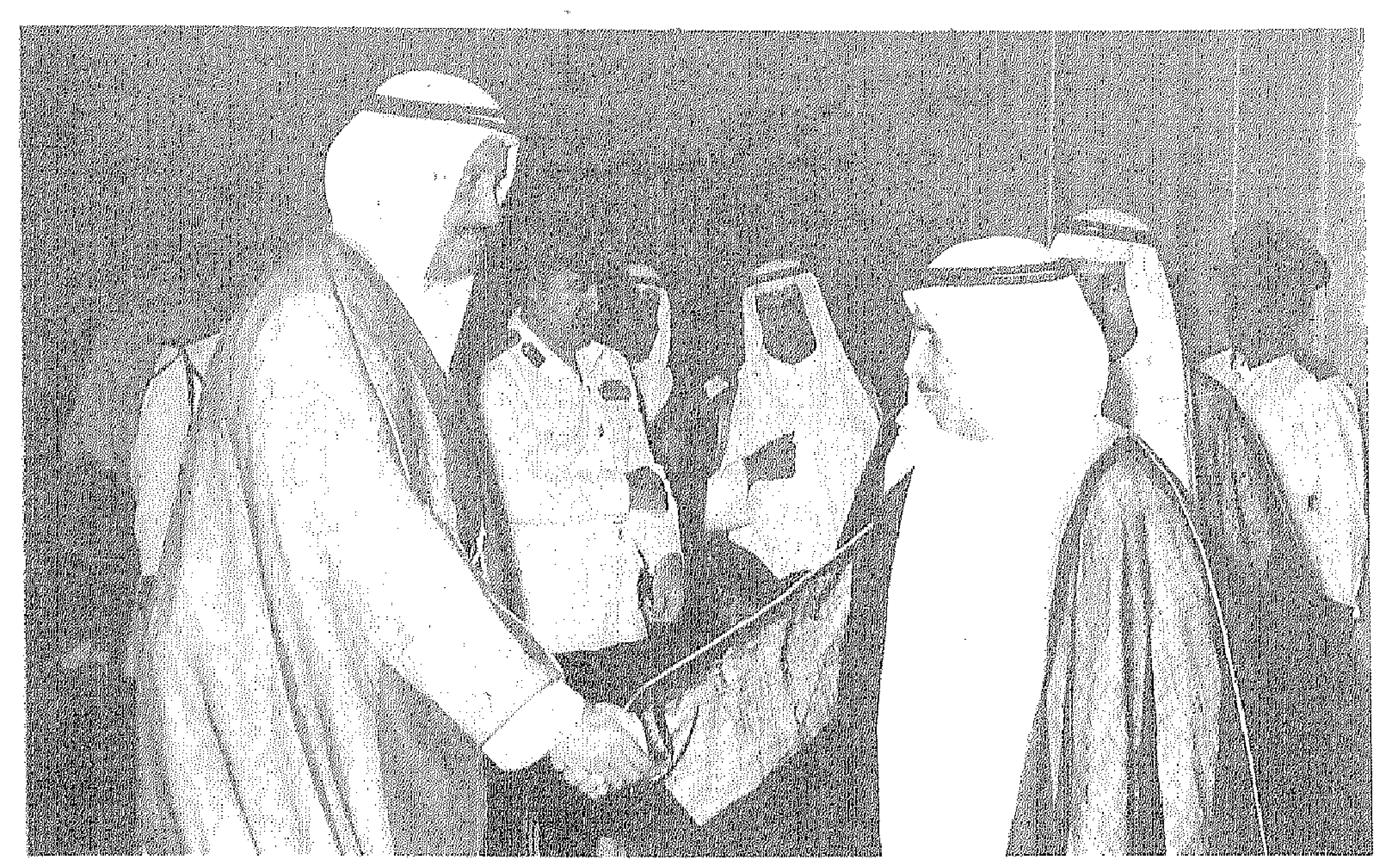
الوعي الاسلامي

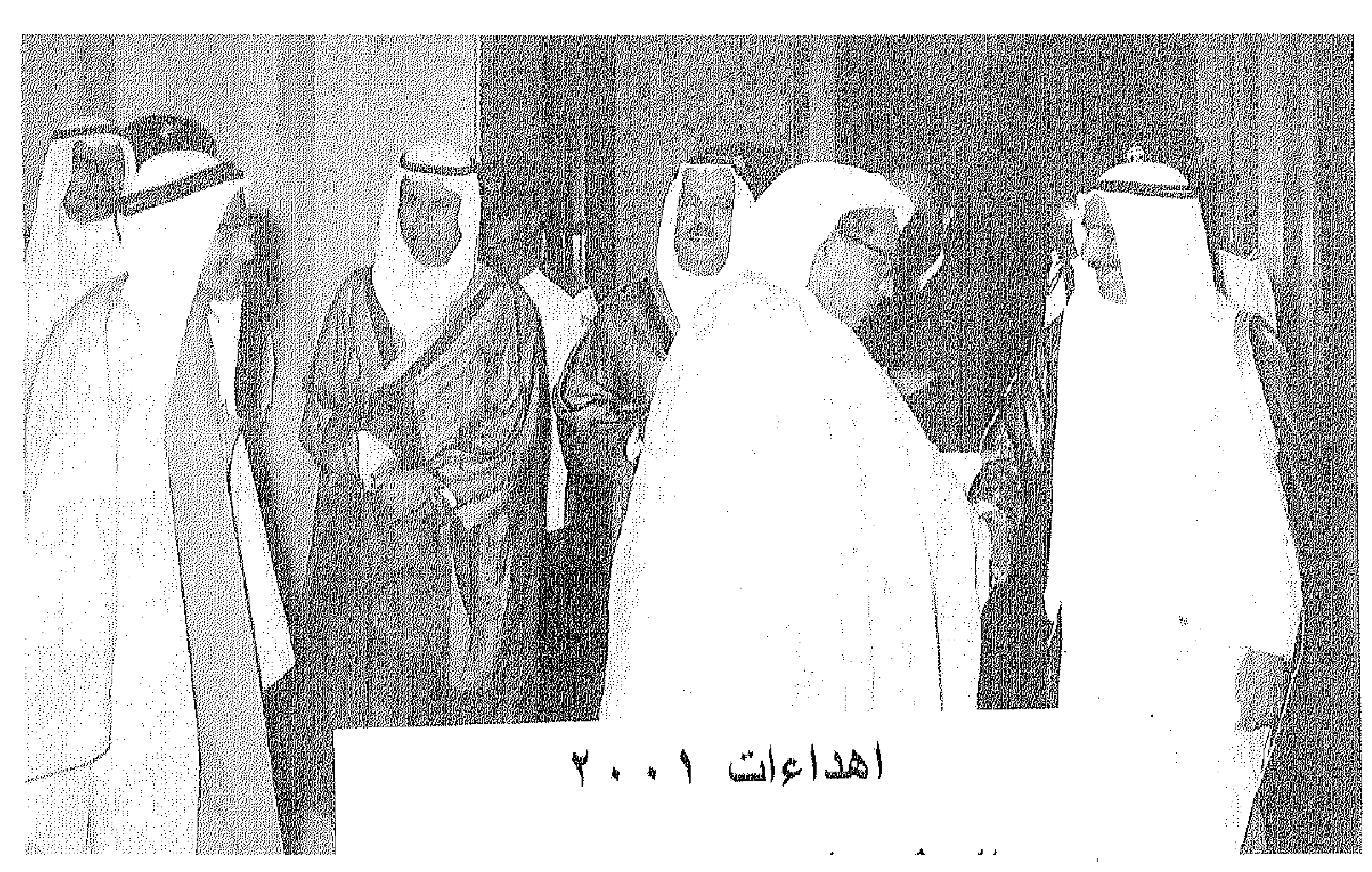
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٨٢ ـ غرة شوال ١٣٩١ هـ ـ ١٩ نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧١ م

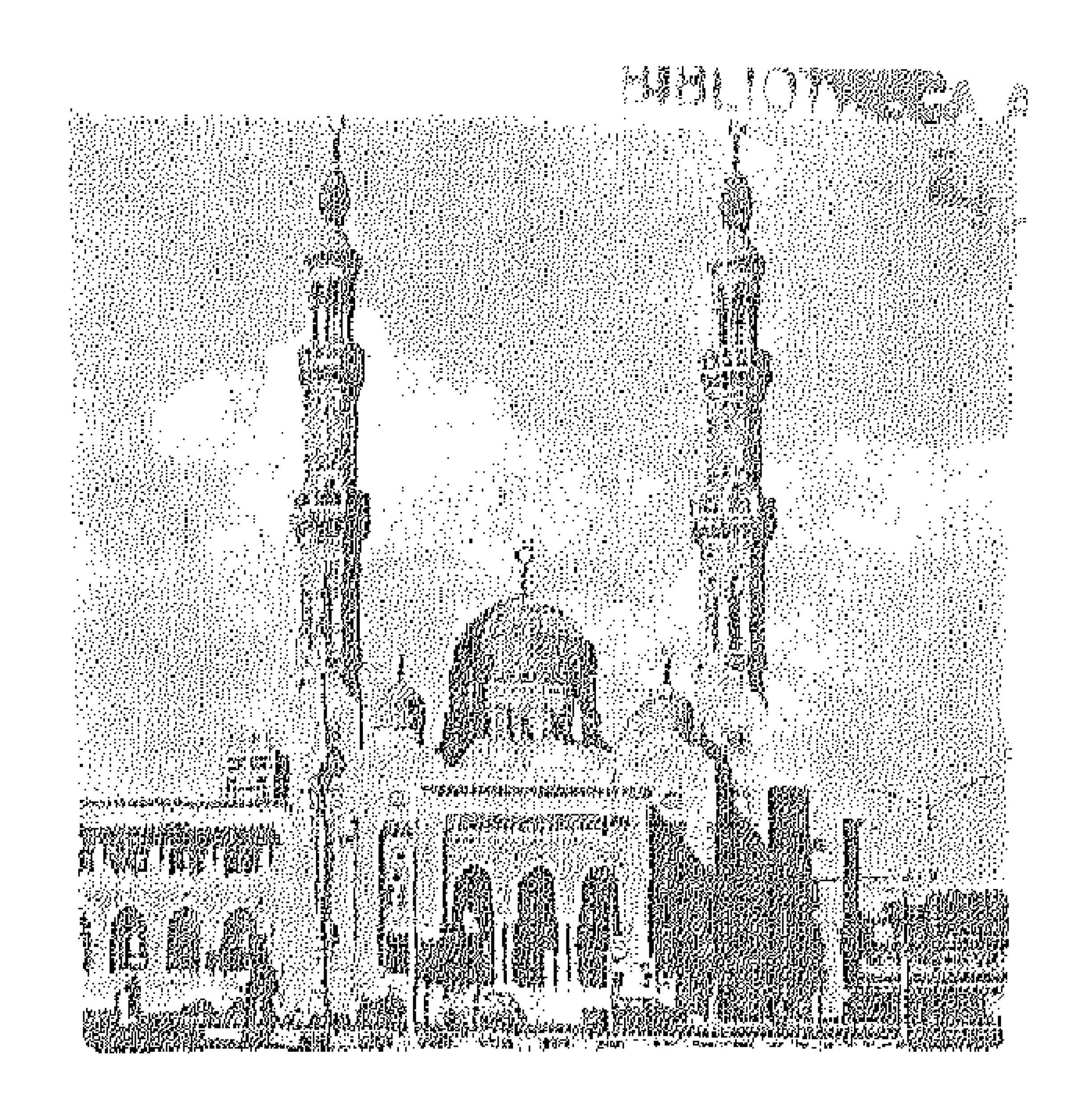




استقبل سمو الامير المعظم بقصر السـيف العـامر عـددا من الشيوخ والـوزراء ورجال السلك الدبلوماسى واعيان البلاد ورجـالاتها وجمـاهير غفيرة من الشعب الكريم وذلك لتقديم التهانى الى سموه بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو فى الصورة سمو الامير يصافح رئيس الحرس الوطنى الشيخ سالم العلى السالم .



احد الموا … و الاميـر المعظم
بمناسبة حلول



مسجد صلاح الدين بالقاهـــرة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السـنة السـابعة

العـــدد الثانى والثمانون

غرة شوال ١٣٩١ هـ

١٩ نوفمبر « نشرين الثانى » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمـــن

الكـويت	٥٠	فلســا
السعودية	١	ريـال
العـراق	٧٥	فلســا
الاردن	٥٠	فلســا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر		دينــار وربع
المغـرب		درهم وربــع
الخليج العربى	١	روبيــة
اليمن وعدن	٧٥	فلســا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشــا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركـون راسـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنــوان المراسلات

مدير ادارة الدعــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب : ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

سمو الأمير المعظم

يفتتح الدورة الجديدة لمجلس الأمة

كان يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧١ م يوما مشهودا من أيام الكويت الخالدة ، ففي صباح هذا اليوم الأغر تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح الدور الثاني للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة وسط احتفالات رسمية وشعبية ، وقد استهلت جلسة الافتتاح بتفضل سموه — حفظه الله — بالقاء توجيهه الى السادة النواب ، ثم ألقى سعادة رئيس المجلس كلمة رحب فيها بحضرة صاحب السمو الأمير المفدى ثم ألقى حضرة صاحب السمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميري الذي جاء معبرا عن سياسة الدولة على الصعيدين الخارجي والداخلي ، وفيما يلي التوجيه الكريم :

بعونه تعالى وتوفيقه نفتتح في شهر رمضان المبارك دور الانعقاد العادي الثاني من الفصل التشريعي الثالث لهذا المجلس .

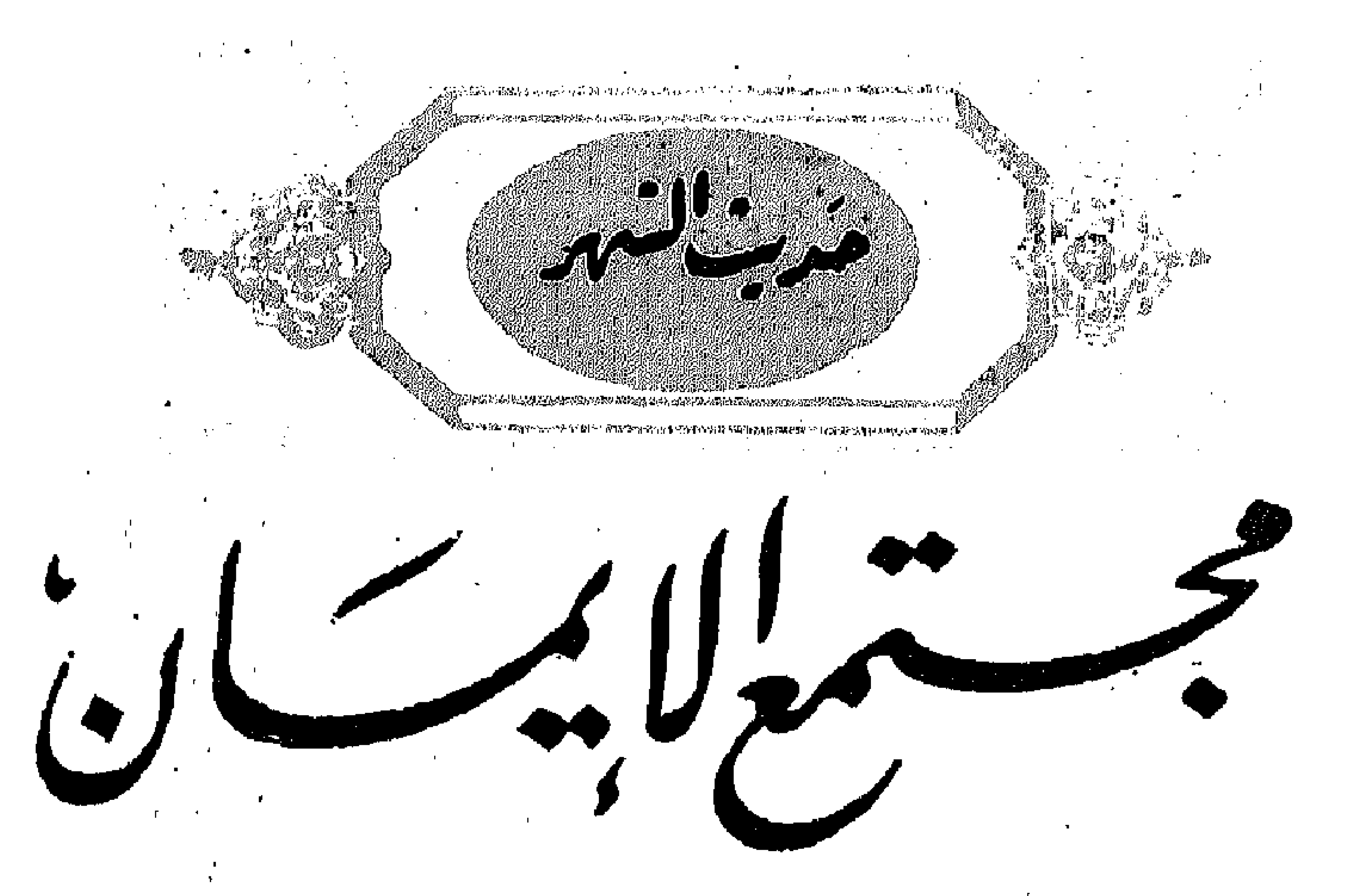
أبنائي أعضاء مجلس الأمة :

انكم تبدأون هذه الدورة في فترة حاسمة بالنسبة لأمتنا العربية وقضاياها المصيرية .. وعلينا أن نكون يقظين ومستعدين لمواجهة أي طارىء .. وان هذه الأمة التي صمدت في وجه العديد من التحديات والشدائد عبر تاريخها الطويل لن تعجز عن التغلب على محنتها الحالية ، باستعادة حقوقها وتحرير الأجزاء المحتلة من أراضيها ، متى عقدت النية على ذلك .. وانها لفاعلة باذنه تعالى .



سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح يلقى كلمة الافتتاح .

ولن تثنينا هذه القضية المصيرية عن مواصلة جهودنا فى الداخل لتطوير بلدنا طبقا لمتطلبات العصر فى كافة المجالات .. وانى واثق من أنكم فى مناقشاتكم لمشروعات القوانين المختلفة التى ستحال اليكم فى هذه الدورة ، وفى ممارستكم لصلاحياتكم النيابية الأخرى لن تهتدوا الا بهدى الصالح العام وحده ، صالح هذا البلد وصالح أمتنا العربية والاسلامية الخالدة . والله يوفقكم ، ويكلأنا برعايته .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..



مجتمع الايمان

أمنية كل انسان أن يعيش في مجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الأمن والسلام . وتقوم فيه المحبة والاخوة بين الناس مقام القانون .

وهذه الأمنية طالما راودت خيال الفلاسفة والحكماء من قديم الزمان ، فكدوا عقولهم واجهدوا انفسهم في التخطيط والتنظيم لهذا المجتمع الخير الفاضل ، ولكنهم وقفوا عند حدود الألفاظ والكلمات ، ولم يجاوزوها الى التنفيذ والتطبيق .

وجاء من بعدهم اقطاب السياسة والقانون والاجتماع في مختلف العصور ، فقننوا وشرعوا واعلنوا المواثيق ، ووقعوا المعاهدات وانشاوا المنظمات ، وعقدوا المؤتمرات ، وحشدوا كل الطاقات لضمان حقوق الانسان واحلال التعاون والتراحم محل التقاطع والتخاصم فماذا كان حصاد تفكيرهم ونتاج جهودهم .

كان ما ترى وما نعيش فيه . عالم يسوده الخوف والقلق ، ومجاعات تهدد اكثر من نصف سكان العالم ، وبيض يقتلون السود ، ومجازر بشرية هنا وهناك ، وحروب دامية لا غاية من ورائها الا حراسة مطامع الاقوياء ، واستبقاء سيطرتهم على ثروات الضعفاء . واقرب مثل الينا شعب فلسطين ، واغتصاب ارضه ، وتشريد أهله ، وما حل به من مظالم ونكبات يسود لها وجه التاريخ . فأين المواثيق والعهود . أين الحرية . أين العدالة . أين الأمن والأمان . أين التعاون والتراحم . لا وجود لشيء من هذا الا في الفاظ معسولة وسطور مكتوبة وقرارات معطلة . النتيجة المنطقية لهذا الواقع الرهيب ان تخطيط البشر وقوانين البشر ومناهج البشر فشلت في ايجاد مجتمع فاضل وتربية جيل صالح يتعايش أفراده في ظلال الرحمة والحب والاخاء .

بعد هذا نتساءل أين يوجد هذا المجتمع وعلى اى اساس يقوم ، وهل وجد فعلا ؟ . لقد اقام محمد صلى الله عليه وسلم هذا المجتمع الفاضل وربى أصحابه على المنهج السماوى فكان المجتمع الذى زكاه رب العالمين ، وكان الجيل الذى شهد له احكم الحاكمين ((كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

كان مجتمع الحج الذى لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال .. والمسلمون يغفلون عن النظر والتفكير في مجتمع الحج كل عام ، وهو مجتمع كبير وفريد يبلغ عدد افراده قرابة المليون نسمة ، فيه من كل الشعوب والأجناس . من كل البيئات والأقاليم . من كل اللغات والألوان والطبقات فيه من

الأصقاع الباردة والمناطق الحارة والاقاليم المعتدلة . فيه من البيئات الصحراوية والزراعية والصناعية . فيه من الجبال والسهول والوديان . فيه الابيض والاصفر . فيه الغني والفقير والقوى والضعيف . فيه الرجل والمرأة ، ولكل بيئة أثرها فى الطبع والاخلاق . فيه الهادىء الطبع والحاد الطبع ، فيه الحليم والغضوب . فيه انماط من الناس مختلفون ، ومع هذه الفروق فان هذا المجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الامن والسلام ، ويقوم على التراحم والتعاطف والتعاون ، فاين ذهبت هذه الفروق . ذابت كلها أمام عقيدة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله هذا هو الاساس الذى قام عليه هذا المجتمع ، وهذا هو الرباط الذى يربط بين أفراده . فلا اقليمية ولا جنسية ولا عصبية ولا طائفية ولا مذهبية . آخت كلمة التوحيد بينهم حتى كانهم اعضاء أسرة واحدة ، بل اعضاء جسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، فالتعاطف بينهم يبلغ أشده . حتى لترى الدموع تنهمر عند اللقاء لانه لقاء الاخوة فى الايمان ((انما المؤمنون اخوة)) .

طابع هذا المجتمع الصدق . الصدق فى كل شىء . الصدق فى القول والعمل فى الجهر والنجوى فى السر والعلانية فى البيع والشراء ، فلا نفاق . ولا رياء ولا تظاهر ولا غش ولا خداع لا يكذب فيه الانسان على ربه ولا على نفسه ولا على الناس .

طابع هذا المجتمع المسلم الامانة والامانة التى تصل الى ذروتها مما ليس له مثيل فى جميع مجتمعات العالم . يترك الحاج ماله او متاعه فى الطريق أو فى مكان عام أو خاص فلا تمتد اليه يد غير يد صاحبه ، بل ولا تحدثه نفسه بالاستيلاء على ما ليس له .

طابع هذا المجتمع العفو والصفح والتسامح واحتمال الهفوات والتجاوز عن الزلات ومقابلة السيئة بالحسنة .

وفى هذا المجتمع تسود عاطفة التراحم وحب البذل والسخاء . نجد الحاج يدور بنفسه يبحث عن المحتاجين المتعففين وينقب عن المعوزين المستورين . يفرج كربتهم ويسد خلتهم فى ستر وحياء وهو فرح بما ياخذون .

المال الذى يتحرك فى يد هذا المجتمع مال طيب وكسب حلال لا شبهة ولا ريبة فيه . النظام والتوقيت واداء الواجب فى موعده المناسب هو القانون الذى يسير عليه هذا المجتمع هذا المجتمع لا يعرف الفحش ولا الفسوق . طابعه العفة والطهر ، تلبس فيه المرأة ثيابها السابغة الساترة ، وتؤدى مناسكها مع الرجال جنبا الى جنب ، فلا تلمح نظرة خائنة ، ولا لفتة ماجنة ولا كلمة نابية ، ولا تبرجا جاهليا .

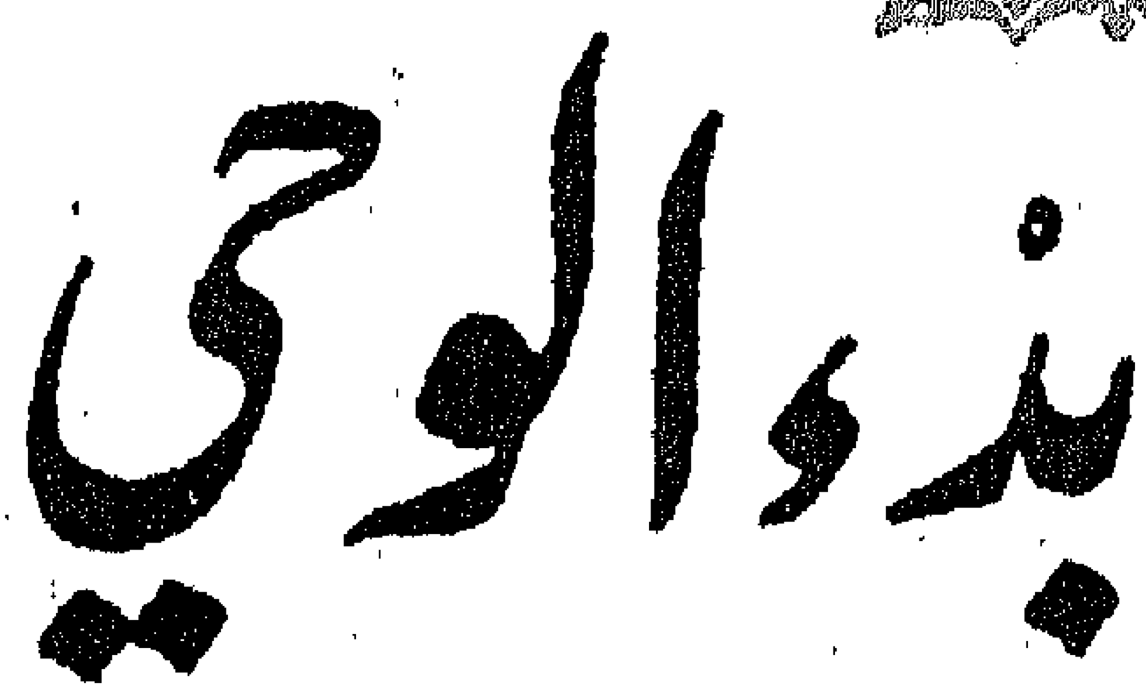
هذا هو مجتمع الحج وهو مجتمع مثالى نموذجى قام على الدين وعاش بالدين وتحرك فى حدود تعاليمه والتزم اخلاقه وآدابه بوحى من عقيدته لا محرك يحركه الا مرضاة الله ولا حاجز يحجزه الا مراقبة الله والخوف منه .

فهل يعى ذلك المسلمون ، وهل يقتنعون بانه لا صلاح لامرهم الا باتباع صراط الله ((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

من هدي السنة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت



من عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها انها قالت :

« اول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو « التعبد » الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، فقلت : ما انا بقارىء ، قال : فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى ، فقال : اقرأ فقلت ما انا بقارىء ، فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى فقال اقرأ : فقلت ما أنا بقارىء فاخذنى فغطنى الثالثة ، ثم ارسلنى ، فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم » فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفى ، وفتر الوحى » ..

— رواه البخاري —

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، فالذين اصطفاهم الله جلت قدرته لحمل رسالاته الى البشر هم القمة العليا في الانسانية ، لا يدرك مداهم ، ولا يبلغ شأوهم ، ولا تنال بالاكتساب درجاتهم ، فهم أساة القلوب ، وهداة النفوس ، وقادة الخير ، ودعاة الفضل ، ودعامة كل كمال ، لهم القدح المعلى في زيادة السعادة ، منشودة الادميين وضالتهم ، تلك السعادة التي يريدها الله تبارك وتعالى لخلقه وهو اعلم بمكامنها ومدارجها ، وسيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام في القمة من صفوة الرسل ، هو خاتمهم ، وشريعته سيدة شرائعهم ، جمعت افضل ما جاءوا به من عند ربهم ، وقفت على آثارهم بما اراد الله ان يكون كفيلا بحاجة الناس في معاشهم ومعادهم ، وكلما ارتفع قدر الشيء كلما غلا ثمنه وعز مطلبه ، وبعد مناله ، والسائرون في السفح تلتوى رقابهم ليروا القمة وتعيا بهم اقدامهم فلا يصعدوا اليها ، فيحاولون النيل منهسا بذمها ، وينسجون القصص ويشبعون الخيال في الحديث المسيء الى ما اشتملت عليه ، وما اكنته مما لم يدركوه ، ومقام النبوة مقام له سموقه واسراره وقداسته ، حاول كثيرون ممن لم يحترموا عقولهم ، ولم يضعوا انفسهم في مكانها اللائق ان ينالوا من ذلك العلم الاشم فوهنوا وضعفوا ووقعوا صرعى حيث هم ، وكان مما اوردوا شبها واهية حول الوحي والرسالة ، ولا اطيل الوقوف مع هؤلاء المغرضين هنا ، وانما اسوق حديثا يصف واقعا من وقائع ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حدث له ، يرى القارىء صورة لذلك المختار لحمل اضخم رسالة واقوى دعوة متحملا اعنت المعارضات ومقابلا قحة الحاقدين بنور يبهر وضياء لا يقهر ، وقد تمثل في سلوكه قبل الرسالة الجلال كله ، والفضل جميعه فنعت الصادق الامين من الاقربين والابعدين ، من الاعداء والاصدقاء ، ولما ضاق بالبيئة العمياء عن الهدى ذرعا تحنث في الغار وتعبد ، وهجر رواد الأصنام ، واعتزل مجالهم وخلا بروحه وسما بنفسه وبعد عن مدارج القوم وعاف مسالكهم ، وكان هذا إرهاصا بما سيكون له من شأن ، وما سيحمله من هدى ورحمة للعالمين ، وصقلا ربانيا لتلك النفس الابية الطاهرة لتكون على مستوى خاص يريده رب العالمين ، وبارىء الكون ، فربطه بجلاله في يقظته ومنامه فيقظته عليه افضل الصلاة والسلام تأمل وتدبر لهذا الكون ويحث عن اسراره ، وفي منامه يمد له خيط النور الذى سيقوى ويبدد الظلام ، وياتى على ديجور هذه المخلوقات الهائمة على غير رشد وليأخذ بيدها الى حيث ربها وبارئها الى دار تزخر مجتمعاتها بالتراحم والسلام ، وتنتفى زيف أم دفر وضلالها ، وفي هذا المقام لن اعيى القارىء بايراد شبه وتفنيدها ولكن سأمر به في رحاب هذا الحدث الضخم المتصل بسيد الرسل والمشتمل على ما أعيا جهد ارباب الفكر ، وما لو سلكوه طريقا هاديا ، ولو اتخذوه إماما وراشدا وعضوا عليه بالنواجذ لكانوا كما اوضح محكم التنزيل خير مصادر الخير التى اخرجت للعالمين .

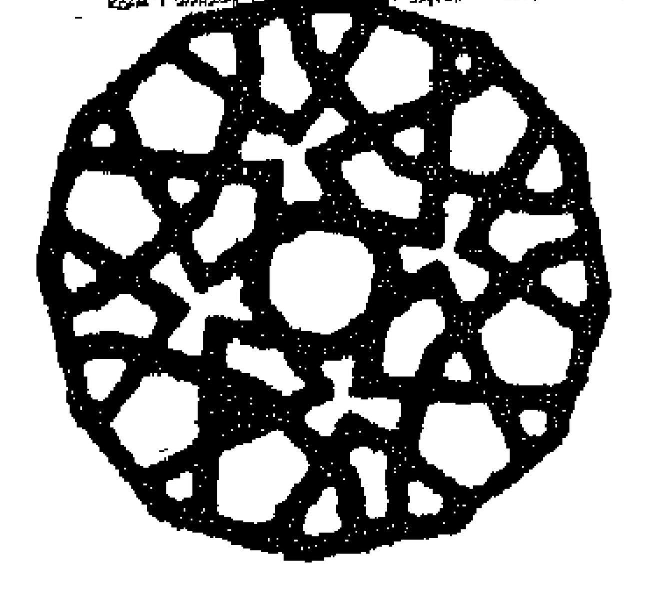
في هذا الكلم الطيب الذى قصته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن قريناتها شرح وايضاح للطريق الذى سلكته دعوة الله الى رسول الله ان يحمل ما حمل وان يبلغ ما كلف بتبليغه ، وكيف بادهه الوحي ، وان رؤيا الانبياء وحي والوحي إعلام من اصطفاهم الله من عباده بكل ما اراد إطلاعهم عليه بطريقة خاصة اتخذت اشكالا متعددة كلها بعيدة عن ادراك الانسان لو ترك ونفسه ، وقد كان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتدأ في المنام كما تحدث هنا أم

المؤمنين ، ثم تنوع كما صوره رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين أجاب سائله كيف يأتيك الوحى فقال : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، وفى النص الذى نحن بصدده هنا أن رسول الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام فوجىء على غير انتظار بمن يدعوه الى شىء لا يحسنه ولم يلم به وهو القراءة ، ويناديه من حيث لا يتوقع نداء مؤكدا عليه أن يقرأ ويقرأ فيرسم بذلك خطة المستقبل وأنه لا حياة بلا علم ولا علم بدون قراءة وتعلم وان أول معلمى هذه الامة الامية هو أعظم خلق الله قدرة على تلك الاستاذية الفذة فى بابها العجيبة فى توجيهها ، الغريبة على الناس فى بدايتها ومنتهاها . وحين يذكر سيدنا رسول الله حقيقة واقعه لمناديه السماوى وأنه لا يدرى ما القراءة يجيبه : اقرأ باسم ربك ، فأنت لا تقرأ بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك ، ومعونته فهو يعلمك كما خلقك ، وسيعلم أمتك فتخط بالقلم بعد أن كانت أمة أمية ويعيد الرسول جوابه بنفى القراءة وأنه لا يعرفها ويتكرر عليه الامر بها وهنا يضمه مناديه بصورة لا يعلمها الا الله ولا يدرى كنهها الا موجدها ، ويغط الرسول صاحبه ، « والغط هو العصر الشديد والكبس » ، ويبلغ هذا الفعل من رسول الله الجهد ، ورجع الى سكنه وعبة سره ، والسيدة الاولى فى الاسلام خديجة بنت خويلد ورجف فؤاده يضطرب اضطرابا شديدا من هول ما رأى وما حدث له طالبا من أفضل النساء وأعزهم وأقربهم الى قلبه وأحناهم على ولد رضى الله عنها وعن بنيها وبناتها أن تزمله وتدثره وقد أصابته الحمى فارتعش البدن ، واضطرب الفؤاد ، وذهبت نفسه الشريفة شعاعا ، وجالت به التأملات كل مجال وهو لم يدر بعد أن هذه مقدمة رسالة ، ومبدأ وحى السماء ، وأول خطوة فى رحلة شاقة مضنية مع البشر العتاة الذين لا يرون الحق حقا ولا يدركون من حقائق وجودهم شيئا ، وهنا فى هذا الموقف العصيب ، وبعد دوى الحادث الرهيب وبين ذراعى السيدة المصطفاة زوجه له ، تلكم العاقلة الاريبة ، والفهمة اللبيبة ، التى أدركت — سابقا — بثاقب فكرها وذكائها وقوة بصيرتها أن هذا الفتى محمد ليس كالفتيان ، ولا هو من نماذج درجت أمام عينيها دهرا طويلا ، وانما هو من له شأن آخر لكنها لا تدرى تماما ما هو ذاك الشأن فاختارته زوجا . على بعد بينهما فى الثروة والمال ، ومفارقة فى السن والحياة ، واقترنت به رغم مجافاة ما فعلت لما عليه بنات جنسها فى كل زمان ، وقبل هو واستجاب لداعيها وعدها نعمة أنعمها الله عليه وقد كانت هذه هى خديجة بنت خويلد تضرب المثل الاعلى للزوجة ذى القلب الكبير ، والادراك النادر الشبيه ، المنقطع النظير ، الزوجة التى تعرف زوجها من خلال دراستها الفاحصة لسلوكه ، والتى تقيم حركاته وسكناته وتزنها بسمو أدركته منه هى وحدها ، عالمة أنها لا تساكن قرشيا اعتادته دروب مكة وشعابها ولا فتى يمر عابرا بحياة البداوة مجتازا قفارها ثم يمضى الى حيث ينسى ، وانما لمحت بمدركة نافذة تتمطى الظواهر الى اللباب ، وتغوص فى الاعماق على الدر النادر ، واللاللىء الغالية ، تلمح هذا بيسر ودون عناء فى اجابتها لسيدها حين أبدى لها القلق الذى يساوره ، والالم الذى يعتصر قلبه ، والخوف من نهاية غير مرتضاة والوصول الى نتيجة ليست هى مبتغاه من تحنثه الليالى ذوات — العدد وحيدا الا من الانس بربه ، وفريدا الا من عناية عالم السر وأخفى ، مقدمات أوردتها تلك السيدة الحبيبة الى قلوب رواد خير الدنيا وطلاب سعادة الاخرة ، وبنت عليها نتائج ما كذبت لأنها لم تحمل خسة القضايا الكاذبة وانما كانت موجهة دائما وكلية

دائما ، وتأمل أخى القارىء العزيز قولها وحسن ايرادها لما أوردت فهى تقول متعجبة من سيدها حين يخاف على نفسه ويخشى عليها السوء مـــن احتمالات أوردها الناظرون فى هذا الحديث واوصلوها الى اثنى عشر صنفا من بينها خشية الجنون والمرض ، أو خشية الاخفاق فيما كان يرومه ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يقر به فهما الى نفسه فضلا من غيره ، تعجب السيدة خديجة رضى الله عنهـــا الجديرة بحب سيد المرسلين وحفظه لذكراها حتى بعد التحاقها بالرفيق الأعلى وتسوق عليها رضوان الله تلك الكلمات الحلوة الجميلة الغنية حتى فى الفاظها بكل ما تدل عليه وما اتخذت منه علمها : كلا يا سيدى لا والف لا يا سيدى ، أعيذك من تلك الفكر ، فأنت الذى لا يخزيك الله ابدا فلك فعال ليس فى نتائجها ما تتصوره أو ما تتوقعه فأنت انت الذى يحمل الكل (يفتح الكاف) ويصل الرحم ، ويكسب المعدوم ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، وتلك لعمر الحق خـــلال ما اتصف بها انسان واضاعه الله أو تخلت عنه عناية ربه ، وانما هى دواعى الحفظ والرعاية من رب العالمين ، وسمو القدر والمكانة بين الناس أجمعين .

وهنا نمسك القلم قليلا فنور سيدنا رسول الله يغشى الأفئدة فيضيئهـــا ويغشى الضلالة ويبددها ، وحديث السيدة الحبيبة الى رسول الله والى قلوب المؤمنين يحتاج الى كثير من الوقوف فى رحابه ، ومزيد من الطرق لبابه ، زيادة على عظمة ما كان منها بعد ذلك مع سيد المرسلين ، ولهفتها على تطمينه واعادة السكينة الى قلبه وانى لأراها اشد حرصا على معرفة نتيجة ما حدث من أى انسان عاصرها أو جاء بعدها فذهبت رضى الله عنها مثلا عزيز المنال فى كمـــال العشيرة وجمال السكن وعظمة العقل الانسانى حين ينفتح وحين يؤمن بحقه فى الكرامة ، ومكانته فى الحياة الحرة العزيزة فالى لقاء قريب مع سيدة المؤمنين وسيدها رسول الله الى الناس اجمعين . والحديث موصول ان أذن رب كل شىء سبحانه .

دفاع عن
كتاب الله
تعالى



قضية الكلمات الأعجمية

في ضوء الدراسة والبحث

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم لغة ضعيفة في مفرداتها ، وتراكيبها ، والفاظها ومعانيها ، بل كانت لغة تحمل في طياتها عناصر الحياة ، وقوة التعبير ، وجمال الكلمة ، ورشاقة الألفاظ ، وغزارة المعاني .

أجل ، لم تكن اللغة العربية بلغت سن الشيخوخة ، يدب في اوصالها الوهن ، ويعتريها الضعف لتلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكنها كانت في طور الشباب ، قوية فتية ، تسحرك بألفاظها ، وتدهشك بمعانيها ، وتأخذ بمجامع قلبك ، حينما تصغي اليها في مجالات التعبير المختلفة : شعرا وخطابة ، ومحاورة ، وامثالا .

وهذه اللغة التي بلغت القمة في التعبير عن المعاني المختلفة ، المحسوسة أو المعقولة ، في الفاظ جزلة ، وعبارات متآخية ، وكلمات عذبة ، هذه اللغة نزل بها القرآن الكريم ، ليتحدى من يملكون ناصية هذه اللغة في مجال فصاحة الكلمة ، وبلاغة المعنى ، وجمال الاسلوب ، (فأقر جميعهم بالعجز واذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على انفسهم بالنقص الا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلف ما قد علم انه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن انه عليه غير قادر ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستورا ، ومن عى لسانه ما كان مصونا ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، فالخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة) (١) .

واستطاعت اللغة العربية أن تستقي من هذه المعجزة الخالدة ما أعانها على التطور العجيب في صيغها وتراكيبها ومفرداتها ، واساليبها ، فبلغت بالقرآن الكريم درجة من الرقي ليس بعدها درجة .

في القرآن الكريم

للدكتور عبد العال سالم مكرم

وقد لفتت هذه المكانة التى وصلت اليها العربية انظار كثير من المستشرقين المتعصبين منهم وغير المتعصبين ، فهذا (آرنست رينان) يقول فى كتابه : (تاريخ اللغات السامية) ما نصه : « من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحراء عند امة من الرحل تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل من الكمال الى درجة انها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى انها لم يعرف لها فى كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة » (٢) ، واعجبنى ما كتبه (جول فرن) فى قصة خيالية أشاد فيها بلغة القرآن ، ذلك لأنه بنى قصته الخيالية (على سياح يخترقون طبقات الكرة الارضية حتى يصلوا ، او يدنوا من وسطها ، ولما أرادوا العودة الى ظاهر الأرض بدا لهم ان يتركوا هنالك اثرا يدل على رحلتهم ، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل (جول فرن) عن وجه اختياره للغة العربية قال : انها لغة المستقبل ، ولا شك أنه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه » (٣) .

ولما كانت لغة القرآن الكريم لغة التحدى والاعجاز على هذا المستوى الرفيع من البلاغة والفصاحة ، فانى لا استطيع أن اقبل ما يدعيه بعض العلماء والرواة من أن القرآن الكريم اشتمل على كلمات اعجمية ، ليست عربية الصنع ، وقبل ان اعرض رايى في هذه القضية ارى أن ابسط آراء العلماء حولها ، ليكون القارىء على بينة من أمرها . ثم أختم بحثى برايى الذى اعتقده فى هذا الموضوع :

أ — أما الكلمات الأجنبية التى ثار حولها الجدل ، واحتدم النقاش ، فهذا بعض منها :

١ — ما ورد بلسان الحبشة : قال الطبرى : حدثنا عنبسة عن أبى

اسحاق ، عن أبى الاحوص عن أبى موسى : (يؤتكم كفلين من رحمته) (٤) قال : الكفلان = ضعفان من الأجر بلسان الحبشة .

وعن أبى اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « ان ناشئة الليل » (٥) قال : بلسان الحبشة : اذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ .

= وعن أبى اسحاق عن أبى ميسرة : « يا جبال أوبى معه » (٦) سبحي بلسان الحبشة .

وحدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله : « فرت من قسورة » (٨) قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : شار ، وبالحبشية قسورة (٨) .

وقال السيوطى فى الاتقان = الأواه = الموقن بلسان الحبشة : الدرى : المضىء : بلسان الحبشة (الجبت) : اسم الشيطان بلسان الحبشة (٩) . وقال الزركشى فى البرهان فى علوم القرآن : المشكاة : الكوة بلسان الحبشة (١٠) .

٢ — ما ورد بلسان الفرس :

الأباريق : جمع ابريق : التنور — الدينار : السرادق — الاستبرق : الزنجبيل .

٣ — ما ورد باللسان الرومانى :

الرقيم : اللوح ، القسطاس : العدل ، طفقا : قصدا .

٤ — ما ورد باللسان العبرى :

كيل بعير = البعير : الحمار . الأليم = المؤلم . درست = قرأت . هدنا = تبنا . راعنا = كلمة سب .

الرحمن : ذهب المبرد وثعلب الى انه عبرانى ، واصله الخاء المعجمة .

٥ — ما ورد باللسان القبطى :

الملة الأخرة = الأولى : والقبط يسمون : الآخرة : الأولى ، والأولى : الآخرة . بطائنها = ظواهرها : وراءهم ملك : امامهم . اليم = البحر .

٦ — السريانية : الطور — جبل .

٧ — اليونانية : سريا = النهر الصغير .

٨ — الزنجية : حصب جهنم : حطب جهنم : وقولوا حطة : صوابا .

٩ = النبطية : « رهوا : سهلا . سيدها : زوجها بلسان النبط ، قال أبو عمرو : لا أعرفها فى لغة العرب .

١٠ — كلمات مختلف فى نسبتها :

السجل : قيل حبشى ، وفى المحتسب لابن جنى : فارسى معرب .

السندس : قيل : رقيق الديباج بالفارسية ، وقيل الرقيق من الستر بالهندية .

١١ — كلمات إعجمية غير منسوبة . الرس : ومعناه البئر سلسبيل : عجمى (١١) .

وقد افرد السيوطى هذه الكلمات الأعجمية بالتصنيف ، وسماها (المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب) . وقد نظم تاج الدين السبكى منها سبعة وعشرين لفظا فى أبيات جاء فيها :

السلسبيل ، وطه ، وكورت ، بيــع
روم ، وطوبى ، وسجيل ، وكافور
والزنجبيل ، ومشكاة سرادق مــع
استبرق ، صلوات سندس طــور
كـــذا قراطيس ربانيهم ونمـــــارق
ثم دينار ، القســـطاس مشـــــهور
له مقـــــــاليد فردوس يعد كـــــذا
فيمـــا حكى ابن دريد فيه تنـــــور

وقد ذيل الحافظ بن حجر على هذه الأبيات ، وذيل السيوطى عليهما بالباقى وهو بضع وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة (١٢) .

ب) آراء العلماء حول هذه الكلمات :

١ = رأى من يقول انها اعجمية :

يستند هؤلاء فى هذا الرأى الى ماروى سعيد بن جبير قال : قالت قريش : لولا انزل هذا القرآن على رجل (أعجميا ، وعربيا) فأنزل اللــه تعالى ذكره : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » (١٣) فأنزل الله بعد هــذه الآية فى القرآن بكل لسان (١٤) .

وعن أبى ميسرة قال : فى القرآن من كل لسان » (١٥) .

ومن العلماء الذين يرون هذا الرأى الامام (الجوينى) ، ففى رأيه انه لا يستنكر وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، بل يرى ان له فائدة فى مجال البلاغة والبيان ، قد لا يشعر بها كثير من الناس ، لأنها تخفى عليهم بمــا تشتمل عليه من دقة البيان ، وسر الاعجاز . استمع اليه يقول مدافعا عن كلمة (استبرق) ما نصه : « فان قيل : ان اســـتبرق ليس بعربى ، وغير العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم ، وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك ، وذلك ، لأن الله تعالى اذا حث عباده على الطاعة ، فان لم يرغبهم فيها بالوعد الجميل ، ويخوفهم بالعذاب الوبيل ، لا يكون حثه على وجه الحكمة .. الى ان يقول : ثم ان الوعد بما يرغب فيه العقلاء ، وذلك منحصر فى أمور : الأماكن الطيبة ، ثم المآكل ، والمشارب ، ثم الملابس الرقيقة ، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع الملابس فى الدنيا الحرير ، ثم ان الثوب مــن غير الحرير لا يعتبر فيــه الوزن والثقل ، وربما يكون الخفيف أرفع من الثقيل الوزن ، وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع ، فحينئذ وجب على الفصـــيح ان يذكـــر الأثقل الأثمن ، ولا يتركه فى الوعد ، لئلا يقصر فى الحث والدعاء ، ثم ان هذا الواجب الذكر ، اما أن يذكر بلفظ واحد ، موضوع له صريح ، أو لا يذكر بمثل هذا ، ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى ، لأنــه أوجز وأظهر فى الفائدة ، وذلك (استبرق) ، فان أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ، ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه ، لأن ما يقوم مقامه ، اما لفظ واحــد أو ألفاظ متعددة . ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه ، لأن الثياب من

الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع فى اللغة العربية للديباج الثمين اسم ، وانما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، وندرة تلفظهم به ، واما ان ذكره بلفظين فأكثر فانه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأنه ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ — تطويل فعلم بهذا ان لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم به فى موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه (١٦) .

٢ — رأى من يقول : انها عربية :

على رأس هؤلاء الامام الشافعى رضى الله عنه ، فقد انكر كل الانكار ان تكون هذه الكلمات اعجمية الصنع ، لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين . ولا يمكن ان يصدق العقل ، او يطمئن القلب الى مثل هذه الروايات ، التى تدعى اعجمية بعض الكلمات ، فالقرآن الكريم فى نظر الامام الشافعى من الفه الى يائه عربى فصيح ، لم يستعر كلمة من غير لغة العرب ، لأنه ليس فى حاجة اليها ، بل احاط بهذه اللغة احاطة كاملة ، لأنه من صنع الله ، وصنع الله لا يتوقف على معونة فى كلمة او كلمات ، تقدم اليه من مختلف اللغات .

وكان الشافعى صريحا كل الصراحة فى هذا الاتجاه ، مومنا كل الايمان بهذا الراى . لدرجة أنه قدم النصيحة خالصة ، حارة ملتهبة لهؤلاء الذين يدعون ما يدعون ليتركوا هذا الانحراف فى الراى ، حتى يسلم لكتاب الله جلاله وسلطانه .

وانى اترك المجال للشافعى ، ليعرض علينا رايه ، معززا بالحجة ، مدعما بالبرهان ، قال الشافعى فى الرسالة :

« فقال منهم قائل : ان فى القرآن عربيا واعجميا » فرد الامام على هذا الادعاء بقوله : « والقرآن يدل على ان ليس من كتاب الله شىء الا بلسان العرب ، ولسان العرب اوسع الألسنة مذهبا ، واكثرها الفاظا ، ولا تعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى » الى ان يقول :

فان قال قائل : ما الحجة فى أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فى كتاب الله ، قال الله تعالى : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (١٧) فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد كانوا يرسلون الى قومهم خاصة ، وان محمدا بعث الى الناس كافة ، فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه ، وما اطاقوا منه ، ويحتمل ان يكون بعث بألسنتهم ، فهل من دليل على انه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ؟ ويرد الشافعى على هذا الاعتراض بقوله :

فاذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل فى اللسان المتبع على التابع .

وأولى الناس بالفضل فى اللسان من لسانه لسان النبى ، ولا يجوز والله أعلم أن يكون أهل لسانه اتباعا لأهل لسان غير لسانه فى حرف واحد بل كل لسان تبع للسانه ، وكل اهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه » .

بهذا المنطق القوي رد الشافعي هذا الاعتراض ، ولكنه لم يكتف بذلك فوثق هذا الرد بكتاب الله تعالى في وضوح يبدد الباطل ، وصراحة تكشف البهتان فيقول : وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه : قال الله : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » (١٨) ، وقال : « وكذلك انزلناه حكما عربيا » (١٩) وقال : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (٢٠) وقال : « حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٢١) وقال : « قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » (٢٢) .

قال الشافعي : فأقام حجته أنه كتاب عربي في كل آية ذكرناها ، ثم اكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آية من كتابه، فقال تبارك وتعالى : « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » (٢٣) .

وقال : « ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته اعجمي وعربي » (٢٤) ، ويختم الشافعي دفاعه عن كتاب الله تبارك وتعالى بهذه النصيحة الغالية فيقول : « فكان تنبيه العامة على ان القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، وادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه ، وترك موضع حظه ، وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بايضاح حق وكان القيام بالحق ، ونصيحة المسلمين من طاعة الله ، وطاعة الله جامعة للخير . » (٢٥)

بهذا الرد المقنع ، وبهذه النصيحة الخالصة دافع الامام الشافعي عن قضية عروبة هذه الكلمات ، دفاعا حارا لزم فيه المنطق القوى ، والحجة البالغة والدليل القرآني القاطع .

واني حرصت كل الحرص على تسجيل عبارات الشافعي بنصها في هذا المجال ، لأنها تحمل من حرارة الدفاع عن كتاب الله اكثر مما تحمل عباراتي .

وفي هذا الخط الذى رسمه الشافعي اتجه الامام الطبري في تفسيره هذا الاتجاه وكأنه بآرائه التي بسطها في هذه القضية يضع الدلائل الواضحة على صحة رأى الشافعي ، ذلك لأنه يرى أن هذه الكلمات الأعجمية ، اتفقت بألفاظها ومعانيها مع الكلمات العربية ، فليس من المنطق ان نقول : انها غير عربية بل هي عربية أعجمية : يقول الطبري : « ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما تتفق فيه الفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بمعنين معا ؟ ويقول أيضا ، كما قد وجدنا اتفاق كثير منهم فيما قد علمناه من الألسن المختلفة . وذلك كالدرهم ، والدينار ، والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه ، ويمل تعداده .

على أن الطبري لم ينكر هذه الآثار المروية عن ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، بل يقرر صحتها من وجه آخر ، غير ما يدعيه هؤلاء الذين يقررون أنها أعجمية فيقول : « فلو ان قائلا قال فيما ذكرناه من الأشياء التي عددنا ، واخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما اشبه ذلك عما سكتنا عن ذكره ، ذلك كله عربي لا فارسي ، أو قال : بعضه عربي ، وبعضه فارسي ، أو قال : كان مخرج أصله عند العرب ،

فوقع الى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله عند الفرس ، فوقع الى العرب فأعربته ـ كان مستجهلا ، لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العرب ، اذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ، ومعنى واحد موجودا فى الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . . بل الصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا ، أو حبشيا عربيا اذا كانت الأمتان له مستعملتين . الى أن يقول : « وذلك هو معنى ما روينا عنه القول فى الأحرف التى مضت فى صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الروم ، لأن من نسب شيئا من ذلك الى ما نسبه اليه لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبه اليه أن يكون عربيا » (٢٦) .

وتتفق وجهة نظر أبى عبيدة معمر بن المثنى مع الامام الشافعى والطبرى ، فيقول : « نزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) بالنبطية فقد أكبر ، وقد يوافق اللفظ اللفظ ، ويقاربه ، ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية أو غيرها » (٢٧) .

ومع أن أبا عبيدة دافع عن عروبة هذه الكلمات الا أن الامام اللغوى الزبيدى صاحب تاج العروس ينسب الى أبى عبيدة رأيا آخر يوفق بين المانعين والمجوزين يقول : « قال أبو عبيدة : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها ، وحولتها من ألفاظ العجم الى ألفاظها ، ثم لما نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال : إنها عربية ، فهو صادق ، ومن قال : عجمية فهو صادق » (٢٨) .

جـ ـ رأى ومناقشة :

فى رأيى أننا اذا أردنا أن نصل الى حل حاسم لهذا الاشكال ، فانه لا بد من الرجوع الى التاريخ العربى لنستفتيه فى هذه القضية التى كثر فيها الجدل ، واحتدم النزاع بين العلماء .

اننا اذا رجعنا الى التاريخ ليدلنا على كلمة (عرب) فماذا نجد ؟ نجد اختلافا كبيرا بين رجال اللغة من العرب فى مدلول هذه الكلمة ، فقد قال ابن منظور فى كتابه الكبير : لسان العرب ما نصه : « واختلف الناس فى العرب لم سموا عربا ؟ فقال بعضهم أول من انطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، وهو أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة ، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام معهم ، فتكلم بلسانهم ، فهو وأولاده العرب المستعربة .

وقيل : ان أولاد اسماعيل نشئوا بعربة ، وهى من تهامة ، فنسبوا الى بلادهم .

ثم قال صاحب اللسان ، وكل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم (٢٩) .

والمستشرقون وعلى رأسهم المستشرق (ولفنسون) فى كتابه

(تاريخ اللغات السامية) : يرى أن كلمة (عرب) كانت مستعملة فى اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العربة (الصحراء) أى لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية (٣٠) .

ويرى هذا المستشرق أن ما يقال فى المعاجم اللغوية العربية من أن هناك فرقا بين كلمتى عربى وأعرابى ، وتخصيص الاولى بسكان المدن ، والثانية بسكان البادية فلم يحدث الا فى عصور قريبة من ظهور الاسلام أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقا ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب ، اما سكان المدن والامصار ، فكانوا ينسبون الى قبائلهم ، ويعرفون بمناطقهم . (٣١) .

ويرى مرة أخرى أن كلمة عبرى تؤدى المعنى الذى تؤديه كلمة عربى نفسها ، أى ان العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها ، وابلها من مكان الى آخر .

وقد استدل على هذه النظرية بأن كلمة عبرى مشتقة من الثلاثى عبر الذى معناه بالعبرية والعربية : ذهب ، ورحل وقطع مرحلة من الطريق ، أى أن كلمة عبرى وعربى مشتقان من ثلاثى واحد هو عبر ، فحدث قلب مكانى فى هذه الكلمة الثلاثية فصارت عربا » (٣٢) .

وفى رأيى أن المعاجم اللغوية تحدثت عن هذه التفرقة فعلا ، ولكنها مع ذلك نصت أيضا على أن كل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم كما قدمت .

وأما القرن الذى ظهرت فيه هذه الكلمة ، فقد حددته النقوش والآثار التى اكتشفت فى عصرنا الحديث ، فقد أشار المستشرق لوبون فى كتابه (حضارة العرب) الى آثار الأشوريين التى تحدثت عن العرب فقال : « وذكر العرب قبل الميلاد بتسعمائة سنة فى بلاغ (سلمنصر الثانى) وأدت ملكتان عربيتان فروض الطاعة (تيفلا نفانصر) قبل الميلاد بنحو ثمانمائة سنة ، واستعان (بانيبال) بجيوش عربية عندما رفع راية العصيان » (٣٣) .

ويقسم المؤرخون العرب الى قسمين : بائدة ، وباقية ، ومن العرب البائدة : عاد ، ومسكنهم الأحقاف فى اليمن ، وثمود ، ومسكنهم الحجر فى جهة معان ، ومدائن صالح ، وطسم ، وجديس ، ومسكنهم اليمامة ، وعمليق ، ومساكنهم عمان ، والحجاز وتهامة ، وبعض نجد ، وتيماء وبترا ، وفلسطين ، وهم القوم الجبارون الذين تهيبهم قوم موسى اذ قالوا : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » ومنهم جالوت الذى قاتل داود ، فقتله داود عليه السلام . وجرهم ومسكنهم باليمن ، ومن بقاياهم قوم هاجروا الى مكة ، وهم أصهار اسماعيل عليه السلام ثم بادوا ، ووبار ، ومسكنهم اليمن فى وبار المسماة باسمهم ، وقد هلكوا .

والعرب الباقية : أولاد قحطان ، وأولاد عدنان (٣٤) .

وليس ثمة شك فى أن هذه القبائل العربية كانت تتكلم بلغة واضحة المعالم بينة السمات ، هذه اللغة هى العربية ، والعربية من أقدم اللغات السامية كما تنص على ذلك كتب العبريين ، بل ان العرب أنفسهم أقدم من العبريين فى تاريخ وجودهم على هذه الارض ، ولا زالت كتبهم تقص علينا

الشيء الكثير من اخبار العمالقة ، وأهل سبأ الذين كانوا يقيمون بجنوب جزيرة العرب .

على أن هذه القبائل العربية لم تغلق على نفسها أبواب مساكنها ، بل اختلطت اختلاطا شديدا بغيرها من أجناس الأمم ، اختلطوا بالمصريين حينما اتحدت قبائل من العمالقة مع عرب سوريا ، واستولوا على مصر فى حملة معروفة فى التاريخ المصرى القديم بحملة الهكسوس سنة ٢٠٠٠ ق.م وعرفوا بالرعاة ، ودام سلطانهم قرونا كثيرة (٣٥) .

وتنص الكتابات المسمارية على أن قبائل ثمود التى كانت تقيم فى بلاد الحجاز اشتبكت فى معارك طاحنة مع سرجون ملك آشور الذى مزقهم كل ممزق ، وأجلى البطون الثمودية الثائرة فى بلاد العرب الى مدينة غـــزة بفلسطين (٣٦) .

وقدماء اللحيانيين الذين كانوا يقيمون فى الحجاز عرفوا بالقـــوة والعظمة حتى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود والعساكر (٣٧) .

ولا شك أن هذا الاختلاط الذى حدث بين العرب وغيرهم فى تاريخهم القديم أدى الى التفاعل اللغوى ، مما جعل اللغة تتطور فى قوة حتى اكتمل بناؤها واتسعت مفرداتها بفعل هذا الاحتكاك .

ولا أدل على ذلك من اعتراف المستشرقين أنفسهم بهذه الظاهرة فقد قال (لفينون) : « ان اللغة العربية تشتمل على عناصر تدل على أنهـــا بصورتها الحالية ، ليست أصلية قديمة ، بل انها صيغ مرت عليها تقلبات كثيرة وتغيرات فى حين أن هذه الكلمات توجد فى العبرية أو الآرامية دون أن يظهر عليها شىء من آثار هذا التبديل ، فمثلا كلمة (قول) تؤدى بالعبرية معنى = صوت . أما فى العربية فلا تطلق الا على جملة أصوات مجتمعة ، وكذلك (أمر) تدل على الكلام العادى ، وتدل فى العربية عـــلى الطلب بشدة (٣٨) .

وقد استطاعت العربية بما تحمل من عناصر الحياة والتطور أن تؤثر كما تقول روايات المستشرقين أنفسهم (فى النبط الآراميين) فكان ذلـــك من أهم الأسباب التي حملتهم على نسيان لغتهم الآرامية ، وايجـــادهم لأنفسهم مزيجا من لغة الآراميين والعرب . ولم يكن هذا المزيج مفهوما عند العرب فأطلقوا عليه الرطانة النبطية (٣٩) .

من هذا العرض السابق أستطيع أن أقول : ان هذه اللغة العربية لغة قديمة تكونت بمرور الزمن ، وعبر التاريخ ، وسارت فى طريق التطور بخطى واسعة حتى وصلت الى ما قبل الاسلام الى الذروة من التقدم والرقى ، على حين تجمدت اللغات السامية الأخرى ، لتصبح أثرا بعد عين .

ومن المنطق أن أقول : ان لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى ، فأثرت فيها ، ووصلت الى هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون مـــوردا لغيرها من اللغات الأخرى ، تمدها بما تحتاج اليه من مفرداتها الواسعة ، وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات فى بناء هذه الأمم ، ولا يصح فى مجال التفكير السليم أن نقول ان القرآن الكريم استعارها من

هذه اللغات ، اذا قلنا ذلك ، فهذا تحكم لا تسنده الا هذه الاخبار التى ذكرها الرواة ، وهى أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول : إنا أنزلناه قرآنا عربيا (٤٠) .

ومن العجب حقا أن ندعى أن مفردات اللغة العربية التى عاشت هذا العمر الطويل وتطورت هذا التطور الكبير عبر التاريخ ، وعبر الأجيال ، تمثلها هذه المعاجم اللغوية ، أو هذه الروايات التى جمعها لنا رواة العرب حينما بدءوا يدونون اللغة .

أجل لقد أحس بهذه الحقيقة راوية من كبار الرواة ، وعميد من عمداء اللغة انه أبو عمرو بن العلاء الذى يقول : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم لجاءكم علم وافر ، وشعر كثير » (٤١) .

على أن العقل لا يمكن أن يسلم بأعجمية هذه الكلمات من ناحية أخرى ، فهذه الكلمات كما يقول السيوطى : أكثر من مائة لفظة ، وهو عدد قليل جدا بالنسبة الى كلمات القرآن الكريم التى تبلغ فى رواية الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة (٤٢) .

فما السر اذا فى أن يمد القرآن الكريم يده لأخذ هذه الكلمات المائة من لغات العجم . هل اللغة العربية فقيرة الى هذا الحد ، فتطلب المعونة بهذه الكلمات ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى لا تستطيع أن تجاريها لغة أخرى فى مجال الاتساع ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى تحفظ للمعنى الواحد المئين من الألفاظ .

استمع الى السيوطى يقول فى المزهر : « ان العجم لا تعرف للأسد أسماء غير اسم واحد ، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم .

وقال حدثنى أحمد بن محمد بن بندار قال : سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذانى يقول : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين .

ويروى ابن فارس قصة الأصمعى والرشيد ، وخلاصتها : « ان الرشيد سأل الأصمعى عن شعر لابن حزام العكلى ، ففسره ، قال : يا أصمعى ، ان الغريب عندك لغير غريب ، قال : يا أمير المؤمنين ، الا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسما (٤٣) .

ويجدر بى أن أعزز رأيى هذا برأيين لرجلين من أعلام الفكر فى العالم العربى فى وقتنا الحاضر ، وهما المرحومان الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ أحمد شاكر .

أما الدكتور عزام فيرى : ان اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا فى عصور متطاولة قبل الاسلام ، فدخل فى الفارسية مثلا الفاظ سامية ، فرب لفظ فارسى يظن أصلا للفظ عربى هو فى الحقيقة لفظ سامى تسرب الى الفارسية فى العصور القديمة ، وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربية لم تهب اللغات الأخرى من ألفاظها الا فى العصور الاسلامية (٤٤) .

وأما المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، فيرى : أن العرب أمة من أقدم

الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجودا ، كانت قبل ابراهيم واسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله (٤٥) .

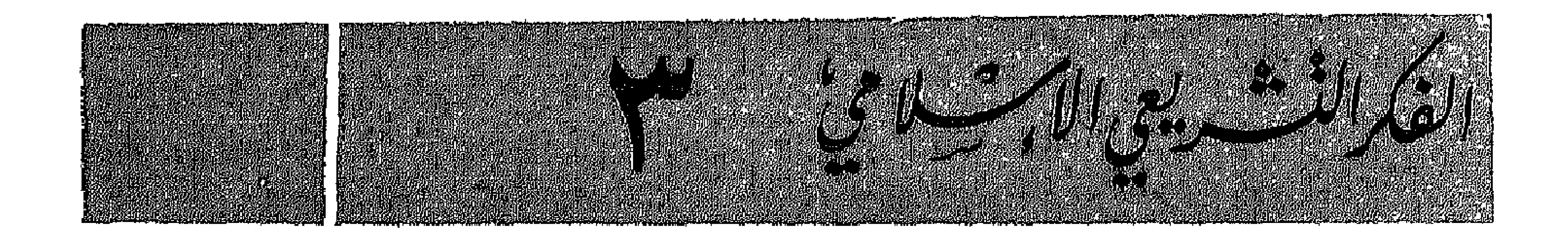
وبعد ، فلعلي بهذا العرض لهذه القضية استطعت أن أضع النقاط على الحروف دفاعا عن كتاب الله العربي ، هذا من ناحية ، ولعلي من ناحية أخرى أسد الباب أمام هؤلاء اللغويين المحدثين الذين يدعون أن القرآن الكريم سار على منهج التعريب ، حينما أخذ عن الفارسية والحبشية وغيرهما ، ونحن نلجأ الى التعريب ، لأننا لم نعش في أعماق اللغة ، لنستخرج الكلمة الدالة ، واللفظة المعبرة ، وذلك لعجزنا عن الاحاطة باللغة من ناحية ، ولايثار مد اللغة العربية بكلمات جديدة سيرا على مبدأ التطور اللغوي منناحية أخرى . ان صح لنا أن نعرب ألوف الكلمات الوافدة في عصر تقاربت فيه اللغات ، وتمازجت الأفكار ، فانه لا يصح مطلقا أن نتخذ من القرآن ذريعة نعتمد عليها في شرعية هذا الغزو الأجنبي ، فانه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

---

(١) أنظر : مقدمة تفسير الطبري : ٦/١ . (٢) نقل هذا النص من كتاب : « دراسات في العربية وتاريخها » للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٩ . (٣) المرجع السابق نفسه ص ١٤ . (٤) الحديد : ٢٨ . (٥) المزمل : ٦ . (٦) سبأ : ١٠ . (٧) المدثر : ٥١ . (٨) الطبري ج ١ ص ٨ . (٩) الاتقان ج ١ ص ١٣٨ . (١٠) البرهان في علوم القرآن ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١١) أنظر في هذا الموضع : الطبري ج ١ ص ٦ ، الاتقان : ج ١ ص ١٣٨ ، البرهان : ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١٢) الاتقان ج ١ ص ١٤٠ ، ومفتاح السعادة ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ . (١٣) فصلت : ٤٤ . (١٤) الطبري ج ١ ص ٨ . (١٥) المرجع السابق والصفحة . (١٦) الاتقان ج ١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ . (١٧) ابراهيم : ٤ . (١٨) الشعراء : ١٩٥ . (١٩) الرعد : ٣٧ . (٢٠) الشورى : ٧ . (٢١) الزخرف : ٣ . (٢٢) الزمر : ٢٨ . (٢٣) النحل : ١٠٣ . (٢٤) فصلت : ٤٤ . (٢٥) الرسالة : ٥٠ . (٢٦) الطبري ج ١ ص ٩ . (٢٧) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ . (٢٨) تاج العروس ص ٩ . (٢٩) لسان العرب : مادة : عرب . (٣٠) تاريخ اللغات السامية : ص ١٦٤ . (٣١) المرجع نفسه والصفحة . (٣٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ . (٣٣) حضارة العرب ص ٩١ . (٣٤) تاريخ الأدب لحفني ناصف ٨ . (٣٥) حضارة العرب ص ٩٠ . (٣٦) حضارة العرب ١٧٤ . (٣٧) المرجع نفسه ص ١٧٤ . (٣٨) تاريخ اللغات السامية ١٦٩ . (٣٩) المرجع نفسه ص ١٧٣ . (٤٠) يوسف : ٢ . (٤١) الاقتراح ٢٧ . (٤٢) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٤٩ . (٤٣) المزهر ج ١ ص ٣٢٥ . (٤٤) مقدمة المعرب للجواليقي : ص ٤ . (٤٥) من مقدمة الشيخ شاكر ص ١٣ .

المراجع :

١ — دراسات في اللغة العربية وتاريخها : الشيخ محمد الخضر حسين . ٢ — تفسير الطبري . ٣ — الاتقان في علوم القرآن للسيوطي . ٤ — البرهان في علوم القرآن للزركشي . ٥ — مفتاح السعادة : لطاش كبرى زاده . ٦ — مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر ابن المثنى . ٧ — تاج العروس : للزبيدي . ٨ — لسان العرب / ابن منظور . ٩ — تاريخ اللغات السامية / والفنون . ١٠ — تاريخ الأدب : حفني ناصف . ١١ — حضارة العرب : لوبون . ١٢ — الاقتراح : للسيوطي . ١٣ — المعرب : للجواليقي . ١٤ — الرسالة : للشافعي .



نظرة الاسلام إلى التعاقد

للشيخ : علي الخفيف

التعاقد فى نظر الاسلام ارتباط يرتبط به الانســـان ، فيطلب منـــه الوفاء به ، وأساسه الاختيار وسلامة الارادة ، وقد يكون ارتباطا منفردا لا يقابل بارتباط آخر ، وقد يقابل بارتباط من شخص آخر ، غير أن الاسلام يرى أن منه ما يجب على المرتبط الوفاء به ، ويجبر عليه قضاء ، ومنه ما لا يجبر عليه .

ومرد النوع الأول الى امرين : أحدهما : أن يكون مقابلا بارتباط التزم به شخص آخر فى مقابلته ، فيجب الوفاء به لذلك حتى لا يكون من وراء عدم الوفاء به ضرر بمن ارتبط بسببه ، وثانيهما : أمر الشارع بالوفاء به لمصلحة ارتآها الشارع أوجبت ذلك أمرا باتا لا خيرة فيه .

وأما النوع الثانى : فقد رأى الشارع عدم الوفاء به قضاء وأوجـــب الوفاء به دينا وخلقا وهو ما صدر عن احسان وتبرع غير مستتبع حقا لازما لأحد ، وذلك ما اختلفت فيه الانظار تبعا لاختلافها فى متطلب المصلحة ، وأن اتفقت على أن الوفاء مطلوب دينا وخلقا فى كل ارتباط وتعاقد خلا من الضرر وذلك مقتضى عموم قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقوله تعالى : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

ولا يلزم لوجود التعاقد واعتباره فى شريعة الاسلام شكل معين الا ما شرطه الشارع فى الزواج ، اذ يشترط أن يكون أمام شاهدين ، وفى ذلك خلاف مالك ، ويكفى فى تحقق التعاقد ووجوده العبارة الدالة عليـــه اذا صدرت من العاقل البالغ المختار ، وذلك فى أى شأن له الولاية عليه لا تتقيد ارادته فى ذلك بقيود الا عدم الضرر بالعاقد أو بغيره ، وسواء فى ذلـــك التعاقد فى أى شأن من الشئون المالية كالمبايعات والنفقات والكفـــالات

والاجارات ، والتعاقد فى الشئون الاجتماعية كالتعاقد فى الزيجات والنسب والحضانة ، وهذا هو نظر الشارع الى الاشتراط فى العقود ، فقد جعل للعاقد أن يشترط ما يرى أن حاجته ومصلحته فى اشتراطه ما دام أن ليس فى اشتراطه ضرر ولا تغيير لمشروع : لأن تغيير المشروع مفسدة ، وفيه يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » .

أما الضرر الذى يبطل العقد لأجله ، فسواء فيه أن يكون ضررا يلحق العاقد أو المشترط ، وأن يكون ضررا يلحق المجتمع أو غير ذلك من الافراد، ويكفى فى ثبوته وترتب أثره عليه ورود نص من الشارع يدل عليه ، كما يكفى حكم العقل فيه ، لأنه اذا كان العقل أساسا للاسلام فأولى أن يكون أساسا فى اثبات الضرر فى العقود والاشتراط والمعاملات ، وسلامتها منه .

وعلى هذا الأساس يرى أن الفكر الاسلامى التشريعي يتجه الى اعطاء الناس حرية الاختيار فى انشاء العقود والاشتراط فيها ، سواء فى ذلك ما وردت به النصوص ، وما جرى به العرف ، وما تدعو اليه حاجة الناس ومعاملاتهم لا تحدهم فى ذلك حدود سوى ما ذكرنا ، وعلى هذا رأى المحققين من الفقهاء وبخاصة بعض الحنابلة كابن قيم الجوزية وابن تيمية ، خلافا لمن عارض فى ذلك منهم ، فزعموا أن كل عقد أو شرط لم يرد به عن الشارع نص عقد باطل أو شرط لغو ، ويعزى هذا الرأى الى أهل الظاهر .

نظرة الاسلام الى الفرد والمجتمع ومراعاة فكرة التضامن وصلاح الأسرة

يقيم الاسلام مجتمعه على أسس قويمة تصونه من الأنانية الفردية فى المعاملة والسلوك ومن طغيان نوازع النفوس التى تدعو الى الشر ، وتوقد نار العداوة والبغضاء بين أفراده ، وتؤدى بهم الى الاعوجاج والفساد والفرقة والتنابذ والفشل ، وقد قال الله لرسوله « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » ، وقال : « فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ، وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

أسس تربط بين أفراد المجتمع ، وتؤلف بينهم وتوحدهم وتجعلهم أخوة متناصرين بعضهم أولياء بعض تتلاقى كل قواهم فى المحافظة على مصالحهم الاجتماعية والشخصية ، ودفع الضر عنهم ، والقيام بسد حاجاتهم ، ونيابة بعضهم عن بعض ، فى أداء معروف اذا ما دعت الحاجة اليه وتتطلبته المصلحة وفى ذلك يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المجتمع الاسلامى، ومناصرة أفراده بعضهم بعضا ابلغ تصوير ، اذ يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومن نتائج هذه الروابط ، شعور كل فرد فى المجتمع بأن عليه واجبات يؤديها اليه لقاء ما له من حقوق قبله يتوقف وفاؤه بها على القيام بهذه الواجبات ، واذا قصر فى أدائها أدى ذلك الى انهيار البناء ، وتفكك روابطه ، وذهاب ريحه ، كما أن من نتائجه مسئولية كل فرد فيه فى جلب الخير والقصد اليه فى أعماله التى يأتيها ، ودفع الشر عند نزوله بما يستطيع من قوة وبما يملكه من معونة ، ولذا يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

وعلى هذا الأساس أوجبت الشريعة على القوى اعانة الضعيف ، وعلى الموسر اطعام الجائع ، وعلى القادر اغناء الفقير والمسكين ، كما أوجبت الدفاع عن الضعفاء وأوجبت على القادر دفع الأذى والهلاك عن كل من تعرض لهما ، والحفاظ على القاصرين ممن يتعرض لهم وعلى أموال القاصرين وعديمى الاهلية والغائبين كما أوجبت اعانة الغارمين ، وانقاذ الاموال عند تعرضها للتلف ، والاخذ على أيدى المفسدين وفى سبيل هذه الوحدة قررت نيابة بعض المؤمنين عن بعض ، ومناصرة بعضهم بعضا ، فيقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

وكانت نظرة الاسلام الى الفرد فى مجتمعه نظرة وسطا ليست كالنظرة اليه في النظام الفردي الذى يجعل لكل فرد فى مجتمعه ارادة مطلقة وحرية واسعة غير مقيدة ، لا يراعى فيها الا مصلحته الشخصية دون اعتبار لمصلحة غيره الا بقدر يختلف باختلاف الأمم وتطورها ، وليست كالنظرة اليه فى النظام الاشتراكى الجماعى التى تجعل الفرد فى مجتمعه كالجزء من الآلة يتحرك بحركتها ، ويسيره سيرها ، ليس لذاته قوة ولا نشاط الا فى محيطه ومجتمعه ، فلا يؤذن له بنشاط ينفرد به عن الجماعة وانتاجه يجب أن يكون أولا وابتداء لها .

ليست نظرة الاسلام الى الفرد اذن كنظرة هذين النظامين اليه ، بل ينظر اليه شخصا له ارادته وله حريته وعمله وانتاجه وثمراته ، ولكن بشرط ألا يكون ذلك موجها الى ضرر المجتمع ، أو ينال المجتمع منه أذى ، ولهذا كانت جميع حقوقه مقيدة بعدم الضرر .

وعلى الجملة كان نشاط كل فرد لنفسه على ألا يترتب عليه ضرر بغيره وبذلك حافظ الاسلام على الحوافز الطبيعية التى تحفز الانسان على العمل وتدعو الى النشاط وتحمله على الجد والاحسان فيه مما يترتب عليه وفر ثمراته التى تعود فى النهاية الى تحقيق مصالح مجتمعه وحافظ على الروابط الشخصية بين أفراد المجتمع بسبب ما حرمه عليهم من الاثرة . ودعا اليه من الايثار فاحكمت روابطهم وقوى تماسك بنيانهم وكان عليهم لمجتمعهم واجبات فرض عليهم أداؤها وذلك فى نظير حقوق لهم قبل مجتمعهم يجب عليه أداؤها وذلك ما يتمثل فيما يناله المجتمع من ثمرات اعمالهم وما يصل اليه من أموالهم وما يعود عليه من نشاطهم

وسعيهم وفيما يقوم هو به لهم من حفظ ورعاية وحماية ومعونة وتمكين، وتوجيه واصلاح ووقاية على أنماط متعددة وصور مختلفة فصلها الكتاب الحكيم حين أمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وباطعام الجائع واعانة الغارم والوفاء بالعهد وحين نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والخبائث والظلم وغير ذلك مما جاء به كتاب الله وسنة رسوله من أمر ونهى تكامل بهما تضامن المجتمع ووحدته وتكافله حتى صار كما قال الرسول صلوات الله عليه جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

ولم يهمل الاسلام مع ذلك شأن الاسرة ومنزلة الفرد فيها ، بل عرض لما يجب للأسرة من رعاية وعناية تستهدفان صلاحها وأحكام الروابط بين أفرادها ، باعتبارها اللبنة التى يتكون منها المجتمع ، ويقوى بقوتها ويتماسك بتماسكها ، وفى وهنها وهنه وانحلاله ، فعنى الاسلام بها عناية شديدة وعرض لكثير من أحكامها فى كتابه بما لم تظفر به مسألة أخرى مما عرض له من المسائل ، وكان أساس نظره اليها أن تكون قائمة على السكن والمودة والرحمة والتعاون كما دل على ذلك قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، كما حض على الصبر والعفو اذا ما بدا فى محيطها مكروه ، فقال فى كتابه الحكيم « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وجعل القوامة فى هذا المجتمع الصغير للرجل لما فرضه عليه من السعى والعمل والنفقة ، والذود عن البيت ، وبما حباه به من قوة وما للرجال على النساء من درجة وفى ذلك يقول الله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » ويقول « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » كما جعل انفصام هذه العقدة للرجل فكان له حق التطليق حين تسوء المعاشرة ويخشى من عدم اقامة حدود الله ، واخفاق الزوجية فى الوفاء بالغرض منها .

وعلى أساس هذا النظر شرعت حقوق كل من الزوجين قبل الآخر ، وعولجت أمراض الزوجية ، وحلت مشاكلها بما وضعه الشارع لها من أحكام كفيلة باقامة حياة سعيدة وافية بأغراضها ، وعلى هذا الأساس كان نظره الى الروابط الاجتماعية الأخرى ، تلك الروابط التى تقوم على ضرب من الرعاية والولاية والزعامة ، اذ جعل كل فرد مسئولا عما عهد اليه برعايته مطالبا بحفاظه والقيام عليه فى شئونه وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عمر : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » وهى مسئولية تتطلب من كل من فرضت عليه حسن القيام وكمال الرعاية

والمحافظة والعمل باخلاص وأمانة فى مجال رعايته وولايته ، وذلك بأن يستهدف المصلحة فى كل ما يأتيه ويقصد اليه .

وبهذا تقوى روابط المجتمع وتشتد أواصره ، وعلى هذا أسس الشارع أحكامه .

مراعاة الاسلام فى نظره العقيدة ، والخلق ، ومصالح الدنيا والدين

راعى الاسلام فى أحكامه حقوق الله تعالى ، وما تعبد به الناس من عقائد ، وما دعا اليه من فضائل وأخلاق — وكان هذا نتيجة طبيعية لصدورها من الله ، ونزول الوحى بها ، اذ لا يتصور أن يشرع الله للناس ما يخالف دعوته ويتعارض مع ما أمر به ويؤدى بالناس الى غير ما ابتغاه من دينه وذلك بتدنيس نفوسهم وافساد قلوبهم ولكن الشارع الحكيم حين شرع دينه شرعه عقيدة وعملا ، غايتهما واحدة وأثرهما واحد ، فكان له بهما أبعد المدى ، وأبلغ الأثر فى هداية الناس الى طريق كمالهم بتطهير قلوبهم وتزكية نفوسهم بمراعاته هذه الشريعة من فضائل ، وما رغبت فيه من أخلاق ، وباقامتها على أساس من التوجيه الفكرى عن طريق العقيدة واستعمال النظر والتدريب العملى بطريق العبادة ومراعاة الخلق الكريم مع النظر الى مصلحة المجتمع ، فكانت لذلك أحكامها متسقة مع الخلق والفضيلة والعقيدة غير موجهة الى المصالح الدينوية وحدها ، وقد قال الله لرسوله فى شأن ذلك « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » ، وبذلك تميزت قواعد التشريع الاسلامى بابتنائها على العقائد والاخلاق من ناحية ، وعلى المصلحة الدنيوية من ناحية أخرى ، وكانت نظاما شاملا متجانسا متكاملا روعيت فيه مصالح الناس فى دنياهم وفى آخرتهم ، وكانت بسبب هذا الى نفوس الناس محببة ، ولها من ضمائرهم عند ارادة اغفالها وتركها مراقبة ، ومحاسبة .

وكذلك كان نظر الاسلام الى شريعته وقد أراد بها صلاح الناس الا تكون نزعتها نزعة مادية خالصة ، بل جعلها شريعة وسطا بين النزعتين المادية والروحية حتى تكون من ناحية ماديتها تشريعا واقعيا يسهل اتباعه ، ومن ناحية روحيتها تشريعا خليقا بعيدا عن الأثرة حتى لا تغفل فيها مصالح الجماعة ، ولذا كان للانسان فى هذه الشريعة كل ما يسمو به عن الرضا بالدون فى حياته الدنيا ، والرضا بغضب الله وعذابه فى حياته الآخرة ، فتمضى كل نفس حسب استعدادها الى ما فيه رضاها وطمأنينتها سعيا فى مناكب الارض ، سعى المؤمل فى حياة دائمة لأجل الدنيا ، وسعى المرتقب لأجله فى غده لأجل الآخرة .

على هذا النظر أقام الاسلام شريعته ..

هذه هى الأنظار التى تصور لنا الفكر الاسلامى فى تشريعه الخالص من الشوائب ، ومما لبس به من أهواء الناس ، وضلالات المبتدعة ، وأباطيل المنافقين ممن اتخذوا الشريعة سبيلا الى ارضاء ذوى السلطان ، أو اغواء

النفوس متابعة للشهوات ، فأفسدوا أعمالهم ، وأضلوا نفوسهم وباءوا بخسران مبين .

ذلك ما انتهى اليه فكري واهتدى اليه حكمي في بيان اتجاه التشريع الاسلامي أو بيان الفكر الاسلامي التشريعي واكتشاف أسسه واستبانة أهدافه وتحديد غاياته ، وقد ذكرت ما كان لهذا الفكر من سند في القرآن الكريم وفيما حواه من أحكام بين عللها وأظهر حكمها وأهدافها وفيما كان لكل ذلك من توجيه لأصحابه ومن جاء بعدهم في استنباط الاحكام وفهم لكتاب الله وفيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدى في تشريعه وبيان لنصوص الكتاب وفي تأصيل الاصول ووضع القواعد والضوابط والتطبيق على ما كان يعرض لهم من وقائع وأحداث وتعرف أحكام كل ما كان يستجد في زمنهم من حوادث وينزل بهم من نوازل لا يمنعهم من هذا النظر الا يجدوا بعد البحث نصا من كتاب أو سنة لعلمهم أن شريعة الله عامة شاملة لا تضيق بأحكامها وأصولها عن حكم لله تعالى في كل ما يحدث أو يستجد وان للعقل كفايته وقدرته في تعرفه وكشفه ما استعان بنصوص القرآن واهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشريعه وبيانه وسلك مسلك أصحابه من بعده في أظهاره واستخراجه وكل هذا قد صار موفورا لدينا بفضل ما قام به سلفنا الصالح من جمع وتدوين .

وانا لنشاهد الآن تجدد الوقائع وتتابع الاحداث وتنوع المعاملات بسبب تطور الاعراف والعادات والمعاملات وتجدد الاختراعات والاكتشافات ونحن أمام ذلك جامدون واقفون لا نتحرك ولا نستجيب لما أمرنا به من نظر وبحث ، والناس حيارى يضجون بالشكوى من حيرتهم في أحكام ما تلجئهم اليه حاجاتهم من حديث المعاملات وجديد الاستثمار وتسوقهم اليه معاملاتهم من غيرهم ، مما لا سبيل الى مجانبته من معاقدات ليس لها فيما سبق مثيل ولا فيما يعرفون حكمه نظير ولا يجدون مع ذلك مفرا عنها أمام دوافع الحياة الاقتصادية المعقدة ودواعي الاغراء المختلفة .

ألم يأن لأولى الفقه والنظر أن ينظروا في هذا الأمر باحثين عن حكم الله تعالى بقدر جهدهم فيما هو مماثل أمامهم من وسائل الاستثمار بواسطة صناديق التوفير واستمارات الاستثمار على اختلافها وايداع الاموال للاسترباح وعقود التأمين المختلفة وعقود المقاولات وغير ذلك من الاعمال المصرفية والمبادلات النقدية حتى يكون الناس على بينة من حكم شريعتهم فيما يقبلون عليه أو يلجئون اليه من هذه الاعمال — وقد قرر المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية جواز الاجتهاد الجماعي فيما يجد من الحوادث التي لا يرى لها حكم في مذهب من المذاهب — ومن له غير مجمع البحوث — كما حض هذا المؤتمر على اصدار الفتاوى والاحكام المستمدة من أصول الاسلام فيما يحدث ويستجد من المشكلات ، واني لأرجو أن يستجيب مجمع البحوث لذلك حتى يبرأ مما قد ينسب اليه من تقصير ، والله الموفق للصواب .



دراسات فى
علوم القرآن

الرسم العثماني للمصحف، ولماذا ينفرد به

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

— ١ —

من المسلم به أنه لأول اتصـــال المسلم بالقرآن الكريم عن طريق تلاوته فى المصحف مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مـــورده العذب ، وثمره فى الخط العربى التى يجرى عليها الآن ، حتى أن كثيرا من الذين يرجعون الــى كتاب الله عن طريق المصحف — لأول مرة — يجدون أنهم بين يــدى نمط جديـــد من الكتابة لم يألفوه ، وأن على من يريد منهم أن يقرأ المصحف قراءة صحيحة أن يرجـــع فى ذلك الى معلم يعلمه ، ودارس يدرس عليه ، والا وقع فى حيـــــرة وبلبال ، وكـــان أقرب طريق يأخذه للخروج من هذا الموقف ،هـــو أن يعتـــزل المصحف ، مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مورده العذب ، وثمره الطيب المبارك ، فذلك — فى تقديره — أدنى الى السلامة ، وأبعد من الوقـــوع فى المحظور !

— ٢ —

من أجل هذا تقوم بين الحين والحين تلك الدعوات التى نسـمعها تتردد فى مختلف آفاق الاسـلام ، الى تحرير المصحف من الالتزام بالخط العثمانى ، وكتابة القرآن الكريـم بالخط المقروء للناس اليـوم ، والمتداول فى الكتـب والصحف وغيرها ، حتى يقبل كثير من المثقفين على تعلم كتاب الله ، وحفظـه قراءة من المصحف ، الأمر الذى يحول بين كثير منهـم وبينه ، استغلاق وقراءة الرسم العثمانى عليهم ، وهو الرسم الذى تلتزمه المصـاحف فى جميع البـلاد التى تقرأ العربية .

ويتساءل المتسائلون : لم لم تأخذ هذه الدعوات طريقها الى التحقيق ؟ ولم لم تجد استجابة من المسلمين فى أى عصر من العصـور ، وبين أيديهم دعـوة تلتقى مع شريعة هذا الدين القائم على اليسر ، ورفع الحرج والاصر عن الناس ؟ وأمر القرآن الكريم هو يسر كله ، فى بلاغة الأداء ، وتناغم الألفاظ ، ووضـوح المعانى ، وقرب تناولها من سماواتها العالية .. والله سبحانه وتعالى يقـول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » .. فكيف يتفق أن يكون القرآن على هذا القـرب واليسر ، فى جوهره ، وعلى هذا الكرم والجود عطاياه ، ثم تكون الوسائل اليه على الطريق الوعر ، المحفوف بالمعاثر والمزالق ؟!

— ٣ —

ولا نحسب أن هذه الحقيقة قد غابت عن أسلافنا ، رضوان الله عليهـم ، فلقد واجهوا هذه المشكلة — ان صح أن نسـميها مشـكلة — ولكنهم آثروا أن يكتبوا المصحف على هذا الأسلوب ، كما ارتضى الذين جـاءوا من بعـدهم أن يبقوا الكتابة المصحفية على ما هى عليه فى مصحف عثمان ، رضى الله عنـه ، دون أن يمسوا صميمها .. ولقد سجل كثير من الأئمة العلماء الفقهاء رأيهم فى عدم المساس بالكتابة الاسلامية التى كتب عليها المصـحف العثمانى ، معلليـن لهذه الآراء ، أو مرسليها بغير تعليل ، اذ كان الأمر عندهم من المسلمات التى لا ينازع فيها ..

يقول الامام أحمد بن حنبل — رضي اللـه عنه — : « تحرم مخـالفة خط مصحف (عثمان) فى ياء ، أو واو ، أو ألف ، أو غير ذلك » .. فهذا الامـام الجليل يؤثم الخروج على الخط العثمانى الذى كتب عليه المصحف ، ويرتفـع بالخروج عليه ، الى درجة التحريم ، لا الكراهية ، كما يرى ذلك بعض الفقهاء ..

وسئل الامام مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أخذته النـاس من الهجاء ؟ فقال : « لا ، الا على الكتبة الأولى » يقصد المصـحف العثمانى ..

ويقول الزركشى (صاحب البرهـان فى علم القرآن) : « الخـط ثلاثـة أقسام : خط يتبع الاقتداء السلفى ، وهو رسم المصـحف ، وخط يجرى علـى اثبات ما أثبته اللفظ ، واسقاط ما أسقطه ، وهو خط العروض .. وخط يجرى على العادة المعروفة ، وهو الذى يتكلم عنه النحوى » ..

ويقول البيهقى (صـاحب كتـاب دلائل النبوة) : « من كتب مصـحفا ، فينبغى أن يحافظ على طريقة الهجاء التى كتبوا بها المصاحف ، ولانخالفهم فيها ؛

ولا نغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا .. فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » ..

— ٤ —

ولا شك أن هذه المقولات ، وتلك الآراء ، التى صدرت من علماء وأئمة لهم قدرهم ووزنهم فى الأمة الاسلامية — قد كان لها أثرها فى الابقاء على الكتابة المصحفية العثمانية الى اليوم ، والى ما بعد اليوم ان شاء الله .. ولكن — مع هذا — فان كثيرا من النفوس لا تتقبل هذا الأمر الا محرجة معه ، ضائقة به ، اذ تطرقها التساؤلات عن الحكمة فى التمسك بهذه الكتابة المصحفية التى تستغلق على كثير من القارئين لكتاب الله فيها ، فلا يجدون الجواب المقنع الذى يستريحون له ، أو يطمئنون اليه .. وأكثر من هذا ، فانهم يجدون أن المصحف العثمانى ، كان خلوا من النقط والشكل ، فلما كثر اللحن والتصحيف فى قراءته ، رأى المسلمون فى وقت مبكر جدا ، أى فى زمن الحجاج الثقفى ، أن يدخلوا النقط والشكل على كتابة المصحف ، ولم يمنعهم توقيرهم واحترامهم لهذا الأثر الصحابى أن يديروه على الوجه الذى اقتضته الضرورة ، ودعت اليه ظروف الحياة المعاصرة .. !! فلماذا اذن لا نستجيب نحن لحاجة عصرنا ؟ ولماذا لا ندير الخط الاسلامى للمصحف على الوجه الذى يعصمنا من التصحيف أو التحريف عند قراءته ؟

والحق أن هؤلاء المتسائلين لهم أن يتساءلوا ، ولهم أن يطلبوا الجواب المقنع لما يتساءلون عنه فى هذا المقام ، والا ظلت هذه القضية قائمة بغير حكم قاطع فيها ، يمسكون بها فى صدورهم ، خواطر مزعجة ، ومشاعر قلقة ، أو يرسلونها دعوات هادئة هادية ، أو صيحات ثائرة ساخطة ، تثير غبارا ، وتحدث بلبلة وازعاجا ..

— ٥ —

والذين هم على صلة بكتاب الله ، وعلى اتصال بمدارسة علوم القرآن ، يجدون بين أيديهم أكثر من داعية ، وأكثر من حكمة تدعو الى الاحتفاظ بالرسم العثمانى للمصحف ، دون اجراء أى تعديل املائى عليه ، بالزيادة أو الحذف ، الا ما كان قد دخل عليه من النقط والشكل ، الذى صنعة الحجاج عن مناصحة ومشورة من علماء عصره .

ولعل أول شعور يدخل على المسلم ، وهو بين يدى المصحف أن هذه الكتابة الاسلامية التى هو عليها ، هى أثر صحابى ، يجد فيه ريح النبوة العطر ، ويستروح أريجها الطيب الزكى .. وهذا السبب وحده كاف للاحتفاظ بهذا الأثر العظيم ، الذى يجعل رسم المصحف على هيئة فريدة متميزة ، لا يشاركه فيها غيره مما كتب الناس ويقرءون فى الكتب ، والصحف والرسائل وغيرها .. ثم هو من جهة أخرى يحمل المسلم الحريص على دينه أن يبذل شيئا من جهده ، وأن يهيىء نفسه ، ويعدها اعدادا خاصا قبل أن يضع كتاب الله بين يديه ، فلا يهجم على المصحف فى غير تهيؤ واستعداد للقائه .. ان هذه الوقفة التى

يقفها المسلم فى مقام التعلم للقراءة المصحفية ، هى استحضار لمشاعره ، وايقاظ لوجدانه ، أشبه بما يكون منه قبل الوقوف بين يدى ربه فى محراب الصلاة ، من وضوء ، وأذان ، واقامة ، وتكبيرة احرام .. فاذا التقى بالمصحف بعد هذا ، التقى به وقد نقلته هذه الوقفة من حال الى حال ، ومن مقام الى مقام ، وهذا ما يليق بكلام الله ، الذى هو صفة من صفاته ، وصفاته عين ذاته ، وتجليات من تجليات ذاته ..

أفليس هذا وحده كافيا للتمسك بالرسم المصحفى للقرآن ، باعتباره ميراثا اسلاميا ، وأثرا صحابيا ، وشاهدا من شهود عصر النبوة ، ومعلما من معالم هذا العصر العظيم ؟ وبلى ، ثم بلى !!

— ٦ —

فاذا انكشف لنا بعد هذا أن الرسم العثمانى للمصحف القرآنى يقوم فيما يقوم عليه ، على اعتبارات تتصل بالقرآن ذاته ، لا من حيث الرسم الاملائى لألفاظه وحدها ، بل ومن حيث دلالة هذه الألفاظ على معان يشير اليها رسم اللفظ على صورة خاصة ، مغايرة للنمط المعهود فى الرسم الاملائى المتواضع عليه فى هذا العصر عصر كتابة المصحف العثمانى — أقول اذا انكشف لنا أن وراء الرسم العثمانى لبعض الكلمات ، اشارة دالة على معنى ، أو ملفتة اليه ، أفلا يكون ذلك أمرا ملزما لنا نحن المسلمين ، أن نقوم له مثنى وفرادى ، وأن ندفع عنه كل خاطر أو وسواس يريدنا على أن نغير من رسم المصحف ، بحجة التيسير على من يريد تلاوة آيات الله منه ، فتلك حجة داحضة أمام هذ هالمعجزة المتحدية ، التى يحملها الرسم العثمانى بين يديه ، والتى هى نفحة من نفحات كتاب الله ، وسر من أسراره ؟

وبلى .. أن ذلك أمر ملزم لا فكاك لنا عنه ، ولا تحلة لنا منه ، أن كان بنا حاجة الى فهم كتاب الله ، والى الوقوف على بعض أسراره ، وانها لحاجة قائمة أبدا ما دام لنا مقام بين يدى كتاب الله ، الذى لا تفنى عجائبه ، ولا تنفذ أسراره ، مهما ترددت عليه الانظار ، وتواردت على موارده العقول والأفهام .

— ٧ —

ولقد يسأل سائل : أهذه الدلالات المستقراة وراء رسم الكلمات المصحفية ، يمكن التعرف عليها ؟ وهل تقع من الأنظار المتوسمة فيهاموقعا واحدا ؟ وهل تعد هذه الدلالات تفسيرا لتلك الكلمات ، وبيانا لمعناها ؟ وهل نجد لذلك أمثلة وشواهد ؟

ونقول ان علماء القرآن لم يغب عن انظارهم هذا الأمر ، ولم يفتهم الوقوف عند هذه الظاهرة التى انفرد بها رسم المصحف ، بل وقفوا عندها طويلا ، وحاولوا أن يعللوا لها ، وأن يكشفوا عن بعض أسرارها ..

وانه لطبيعى أن تختلف الأنظار فى هذا المجال ، وأن تتعدد وجهات النظر فى التعرف على المدلول الذى يشير اليه رسم الكلمات على تلك الصورة الخارجة

على المألوف ، اذ كان هـذا الرسم ـ كما قلنا ـ لا يعدو أن يكون اشـارة من طرف خفى الى أن وراء هذه الكلمات شيئا غير ما يدل عليه ظاهرهـا .. وأن الأمر يقتضى شيئا من النظر والتأمل ، أكثر مما يعطى لغيرها من الكلمات التى كتبت على ما هو مألوف فى الخط العربى ..

وعلى هذا ، فان ما يأخذه الناظرون فى هذه الكلمات من معـان ، هو اجتهاد يعين على طول الصحبة لكتاب الله ، وترداد النظر فى هذه الكلمات ، ومقابلة بما يدخل معها فى القاعدة الاملائية .. ولا يجرى على طريقهـا فـى الخروج عن هذه القاعدة .. فبهذا ونحوه استطاع علماء القرآن أن يقيموا لهم مفهوما لتلك الكلمات ، وأن اختلفت مفاهيمهم ، وتعددت آراؤهم ..

وقد يقول قائل : وماذا أعطى هذا الرسم اذن من جديد فى هذا المقام ، اذا هو لم يعط للكلمات مفهوما واحدا يرتفع به الخـلاف بين المفسـرين لها ، والطالبين لتأويلها ؟ وما الفرق اذن بين هذه الكلمات فى رسمها الذى جـاءت عليه ، وبين غيرها من كلمات القرآن التى جاءت على الرسم المألوف ؟

ويتضح لنا الجواب على هذا فيما نعرضه من أمثلة لنظر العلماء فى بعض هذه الكلمات ، وفى فهمهم لها ، وفى تعقيبنا على هذا بما استقام لنا نحن أيضا من فهم ، نرجو أن يكون قائما على طريق الحق .

— ٨ —

ففى قوله تعالى : « لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه » « زيدت الـف فى رسـم كلمة » لا أذبحنه « فكتبت بلام والف بعدهما همزة ، على خلاف كلمـة (لأعذبنه) التى كتبت على الرسم الاملائى المعروف .

ويقول علماء القرآن تعليلا لهذا : ان من القواعد المقررة فى فقه اللغة ، أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. فأشعر ذلك بأن الزيادة هنـا ليسـت زيادة فى المعنى الاشتقاقى للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسبة للفعل المصاحـب لها ، فدلت الزيادة فى (لا أذبحنه) على أن سليمان يقصد بالذبـح فعلا أشـد وأنكى من فعل العذاب الذى توعد به الهدهد أولا !!

ونقول ـ والله أعلم ـ ان هذا الرسم الذى خرجت به كلمة (لا أذبحنه) على القاعدة المعروفة ، يراد به أن فعل الذبح خارج كذلك على مدلول الذبـح المألوف ، والذى يقع على الحيوان المراد تزكيته وتطهيره بالذبح ، حتى يـكون صالحا للأكل .. والهدهد طائر لا يؤكل ، ومن ثم فهو لا يذبح ، فاذا ذبح كـان ذبحه عقوبة له ، أشبه بذبح نفس حرم الله قتلها الا بالحق ! فـالذبح للهدهـد هنا ، هو عقوبة على جناية جناها ، تستوجب قتله !!

ومثل آخر نجده فى قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبـالا ولا أوضعوا خلالكم » .. فقد كتب الفعل : « ولا أوضعوا » هكذا بزيادة الـف بعد اللام الواقعة فى جواب لو الشرطية ..

ويقول علماء القرآن ـ ونعنى الزركشى ـ « ان الايضاع أشد افسـادا من زيادة الخبال » على حسب ما تقرر من قبل فى قوله تعالى : « لا أذبحنه » من أن الزيادة ليست زيادة فى المعنى الاشتقاقى للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسـبة للفعل المصاحب لها ، وهو قوله تعالى : « الا خبالا » ..

ونقول — والله أعلم — ان الآية فى شأن المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله — وأن الايضاع ضرب من السير المتماوج ، أشبه بالركض ، وقد يكون هذا الضرب من السير على طريق الخير ، للسعى فى كسب الرزق ، أو الجهاد فى سبيل الله ، ولكنه هنا سعى خارج على المألوف الغالب من تحرك الناس وتقلبهم فى وجوه الأرض .. هو سعى سقيم معلول ، يتمشى بين الناس كمايتمشى الداء الخبيث ، الذى سرعان ما تنتقل عدواه من السقيم الى الصحيح ..

فالألف الزائدة هنا ، هى اشارة الى أن هذا الفعل فى موضعه هذا ، هو فعل معلول ، ينبغى التوقف عنده ، للفحص عن علته ، التى يحملها فى كيانه ..

ومثل آخر ، للحذف ، لا للزيادة .. نجده فى التفرقة بين رسم لفظ الكتاب ، ولفظ القرآن ..

فقد التزم المصحف الامام رسم لفظ الكتاب من غير ألف ، هذا : (الكتب) على حين التزم رسم لفظ (القرآن) باثبات الألف .. هكذا « القرءان » .

ويقول الزركشى فى التعليل لهذه المفارقة : ان القرآن هو تفصيل الآيات التى أحكمت .. فالقرآن أدنى الينا فى الفهم من الكتاب ، وأظهر فى التنزيل ، قال الله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقال سبحانه : « كتب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون » .. وقال : « ان علينا جمعه وقرءانه » ولهذا ثبتت فى الخط ألف (القرءان) وحذفت ألف (الكتاب) ..

وفى رأينا — والله أعلم — أن هذا الذى ذهب اليه الزركشى فى التعليل لهذا الاختلاف فى رسم كلمتى الكتاب والقرءان — يقبل أن يضاف اليه قول آخر ، وهو أن الكتاب يحتاج الى عالم بالكتابة ، يعرف دلالة رسم الحروف ، ويقدر على انطاق ما خط فى المصحف ، وليس كذلك الأمر بالنسبة للقرآن ، الذى يمكن أن يتلقى عن طريق السمع من قارىء يقرؤه من الكتاب ، أو حافظ يتلوه من صحائف صدره ، فالطريق الى القرآن عن طريق السماع والمشافهة ، أيسر من الطريق اليه عن الكتاب .. ولهذا رسم لفظ الكتاب بهذا الرسم الذى يدل على الغرابة ، والذى يدعو من يضع الكتاب بين يديه أن يكون على قدر كبير من الحذق والمهارة فى فن الكتابة حتى يستطيع أن يقرأ الكلمات قراءة صحيحة ، وان خفيت بعض أصولها ، وذهبت بعض معالمها .. وفى هذا احتفاء بشأن القراءة ، والتمكن منها ، والاستدلال بالبعض على الكل ، وبالحاضر على الغائب ، وبالمشهود من صحف الوجود على المستور منها .. وليس هذا بالمستغرب من رسالة كان مفتتحها قوله تعالى: « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وهكذا ، يجد الدارس للكتابة المصحفية أكثر من داعية تدعو الى الاحتفاظ بهذا الأثر الجليل ، والابقاء على هذا الميراث العتيد ، الذى هو — فوق ما فيه من اشارات ودلالات تتصل بمعانى القرآن — معلم من معالم العصر النبوى ، وشاهد من شهوده ، يصل أجيال المسلمين به ، ويشدهم اليه ، حيث تتفتح قلوبهم ، وتهيج مشاعرهم ، بما يطلع عليهم من ذكريات أيام الله تلك ، التى أشرقت الأرض فيها بنور ربها ، والتقت الانسانية فيها بخاتم المرسلين اليها ، هدى ورحمة للعالمين .



للدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى ان كل موجود لا بد له من موجد ، وان الايمان بذات عالية رقيبة على السرائر أقوى سلطانا على النفس من مجرد الايمان بقيمة الفضيلة والسلوك الحسن ، وأن الايمان يتحقق بالتصديق ويتم ويكمل اظهاره بالقول والعمل الصالح . ولذا فانه يزيد وينقص ، وأن العمل الذى يكمل الايمان به هو ليس فقط العبادات المألوفة وانما هو كل فعل من افعال الخير النافعة للجماعة ما دام اسس على التقوى — وقد وعدنا بالكلام هنا عن العقائد التى طلب الشارع منا الايمان بها فنقول :

العقائد الاساسية التى طلب الله منا الايمان بها هى أن نؤمن بالله سبحانه وبصفاته وانه يصطفى من عباده من يشاء . فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأن تبليغ رسالاته لرسله يكون عن طريق ملائكته الذين هم السفراء بين الله سبحانه ورسله وأن نؤمن بما أخبرنا به فى كتبه من البعث والحساب والثواب والعقاب يقول سبحانه جل شأنه ((**آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله**)) كما يقول فى صفات المتقين : ((**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون**)) ..

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الصحيحين المعروف بحديث جبريل ، جملة ما يجب الايمان به فى قوله وقد سأله جبريل (أخبرنى عن الايمان) ؟ فقال صلوات اللـــــه وسلامه عليه : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

والاسلام الذى جاء به محمد ـــ النبى الامى الذى أصطفاه ربه من بين خلقه فأعده لتحمل رسالتـــه ـــ لا يحمل الناس على الايمان بهـــذه العقائد على كره منهم اذ يقول الله سبحانه : **(لا اكراه فى الدين)** ويقول لنبيه : **(ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .**

كما لا يحملهم على الايمان بها عن طريق الخوارق والمعجزات وانمـــا يوجههم الى ذلك بالحجة والبرهـــان مخاطبا عقولهم لا عواطفهم ، فوجههم الى النظر فى انفسهم كيف وجدوا ، وفى الكون المحيط بهم الملىء بالأسرار والقدرات يقول الله : **(وفى الارض آيات للموقنين . وفى أنفسكم افـــلا تبصرون)** ويقول : **(ان فى خلـــق السموات والارض واختلاف الليـــل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله مـــن السماء من ماء فأحيا به الارض بعـــد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)** ويقول سبحانه: **(وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحـــد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .**

وهكذا نرى ان استعراض عجائب الطبيعة والكون كان لتوجيه كل عاقل الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه فى نفسه ودقة تركيبه : النطفـــة وتحركاتها وتطورها الى مراحـــل الانسان المختلفة كما يقـــول الله سبحانه : **(ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفـــة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحـــام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم مـــن يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) .**

تأمل سيطرة المخ على ســـائر أعضاء الجسم ، وتأمل حركة القلب ونبضه فى دقة دون توقف ، تأمـــل عدسة العين التى بها الابصار ، وهى تلقى صورة على الشبكية وهى طبقات عشر منفصلة وهى فى مجموعهـــا ليست اكبر سمكا من ورقة دقيقـــة والطبقة التى فى أقصى الداخل تتكون من اعداد ومخروطات تبلغ الملايين عـــدا . .

تأمل المعدة وهى تتلقى كل ما ترسله اليها من طعام وشراب على اختلاف أنواعه وأصنافه وعديد عناصره . فتتحلل كل هذه الانواع تحليلاكيمائيا فى أكبر معمل كيمائى من صنع الله ، وتوزع الى مواد تصلح الى كل خلايا الجسم التى تزيد عدها فى جســـم الفرد على عدد الجنس البشرى كله، ويجب ان يكون التوريد الى كل خلية فردية مستمرا وبانتظام وبالنوع الذى تحتاجه كل خلية لتحوله بدورها الى عظم ولحم وظفر وشعر .. انها معمل كيمائى ينتج من المواد المختلفة اكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره ذكاء الانسان

وان نظام التوريد والتوزيع أدق من أى نظام عرفه العالم ووصلت اليه البشرية فى أزهى عصورها ،فهل وجد كل ذلك مصادفة من تلقاء نفسه أم هو من صنع الله خالق كل شىء ؟!

قد يتشدق انسان جحود ويقول: ان الانسان اوصلته مداركه الى غزو الفضاء والتعرف على ما فيه من أسرار وصنع العجائب والمعجزات ..

ونحن نقول له : من الذى أمده بهذا العقل وأعانه بهذا التفكير وزوده بهذه المعلومات ، انه الله خالق كل شىء وواهب الحياة والموت . ومع هذا فهل وصل الانسان الى ما وصل اليه باختراع شىء من عنده واستخدام شىء من خلقه هو . أم باستخدام بعض ما اكتشفه فى الكون من قوى . فمن الذى أوجد هذه القوى هل الانسان خالق الذرة ؟ وهل الانسان تحكم فى الكون واكتشف كل ما فيه ؟ الله جلت قدرته يقول على لسان رسوله الأمى : (علم الانسان ما لم يعلم) ويقول : (وفوق كل ذى علم عليم) .

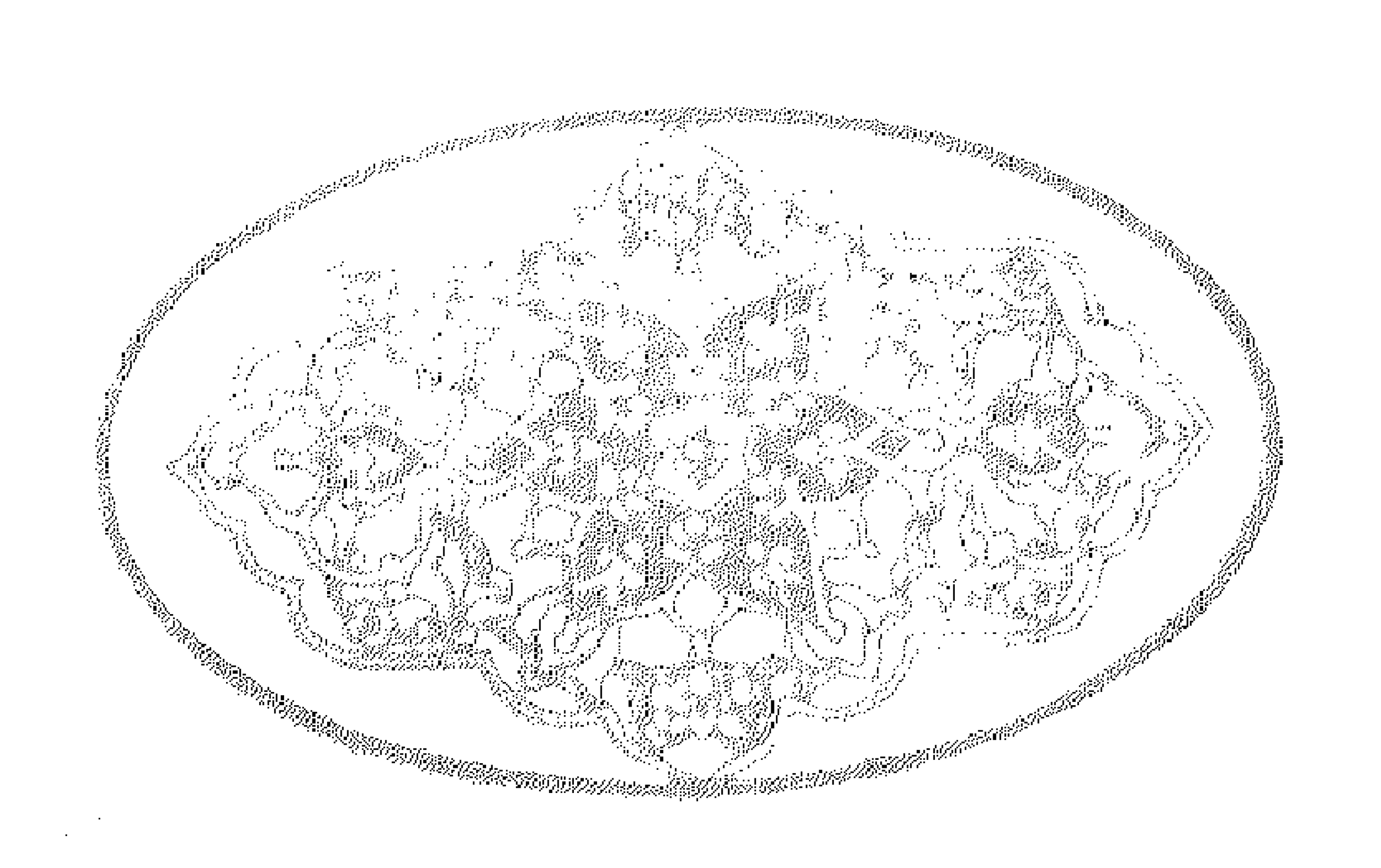
وقد كان أسلوب مخاطبة العقل وحده مسلك المسلمين فى توجيه الناس الى الايمان فهذا الاعرابى حين سئل كيف عرفت ربك ؟ فقال : (سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج ألا تدل على اللطيف الخبير) . وهذا الامام جعفر الصادق وقد جاء له بعض الزنادقة الذين يتشككون فى وجود الله فقال له الامام جعفر هل ركبت البحر ؟ قال : نعم . قال : هل رأيت أهواله؟ قال : نعم . هاجت أمواجه ذات يوم فتكسرت بنا السفينة وكادت الامواج أن تبتلعنا فتعلقت ببعض الواحها وفجاة انفلت هذا اللوح من يدى وغلب اليأس على نفسى وكدت استسلم للغرق وان كنت أرجو السلامة فقال له الامام جعفر : ممن كنت ترجوها ؟! فسكت الرجل . فقال له الامام جعفر: انك كنت ترجوها من الله الذى عرفه قلبك وقت الشدة . وهذا الامام ابو حنيفة وقد اراد بعض الملحدين ان يفتكوا به خلسة وهو بالمسجد ليتخلصوا من مهاجمته لهم فلم يقنط من رحمة الله ، وقال لهم فى ثبات وايمان : أجيبونى عن مسألة ثم افعلوا بى ما شئتم : فقالوا : مامسألتك فقال:انى رأيت سفينةمليئة بالبضائع تمخر عباب البحر تحيط بها أمواج متلاحقة ، وعواصف قوية ومن الغريب أنها تسير فى خطها باتزان وثبات دون أن يكون لها ملاح يقودها ويوجهها ولا أحد يتحكم فيها فى مسيرتها . فسخروا منه فقالوا : كيف تحملنا على تصديقك فى شىء لا يقبله العقل ولا يتصوره ؟ فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله لا يقبل عقلكم ذلك ويقبل ان يقوم هذا الكون بما يحتويه من كواكب ونجوم ونظام دقيق من غير صانع ولا حافظ ومسير ؟! فبهتوا وآمنوا وحسن ايمانهم ..

وهذا الامام الشافعى وقد سأله بعض الملحدين الدليل على وجود الله فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد لكن تأكلها دودة القز فتخرج الحرير ، ويأكلها النحل فيخرج العسل ، وتأكلها الشاة فتربى اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى فوالجها المسك . فمن الذى جعل هذه الاشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد !! انه الله سبحانه ..

فالايمان بالله وانه وحده بجانب العبد يعينه ويشد أزره له قيمة لا يقدرها الا المؤمن ، وأن الفضائل الاجتماعية خاصة انما هى أثر من آثار الايمان بالله . واذا تأملت ما دعا الله سبحانه فى كتابه عباده الى الفكر فيه اوقفك على العالم به سبحانه وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ، ورضاه وغضبه وثوابه وعاقبه فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكير فى آياته . .

ففيم يختلف الناس فى أمر هذا الخالق وكيف يتنكر الناس للقائه بعد ذلك . اليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الانعام ويتمتعوا كما تتمتع ويرخوا لانفسهم حبل الامل فى حياتهم لتلعب وترتع؟! ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون . **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار)** .

ثم حسبك ان الله سبحانه يكرر تصوير هذه المعانى لافتا بها الاذهان الى تقويم العقيدة وغارسا بها فى النفوس الطيبة معانى الاذعان لله سبحانه وحده بالعبودية ولصفاته بأنها فوق مستوى التصوير والادراك وهكذا نجد منطق القرآن الكريم الذى هو خير مؤدب لمن تعلمه وأكبر موجه لمن تدبر فى آياته ذلك المنطق يقضى بربط النظر فى الكون وفى أنفسنا بتصحيح الايمان واصلاح العقيدة اصلاحا يحقق معنى خلافة الله فى الارض وان يقوم الناس بالاحسان والقسط ينشرون العدل والسلام ويتعاطون فيما بينهم الحب والوئام. فلعمر الله ان من لم يتعظ بتوجيهات الله سبحانه بعد أن يؤمن به ايمانا كاملا صحيحا ، ويتدبر ما لفت اليه الذهن والروح لجدير أن تزيغ عقيدته وأن يمشى مكبا فى هذه الحياة على وجهه **(ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور)** .





أمضى الطالب المجد المجتهد عشرين سنة فى دراسة علوم اللغـــة العربية نحوا وصرفا ، وحين أتقن تلـــك العلوم سأل أستاذه قائلا : « لو بسطت كتب اللغة العربية لأتقنت علوم العربية بسرعـــة ولاقتصدت من عمرى أكثر ما أنفقته فى الدراسة » فقال الشيخ النحوى : « لو بسطنا هذه الكتب ، فمن أين نأكل ؟ ! » . .

لقد هول قسم من أساتذة اللغة العربية أمر تعلمها ، وجعلوه بدرجة من الصعوبة والتعقيد بحيث لا يقوى على تعلمها أحد الا بمشقة بالغـــة وجهد جهيد . .

وكثيرا ما نسمع بعض الناس يرددون تأكيدا لصعوبة تعلم اللغـــة العربية قول أحد أئمة النحو الذى قال : « سأموت وفى نفســـى شىء من

حتى » .. ولا أحسب الرجل قال هـــذا الكلام ، ولا ادرى كيف يصدقه عاقل ..

وجاء الاستعمار فوجد فى هذه الفريسة فرصة ذهبية له : يروجهـــا لابعاد العرب عن اتقان لغتهم ، وابعاد المسلمين عـــن تعلمها بحجـــة أن العرب يصعب عليهم تعلمها ، فكيف بغير العرب .. !

وسافرت البعثات العلمية من العرب الى الخارج ، فتلقى العـــلم كثير من الطلاب العرب على أساتذة من يهود وحاقدين على العربية ، وتلقوا مع فتات العلم كره العربية والاشمئزاز منها .

ولم يكن للعديد من هؤلاء الطـــلاب العرب رصيد من علوم العربية فصدقوا مزاعم أساتذتهم الأجانب ، فلما عادوا الى الوطن العربى بدأوا ينفثون سمومهم بترديد مزاعم أساتذتهم على أسماع التلاميذ والطـــلاب العرب ، ثقة بتلـــك المزاعم تـــارة ، ودفاعا عن جهلهم بلغتهم العريقـــــة تارة أخرى .

وقد أتى على قسم من الاساتذة العرب الذين تعلموا فى الخـــارج حين من الدهر ، كانوا يذكرون الكلمة الاجنبية ثم يقولون : لا نعرف كيف نعبر عنها فى العربية !

وكان أولئك الامعات التافهون ، يتحاورون فيما بينهم باللغة الأجنبية، تظاهرا بالثقافة وأظهارا لعظمة اللغة الغربية من جهة وعجز اللغـــة العربية من جهة اخرى .

وظهرت بوادر محاولات مريبة ، مصدرها الاستعمـــــار واذنابه ، تحاول احلال اللغة العامية محل العربية الفصحى ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، بالاضافة الى التخاطب بالعامية من فوق منابر الجامعـــــات والمعاهد والمدارس .

بل ذهب قسم من هؤلاء الى مدى ابعد ، فألفوا الروايات المأجـــورة فى اضحاك الناس على المتكلمين بالفصحى ، واظهارهم بمظهر التخلف والرجعية ..

وقد قرأت مقالا فى مجلة عربية ، كله هجاء مقذع للعربية الفصحى ، قال كاتبه فيه : « أن العربية الفصحى لغة أهل القبور وأهل الكهوف .. » .

وخطط الاستعمار وأذنابه لهدم العربية من أصولها فى محاولـــة لاقتلاعها من جذورها ، وذلك باسناد التحرير فى الصحف والمجـــلات لمن لا يحسن العربية أو لمن يكرهها ، وبالحط من قيمة المدارس والمعاهـــد والجامعات التى تعلم العربية ، وباضعاف القيمة المعنويـــة للمدرسين والاساتذة المتخصصين باللغة العربية باعتبارهم من الدرجة الثانيـــة أو الثالثة بالنسبة لغيرهم من المدرسين والأساتذة ، وبالاصرار المتعمـــد على تخريج معلمين وأساتذة للعربية ضعفاء فى مادتهم أو يكرهون العربيـــة ، وبمكافحة سدنة اللغة العربية من الشيوخ والاساتذة ، وبترويج النكات التى تمس بسمعة مجامع اللغة العربية وأعضائها فى الوطن العربى ، وبتخصيص الجوائز المادية للذين ينتقدون العربية ويعادونها ..

ولكن ، هل ماتت العربية ؟؟ !

لقد تأثرت الفصحى بتلك المحاولات ، ولكنها لم تمت ولن تموت أبدا ،

وليس الضعف فى العربية ، ولـكن الضعف فى العرب .. مع الأسف الشديد .

واذا استطاع التافهون والامعات من أبناء العرب الذين حاربوا لغتهم أن يسرحوا ويمرحوا ساعة ، فلـن يستطيعوا أن يسرحوا ويمرحوا الى قيام الساعة .

إن الخزى والعار يلاحقهم فى حياتهم وبعد موتهم ، كما يلاحق الذى يجرب شجاعته بوالدته فيطعنها من الخلف فلا يفعل أكثر من اثبات خسته وجبنه الأصيل .

فما هى أهداف مخططات دعاة العامية ودعاة الكتابـة بالحـروف اللاتينية ؟

ان أهداف دعـاة العامية كثيرة جدا ولكن أهمهـا قطع دابـر أول أساس من أسس الوحدة العربية وأول دعامـة مـن دعائم التعـاون الاسلامى ..

إن أول مقومات الوحدة هى اللغة ، وحين نذكر الوحدة العربيـة ونطالب بها ، نذكر اللغة المشتركة بين العرب مقومـا أساسيا للوحـدة فاذا تكلم كل قطر بلغته العامية المحلية ، استحال التفاهم بالعامية بين العرب ..

كان أحد شيوخ فلسطين ضيفى ، وكنا نتحدث عن دعاة العامية ، فضربت له مثلا حيا بالكلام بلغة الموصل العامية ، ثم سألته : هل فهمت شيئا ؟ فقال : لا ..

والأغرب من ذلك ، أن جماعة من سكـان بغداد كانوا ضيوفى وكانوا يسمعون هذه المناقشة ، فلم يستطيعوا فهم لهجتى الموصليـة العامية ..

وقد أرسلت الدار القومية للنشر والتوزيع الى فرعها فى بغداد سنة ١٩٦٥ م بعض الكتب المكتوبة باللهجة العامية ، فلم يشتر أحد نسخة واحدة من تلك الكتب ، وأخيرا أضطر مدير فرع الدار القومية فى بغداد أن يبيعها بالوزن بثمن بخس دراهم معدودات .

ثم إن فى القطر العربى الواحد لهجات عامية متعددة ، فبأى لهجة من لهجات الاقطار العربية يريد أن يكتب دعاة العامية ، بل بأى لهجـة محلية فى القطر الواحد يريدون أن يكتبوا .

إن الموصل مثلا ، وهى مدينة عريقة فى شمال العراق ، كانت عربية قبل الفتح الاسلامى الذى جرى سنة ست عشرة الهجرية ، وكـان يقطنها **النمر ، وأياد ، وتغلب حين فتحها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب** رضى الله عنه .

هذه المدينة الواحدة ، فيها ما لا يقل عن خمس لهجات عامية !

إن اللهجات العامية تمزق كل مدينة عربية ، وتشتت كل قطر عربى ، وتفرق كل الاقطار العربية .

لذلك استهدف دعاة العامية تمزيق الامة العربية وتشتيتها وتفرقة صفوفها ..

هم يريدون أن يجعلوا من الشعب العربى الواحد ، شعوبا كثيرة لا تعد ولا تحصى ..

وهم يريدون ان يجعلوا من الأمة العربية الواحدة أمما ، ومن الاقطار العربية التى ستشملها الوحدة عاجلا أم آجلا باذن الله أقطارا تفصل بينها الحدود والسدود .

وهم يريدون أن يجعلوا من أمل الوحدة العربية التى لا أشك فى تحقيقه مستحيلا من المستحيلات .

لقد ذكر أنتونى ناتنك فى كتابه : « رايت بنفسى » أن وزارة الخارجية الاسرائيلية صرحت له بأنها ستقاوم كل مشروع للوحدة العربية بكل الوسائل ، لأن فى اتحاد العرب نهاية اسرائيل ..

وأتساءل : هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف اسرائيل ؟ !

ومن أهداف دعاة العامية أن يصبح هذا القرآن مهجورا .

إن عظمة القرآن هو نسجه البيانى المذهل ، فاذا سادت العامية ، فان لغة القرآن الفصحى لن تفهم للمثقفين بالعامية الا بدراسة اللغة العربية الفصحى .

كانت اللاتينية هى اللغة الأم للاسبانية والبرتغالية والايطالية والفرنسية وغيرها من اللغات ، وحين نجح دعاة العامية وكتب كل قوم بلغتهم المحلية ، أصبح الاسبانى أو البرتغالى أو الايطالى أو الفرنسى لا يستطيع أن يفهم اللاتينية الا اذا درسها وكأنها لغة غريبة جديدة عليه .

وبالتالى ترجم الكتاب المقدس من اللاتينية الى لغاتها العامية المتفرعة منها ، كما أصبحت الدول التى كانت تجمعها اللغة اللاتينية دولا متفرقة حاربت بعضها فى كثير من الاحيان حربا لا هوادة فيها .

فاذا كتب المصرى بالعامية المصرية والسورى بالعامية السورية والعراقى بالعامية العراقية .. الخ .. فان أولادنا وأحفادنا لن يستطيعوا فهم القرآن الكريم الا بعد نقله الى العامية أو بعد دراستهم العربية الفصحى !

وهنا يتفق دعاة العامية مع غلادستون المستعمر البريطانى الشهير واضرابه من أعداء العرب والمسلمين ، فقد قال غلادستون : « لا يزال العرب والمسلمون بخير ، ولا يزالون يصاولون الاستعمار ويحبطون مخططاته ما دام القرآن بين ظهرانيهم .. يجب تمزيق هذا القرآن » ..

وأتساءل مرة ثانية ، هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف الاستعمار ؟ !

والنتيجة بعد ذلك أن نلغى تراثنا العريق المكتوب بالفصحى جملة وتفصيلا ، ويبقى ركاما فى المكتبات أو سلعة فى السوق الرخيصة التى تبيع أطنان الكتب بأرخص الأسعار .

واللغة العربية : هى الرباط المقدس بين الشعوب الاسلامية باعتبارها لغة القرآن الكريم ، وقد زرت الباكستان عام ١٩٦٤ م فوجدت الناس على اختلاف طبقاتهم يتلون القرآن ويفهمون العربية بمقدار ، وقد احتفل بنا عميد الجامعة الاسلامية فى مدينة (دكا) — اكبر مدن باكستان الشرقية — وحرص على القاء كلمته الترحيبية بالعربية الفصحى بلغة الجاحظ وابن العميد لا بلغة أدباء القرن العشرين .

فاذا حقق دعاة العامية دعوتهم ، فسينفرط هذا العقد الذى يجمع الأمة الاسلامية من المحيط الى المحيط ، ولا تبقى صلة بين العرب ، وإخوانهم المسلمين .

إن اسرائيل تعلم أن المسلمين هم السند القوى للعرب فى المطالبة بحقوقهم المغتصبة ..

وهى تشجع التبشير والمبشرين علنا ، لأنها تعلم أن الذى يصبح مسلما يكون حليفا طبيعيا للعرب وقضاياهم المصيرية .

فكيف نفرط بهذه الصلة الوثيقة بين العرب والمسلمين .. كيف .. ؟

إن يهود العالم يتعلمون العبرية باعتبارها لغة التوراة أولا ولأنها لغة قومية تجمع شملهم وترص صفوفهم ، وتظهرهم للعالم شعبا واحدا وامة واحدة .

هم يتعلمون هذه اللغة فى أوطانهم الأصلية ، فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا وفى كل دول الشرق والغرب التى يعيشون فيها .

وهم يتعلمونها حين يهاجرون الى اسرائيل ويستقرون فيها ، وحينذاك يصبح تعلمها فرضا لا مناص من أدائه .

انهم يحيون لغة ميتة ليعيشوا ..

والمشبوهون من العرب يحاولون إماتة لغة حية لتتلاشى الأمة العربية .

وقد بدأت الهجرة المنظمة الى فلسطين سنة ١٩٠٧ م وظهر وعد بلفور سنة ١٩١٧ م وتكاثفت الهجرة اليهودية الى فلسطين سنة ١٩٢٧ م بمعاونة الاستعمار البريطانى وتشجيعه .

واتساءل مرة رابعة : هل من الصدفة أن تظهر الدعوة الى العامية فى هذه المدة الزمنية بالذات ؟ !

هل من الصدفة ان يبنى الصهاينة العبرية فى هذه المدة الزمنية تمهيدا لخلق اسرائيل . وأن تظهر بدعة الدعوة الى العامية فى هذه المدة لتكون احدى عوامل البلبلة واضعاف العرب وفك رباطهم بالمسلمين ؟

إن أهداف دعاة العامية هى : جعل الأمة العربية أمما ، ومحاربة الوحدة العربية فى أقوى مقوماتها ، ومحاولة جعل القرآن الكريم مهجورا والغاء التراث العربى الاسلامى جملة وتفصيلا ، وتعطيل التعاون بين العرب والمسلمين ، وتهيئة الأسباب نتيجة لكل ذلك أن تطبق اسرائيل مخططاتها التوسعية الاستيطانية فى اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

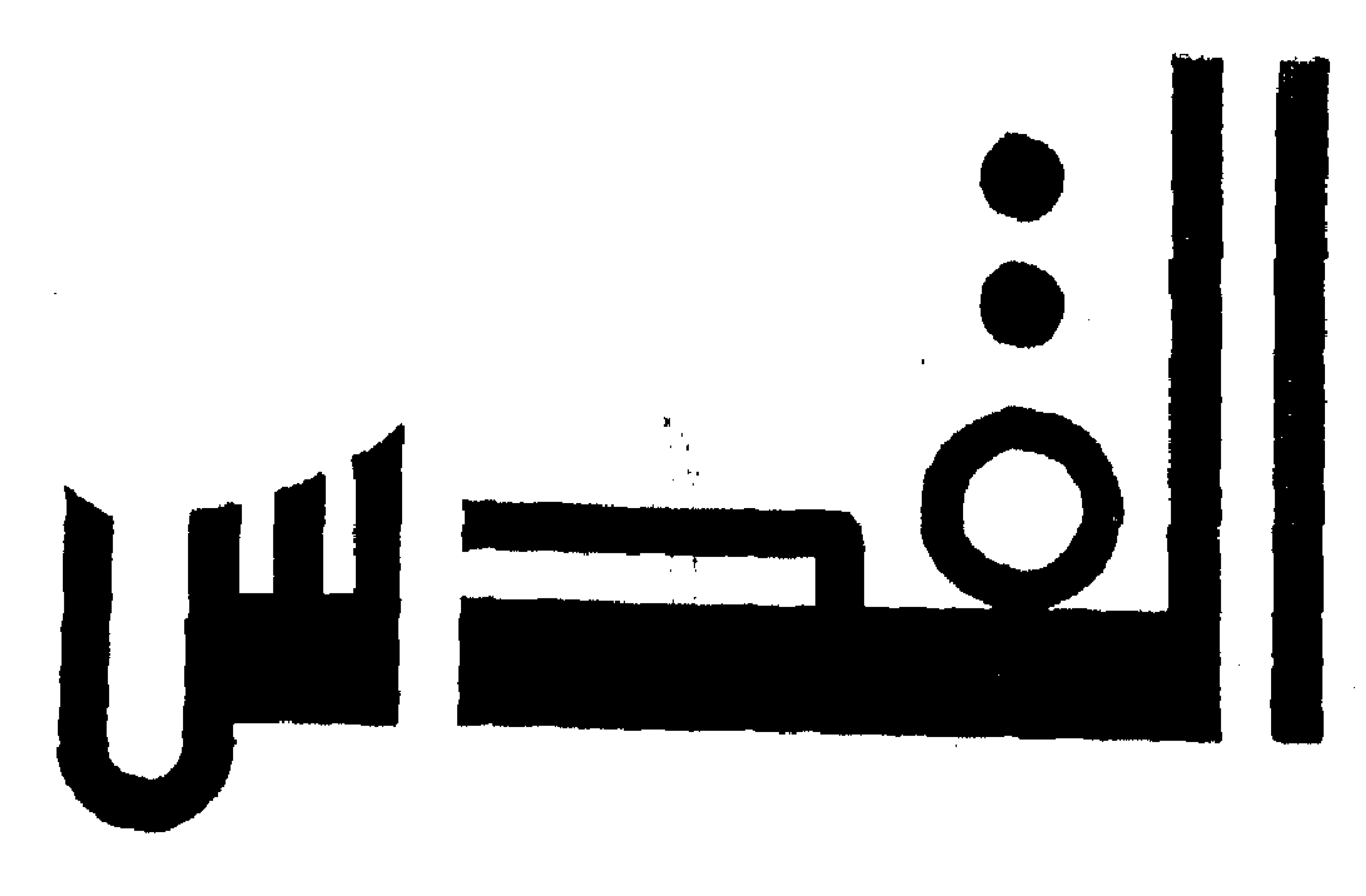
واذا كان غيرى قد أحجم عن فضح دعاة العامية قبل اليوم كما ينبغى، فأنا لا أتردد من اتهامهم بالعمالة لاسرائيل وللاستعمار ولأعداء العرب والمسلمين ..

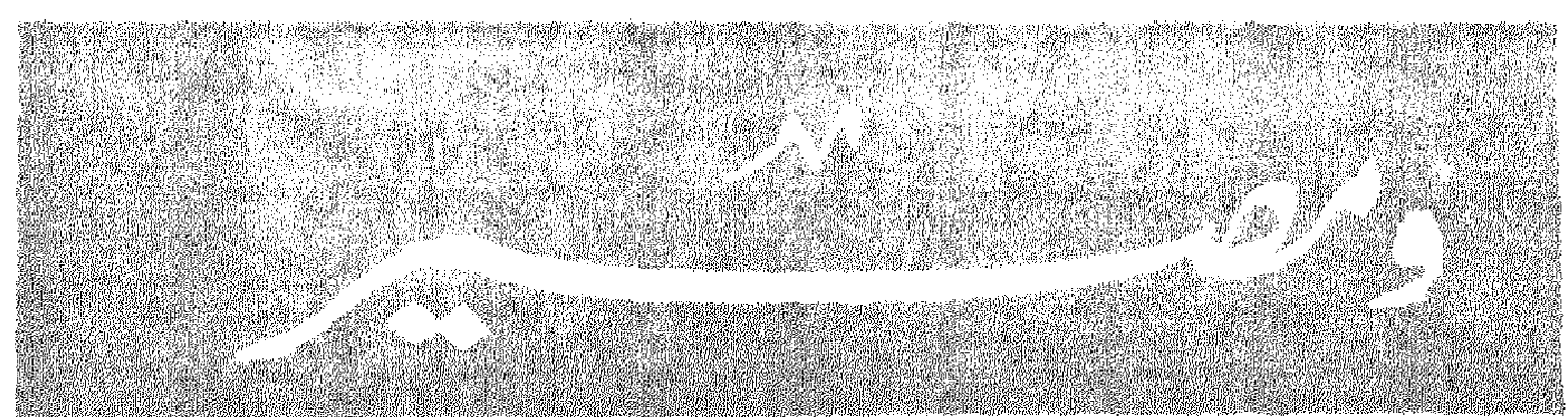
إن وجود أمثالهم بين ظهرانينا من مصلحة العدو ، ما فى ذلك أدنى شك !

تلك هى مجمل أهداف دعاة العامية ، **ولكن الله غالب على أمره** ، وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، وقد قال المفسرون فى تفسير « حافظون » — حفظه عقيدة ولغة .

فما هى أهداف دعاة الكتابة بالأحرف اللاتينية ؟ وما وسائل تعليم اللغة العربية الفصحى ؟

ذلك هو موضوع حديث جديد باذن الله !





القدس ـ أعظم قضايا العالم خطورة

فى الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من (تاريخ العالم) المشهور للسير جون هامرتن ملاحظات دقيقة عن ظاهرة تاريخية تثير العجب ، ألا وهى بروز القدس فى صدر العالم كله ، حين تجتاز البشرية مراحل انتقالية خطيرة مصيرية مؤثرة لمدى أجيال عديدة ..

فالقرن السادس قبل الميلاد شهد انتقال زمام المبادرات الحضارية من أيدى العناصر السامية والمصرية الى أيدى الآريين من فرس ويونان ورومان وفيه دمر بختنصر الهيكل وسبى اليهود الى بابل ، ثم كان انتصار كورش الفارسى لهم ، ورده اعتبارهم ..

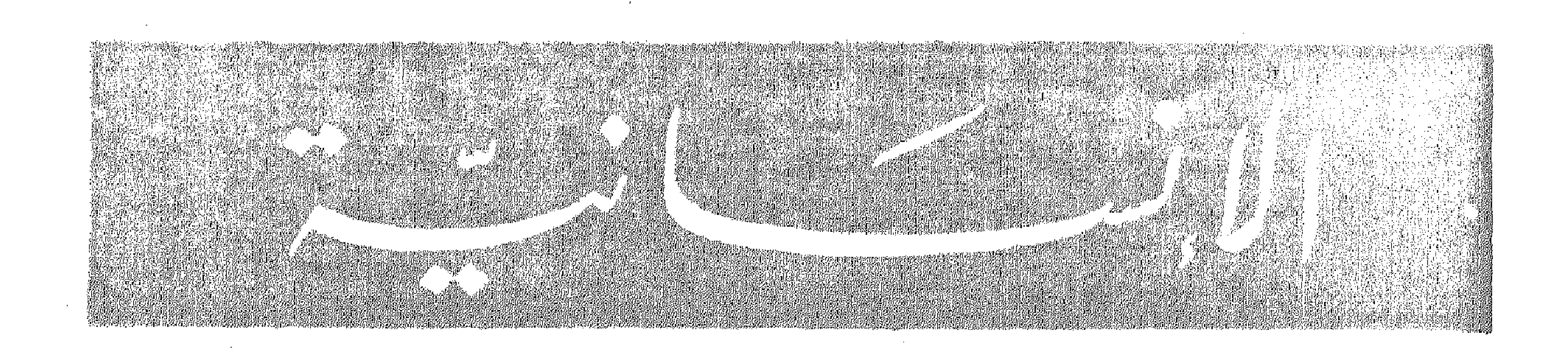
وفى القرن الاول الميلادى ، وفيما كان الرومان يؤسسون سلطانهم المطلق على أخطر رقاع الارض ، وأعظمها شأنا دمر الهيكل وأعيد شتات اليهود ..

وكان فى وسع المؤلف نفسه أن يضيف الى ذلك بقية حلقات السلسلة التاريخية الى ساعة الازمة الكبرى التى تواجه العالم اليوم، وتتركز حركة محورها فى القدس ، لولا أن بحثه كان قاصرا على العالم القديم ..

كان فى وسعه أن يضيف أن القرن السابع الميلادى شهد مرحلة حسم تاريخية بظهور الاسلام . .

وان من القدس بالذات كان منطلق الرسول محمد عليه السلام الى السماء وذلك فى الرحلة المعجزة التى أكدت فى أخطر مراحل الدعوة الاسلامية حقيقة تحول التاريخ من المكان ذاته ..

للأستاذ حميد العناني



وبعد ذلك بستة قرون أخرى تقريبا ، وفى القدس بالذات ، وفى ليلة الاسراء والمعراج أيضا قرر انتصار صلاح الدين هزيمة الإرادة التى حاولت اخراج الاسلام من معركة الوجود القديمة ، بعد أن وضحت نوايا البغى المسدد الى قلب الاسلام على شكل حملة وجهت الى مهد الاســلام فى يثرب ومكة ولكنها فشلت كما هو معروف ..

وبعد خروج آخر جندى من الغزاة من ثغر طرابلس أيام المماليك بستة قرون أيضا ، وفى مرحلة تحول تاريخية فتحت معركة جــديدة تحت شعارات جديدة ، ولكنها فى جوهرها مرحلة مستجدة من المعركة القديمة وكانت القدس هى الهدف ، وهى محور الصراع الذى يفتتح تحولا تاريخيا جديدا ..

عداء قديم لارادة الخير فى الوجود البشرى :

ومن كتاب (اليهود والراسمالية المعاصرة) الذى أعد مــادته بصبر عجيب دماغ يمثل كل ما فى العقلية الالمانية من اصرار وعنــاد فى تحرى الحقائق ، واستخراج مكنوناتها من أدق التفاصيل والشوارد ، فى هذا الكتاب حديث عن حوالى خمسمئة أسرة يهودية يعود بعضــها الى اصول اندلسية ــ وبعض هذا البعض كان منتحلا اسماء عربية ومدعيا الاسلام ، وبعضها يعود الى عناصر يهودية كانت متركــزة فى المحطات التجارية لاتحاد مــدن الهنسا المهيمنــة على تجـــارة العصر الوسيط ، ومنها ما هو من هذه المدن الايطالية التى انتفعت أعظم انتفاع

من الحروب الصليبية حتى وصل بها الحال الى استدراج الشباب والاغرار لحملات أخرى ثم بيع حمولات سفن منهم رقيقا فى شمال افريقيا وغيرها ..

هذه الاسر تنقلت فى أوروبا الغربية منذ عهد شركات الهند الشرقية المربحة ، وأيام الغزوات الاستعمارية البربرية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطي ، وأيام المشاريع الكبرى بعد الانقلاب الصناعى فى أوروبا الغربية وترى العائلة تنتحل اسماء مسيحية، وقد تمارس كل ما يمارسه المسيحى فى الظاهر للعيان من حياته ، ثم اذا هى فى مكان آخر وتحت ظرف آخر تتحول لاسماء أخرى وأنشطة مختلفة وقلما تظهر على حقيقتها اليهودية ..

هذه العائلات فيما بينها ، ما ظهر منها وما استخفى ، وما ثبت فى مكان وما انتقل الى سواه ضمن مخطط خفى عجيب كانت المنتفعة الاساسية من كل التحركات والتحولات التاريخية العظمى ، ومن كل المخترعات العلمية ، والاستكشافات الجغرافية ، والتحولات الاجتماعية، والثورات الدامية ، والحروب الاستعمارية ، ثم أخيرا الازمات الاقتصادية الطاحنة والحروب العالمية . ناهيك عن وسائلها الخفية الاخرى ..

وهذه العائلات اليهودية كانت تخطط لشىء كبير جدا فى العالم يكون منطلقه من القدس ..

رجعة ثانية الى (تاريخ العالم) وتساؤلات أخرى أيضا :

ان كاتب الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من تاريخ العالم ليس مسلما ولا عربيا ولكنه دكتور فى اللاهوت ، أجنبى لا استطيع اثبات جنسيته ، وانما أعود اليه لأقتبس منه بعض فقرات تعيدنا الى أصل الحكاية ، وتلقى على حاضر القرن العشرين أضواء كاشفة تعود الى أكثر من الفى سنة ، واحب أن أبين أن ما قد يبدو قديما موغلا فى القدم ، مبتور الصلة بالحاضر فى حياة الشعوب قد يكون حاضرا ماثلا كالعيان فى حاضر اليهود ، لان جوهر المزايا اليهودية التى تستطيع تجديد عذاب الانسان فى الارض ما يزال باقيا على حاله ، وهو جوهر عبقرى فى اصراره وعناده وثباته ، قادر على احتمال سائر المناخات فى المجتمع الانسانى ، لم ينهزم هزيمة صريحة مشروعة بشكل الحق ومحتواه الا على يد محمد صلى الله عليه وسلم ..

والآن الى فقرات كتاب (تاريخ العالم) (ان فى تفكير حزقيال — وهو مبلور خطط اليهود بعد عذاب السبى فى بابل — ناحيتين لا تتفقان مع تفكير الناس أولاهما تلك الرؤى التى يرى فيها حربا هائلة يخوضها يهوه وشعبه ضد حلف من الامم المعادية) ..

(ان العادات الطقسية كالاسبات وقوانين الطعام وتحريم الزواج من غير اليهود كانت أكبر عون على خلق قومية أساسها الدين ينفرد بها اليهود عن سائر الامم) ..

لقد ولدت عنصرية القومية الدينية اليهودية فى جو من الكراهية والآلام وكان استمساكها بالطقوس والمظاهر الهيكلية اساس

اتجاهها الى التعصب والقسوة والفساد وكراهية سائر خلق الله ، ناهيك عن لون عجيب من الغطرسة والغرور ، واحتقار ذكاء سائر البشر الآخرين ، والتطلع الى تسخير الشعوب بمختلف الوسائل ، وتفضيل ما كان يوصل الى الغايات المرسومة من تلك الوسائل بأضمن طريقة واسرعها ، كنشر الفساد والانحلال الخلقى ، وافساد الضمائر والتضليل والعهر والفتنة ، واثارة الشكوك وتهديم ثقة الناس ببعضهم ، والتعويل على الاشاعات الكاذبة والحروب النفسية ، وكل وسيلة توصل الى خطط اضعاف الآخرين وتسخيرهم واستغلالهم ، وفى سائر هذه الوسائل يكون الذهب هو المحرك الرئيسى ، ولا يوجد أدنى ريب فى أن اساطين اليهودية وموجهيها يفاخرون فيما بينهم بكل ما أحرزوه من نجاح بهذه الوسائل جميعها ..

ومهما قيل عن مقررات حكماء صهيون وملاحقها السرية ، والوقت الذى يتطلع اليه مخططو اليهودية للاعتراف العلنى المتباهى بأمثال تلك المقررات وما نتج عنها من آلام رهيبة ، وسقط فى سبيلها من ضحايا الا ان تساؤلات كثيرة جدا على امتداد التاريخ تؤكد مسئولية اليهودية — ولا أقول الصهيونية عامدا متعمدا — لان هذه الاخيرة ان هى الا شكل متطور من الاساليب التى أشرت اليها — عن أكبر قسط من مصائب الانسانية .

وما اقترب اليهود يوما من هدفهم فى الهيمنة على القدس الا والعالم يتلوى ألما من مصائب انهيارات خلقية ، تتميز باستعلان الرذائل ، وانحلال الذمم ، وانتشار الفساد والرشوة ، وتهدم القيم الانسانية ، وسفك الدماء بلا حساب .

واريد أن ألقى بتلك التساؤلات التى ان لم تحمل اثباتا علميا فهى لا تدع شكا فى الجهة التى ينبغى ان تتجه اليها أصابع الاتهام ، وتحملها وزر آلام هائلة تحملتها الانسانية ضريبة للعقد المترسبة فى تقاليد اليهودية ومخططاتها الرهيبة ..

افتتح الكلدانيون مناطق كثيرة فى العراق وسوريا وجنوبى ايران فلماذا لم يسبوا وينفوا الى بابل غير اليهود ، ولماذا اختصوا هيكلهم فى القدس بالتدمير التام ؟

لماذا اصبحت بابل قبل مجىء الفرس مركز تجميع ثروات هائلة ، كما اصبحت مركز الاساطير والسحر والشعوذة ؟

من الذى كان فى ركب الفرس يقود خطى فتوحاتهم فى الشرق الادنى ؟ ولماذا بدا كورش وكأنما هو ملك اليهود دون الفرس ، وما سر حماسته لهم ، وتبنيه قضيتهم ؟ ولماذا شغل بهم هو وخلفاؤه أكثر من انشغالهم بقومه الفرس ؟

كيف تسنى لليهود ذبح الحاميات الرومانية ، وتقتيل أطفال ونساء جنود الفيالق الرومانية المقاتلة ضد البارثيين ، والنجاة من كل عقاب مرة بعد مرة ؟

لماذا وجد تيتوس احب اباطرة الرومان لشعبه من الضرورى هدم الهيكل وتشتيت اليهود ؟ من الذى حول الرومان من أمة تتعبد الاستقامة والبساطة الى عباد ترف ، واعلام فجور ، وما هى حقيقة

محتكرى الضرائب فى روما ، ومتعهدى اموال الدولة ، وما هو سر الفحش الذى تميز به قصور الاباطرة قبل فاسباسيان الريفى المستقيم وتيتوس؟

لماذا تبدل موقف اليهود من رسالة كل من المسيح ومحمد عليهما السلام ؟ الأنهما فشلا فى الحالتين عن تطبيق أعظم عبقرياتهم الشريرة فى استغلال المبادىء الانسانية والمتاجرة بها ؟ أيما كان مؤلف أو مؤلفو الروايات المعروفة باسم روايات شكسبير فهى جميعها تمتاز بصفة أساسية هى انسانيتها العريضة الواسعة ، السمحة الفضفاضة فلماذا حرصت على أن تحوى أصدق صورة درامية عرفها التاريخ لشخصية شايلوك المرابى اليهودى المجرد من الانسانية ، وهل قفز ذلك الخيال الموفق من العدم ؟

من هو الممول والمحرض والمستفيد من قيام الحروب الصليبية ؟ وما هو دور اليهود المتواجدين فى البندقية وجنوه ومرسيليا واتحاد مدن الهنسا — وهى جميعا أعظم المستفدين من تلك الحروب ، فى قيام الحرب واستمرارها مئتى سنة ؟

اى دور لعبه اليهود فى تشجيع المسلمين على سرعة اقتحام أسبانيا ؟ ولماذا برزوا فى عملية اخراج المسلمين منها بحيث اثار السخط رجلا كالمعتمد بن عباد فقتل المسئول المالى اليهودى للأدفنش ؟ ثم ما ذلك الدور الذى لعبه اليهود فى ايجاد أجواء خلاعية فى الاندلس ؟ حتى مؤلفى الموشحات التى تغنيها الراقصات يهود والمشرفون على فرق الرقص كذلك ؟

ما سر العلاقة بين الهرمزان وأحد كبار المنافقين اليهود فى يثرب وابى لؤلؤة فى استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب ؟ ومن ترى كان وراء التحريض المثير الذى حمل ابناء عمر رضى الله عنه على قتل الهرمزان ، وبذلك انطمست آمال التوسع فى البحث عن الجريمة حتى نشأ موقف لا أرى له شبيها فى التاريخ اقرب من الموقف الناشىء بعد مصرع كينيدى فى أمريكا ؟ ومن كان وراء غموض الحركة التى أدت الى استشهاد عثمان رضى الله عنه ؟ وما هو الدور الذى لعبه اليهود فى تركيا اعتبارا من خيانة كوتشك كينارجه الى تسليم عبد الحميد وثيقة خلعه بيد الرجل الخفى الذى كان عرض عليه السماح بوطن قومى لليهود فى فلسطين فرفض ذلك عبد الحميد ؟

ولماذا نذهب بعيدا ؟

من الذى جعل الالحاد من ضرورات المطالبة بالعدل الاجتماعى ، وكان العقل المفكر لليسار فى عالمنا المعاصر ؟ هارولد لاسكى فيلسوف حزب العمال البريطانى يهودى ، وماركس يهودى ، والحزب الاشتراكى الديموقراطى الالمانى قام على اليهود ، ولا تسل عن اليسار فى فرنسا وغيرها ؟ وحركات كثيرة قامت فى ايطاليا لتوحيد البلاد الممزقة فخانها النجاح .. حتى اذا قامت حركة وراءها مينون اليهودى فى البندقية الذى كان كافور واجهة له نجحت حركة الوحدة الايطالية وكان غاريبالدى الرجل الشعبى الغيور أحد ضحاياها ؟ والدور الذى لعبه تروتسكى فى ثورة اكتوبر بروسيا ما هو وما سره ؟

وفى كتابة وعد بلفور والتمهيد لها .. كيف اصبح لورد الصحافة

البريطانية داعية الوعد المجنون صاحب ملايين ، ومهيمنا على التايمز وغيرها الا أموال الاعلانات وشركاتها الممولة من اليهود ؟ واسكويث ذلك الرجل النزيه ، من أحل لويد جورج وبلفور محله قهرا فى الوزارة بلندن الا نفوذ وحركات اليهود ؟

ويقولون ان هرتزل نفسه وحاييم وايزمن كانا متلهفين على قبول اقتراح بانشاء وطن قومى يهودى فى أفريقية ، ولكن قوى أقوى منهما اجبرتهما على المجاهرة بتخصيص فلسطين فى المطالبة بالوطن العتيد . من هى تلك القوى التى تأمر رجالا كهرتزل ووايزمن وتطاع بكل بساطة ؟

ومن هو بروكسماير صاحب النفوذ العريض فى الكونغرس الامريكى وما حكايته ؟ ولحكم من تخضع الحواضر الضخمة الامريكية فى نيويورك ولوس أنجيليس وشيكاغو ؟ ومن الذى يملك وسائل الاعلام والصحافة ومنابع السينما والتلفزيون ؟

ان العالم يزخر بأقليات كثيرة نشطة ، لها كل ما للاقليات الصغرى المغتربة فى العالم الفسيح من نشاط وحرص ..

لكن واحدة منها لا تقيم الحكومات أو تسقطها ، وتثير الحروب أو توقفها ؟

ليس هناك غير اليهود من يستطيع ان يباهى بتبرير الجريمة فى الارض على قاعدة عقل يدعى فرويد ، وتبرير الالحاد بفكر يسمى الداروينية وتحويل الاديان والمعتقدات الى السنة تنافق وسياط تجلد وتظلم ، وثورات السخط على الظلم الاجتماعى الى كفر واباحية وفوضى ..

ليس غير اليهود استطاع تحويل الجماهير التعسة لعبادة جسد المرأة ، وجعل مفهوم الحرية هو حرية الجنس المشاعة البهيمية ..

اليوم يعودون للقدس :

واليوم يعودون الى القدس ، ومعهم نفس مخططات العائدين من السبى فى بابل أن يحكموا العالم ، ويفتكوا كيفما طاب لهم بسائر شعوب الارض النجسة كما يعتبرونها وهم يرتفعون عن حضيض المذلة التى كتبت عليهم بحبل من الناس ..

ذلك الحبل هو امتلاكهم كل مفاتيح القوة فى عالم الرأسمالية الباغية المستعمرة ومفاتيح كل دعوات الكفر والانحلال الروحى فى دنيا اليسار الملحدة ..

بهم ترتبط الاحتكارات الباغية فى حواضر أمريكا وأوروبا ، وخزائن الذهب والعملات النادرة فى كهوف زيوريخ ، ومصانع الرذيلة والفجور فى هوليوود وأوروبا ، ومعهم سدنة القسوة فى جنوب أفريقيا ولشبونة، وسائر المرتزقة من سياسيين وعسكريين فى أنحاء الارض ..

ومعهم كل ضعف الانسان وشرور نفسه وما يتعلق بها وينجم عنها فى الحياة .. وليس أمامهم الا القرآن وسنة محمد عليه السلام .. وهما ما لم يستطيعا تحريفه أو أحكام المتاجرة به على مدى التاريخ ..

ومع القرآن وسنة نبيه أفراد مبعثرون فى الارض وأعوون كل شىء متشوقون للمجاهدة فى حماية البقية الباقية من كيان البشرية الذى لم يصل اليه سوس حكماء صهيون . ومع هؤلاء قلائل من أهل المسيحية

بداوا يتململون تحت وطأة اليقظة بين ملايين من اخوانهم مذهــولين بسحر اليهود ..

في موقف كالح كأنما انقطعت فيه حبال الارض عن السماء بدخول اعداء الله الى مسرى رسوله ..

وفي منعطف تاريخي رهيب خطر قد لا يترك للبشرية فرصة اخرى لمراجعة الامور يقف العالم حائرا مشدودا ، مروع الضمير ، لكنه عاجز عن الحركة .. فلماذا ؟

يريد الله للنصر أهل الصدق :

لقد ارتفعت في القدس رسالات الانبيــاء التي حــرفها اليهــود وحوروها ، وتاجروا بها وتنكروا لجوهرها ، بينمــا استمسكوا بطقــوس كرسوها فيها ..

وفي القدس أعلن المسيح كلمة الحق ، فسار به اليهود جهــارا نهارا على طريق الآلام ، وقد توجوا راسه الكريم باكليل الشــوك ..

وفي القدس بدأت رحلة محمد عليه السلام الى السماء توثيقــا لرسالة السماء التي حملها بنجاح في الارض ..

هناك يرتكب اليهود الان ابشع جرائم عرفتها الانسانية في التاريخ في غياهب السجون يزج بالابرياء العرب ، فتشتم معتقداتهم ، وتهــان كراماتهم ويعذبون كما لا تعذب فرائس الحيوان من وحوش الغاب ..

هناك لا تساوي نهية الدين والشريعة ، والحق والشرف ، وحقوق الانسان ومبادىء الامم المتحدة ، ومواثيق البشرية ثمن الورق الذي كتبت عليه ..

هناك تعاد ذكريات محاكم التفتيش ، ومشاهد نيرون ، ومعتقلات النازي وسبي الكلدانيين ، ومذابح الصليبيين ..

ومع ذلك تملأ الدنيا الدعاية أن اسرائيل لا تعتقل الا بمبرر ، ولا تحاكم وتحكم الا ببينة ، ولا تطرد وتعذب الا بحجة قائمة ..

الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله !

لم يبق في الدنيا من روح الحق الا هذا النداء الذي باعــد اليهــود بينه وبين الناس بما صنعوا من عجول الذهب ، وما ضللوا من شياطين الانس ، وما فرقوا بالفتن ، وما أفسدوا من ذمم ..

الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ..

يريد خلاص الارض من الطامة الكبرى رجالا فوق الشهوات ، وفوق المنافع ، وفوق المعاذير ، وفوق الخوف ، وفوق هوى النفوس ..

رجالا يحيون وكأنما يرون الجنة عيانا والنار عيانا ..

يريد الله رجالا يشرفهم بارادته في نصرهم لانهم حقا ينصرونه والا فقد ماد العالم ، وانتهى أمر الانســان ، والتهمته فتنــة تــودي به الــى الخــراب ..

يريد الله ربانيين صادقين ليطفئوا النار التي تحرق كل شرائع الحق المفترى عليها في الارض التي باركها في القدس ..



للأستاذ فتحي محمد جمعة

تمهيـــد :

تخضع الأمم لناموس الحياة العام الذى يخضع له جميع الاحياء ، فتنقلب من ضعـــف الى قوة ، ومـن قــوة الــى ضعف حركة دائبـــة ، قـــد تطول معها مدة القوة أو الضعف ، ولكنها ــ فى آخـر الأمر ــ تتمرد على أسـباب الضعف فتقوى ، أو تعمى عن أسباب القـــوة ، فتتردى فى مهاوى الضعـــف والانحـــلال .

هذه حقيقة « انسانية » يشهد لها الواقع ، وتصدقها حركة التاريخ . ولا يعنينا هنا أن نستقرىء الحوادث ــ على امتداد العصور واختلاف الدول ــ وانما يعنينا أن نبلغ بالاستقراء الى مداه ، فنعرف ما يقترن بالقوة ، أو بالضعف مـــن ظواهر وعلامات .

فماذا عسى أن نصل اليه باستقراء التاريخ فى هذا الصدد ...؟

ان التاريخ هنا يقدم الينا « حقيقة » كبرى تفسر كثيرا من الأشياء التى نطلب تفسيرها فى هذا المجال .

ذلك أن قوة الأمة ترتبط دائما بشيوع الأمن والنظام بين ابنائها ، كما أن ضعفها يرتبط دائما بما فيها من فوضى واضطراب .

ولو سبقنا مجرى الحديث لقلنا :

ان القوة ترتبط بوجود « قانون » تدين له الأمة .

كما أن الضعف يرتبط بضياع هذا القانون ...

هذه ــ كما قلنا ــ حقيقة ثابتة أدركتها الانسانية من قبل أن يتكون مـــن الافراد جماعات ، ومن الجماعات أمم وشعوب .

ومن أجل هذه « السليقة الانسانية » ــ سليقة الشعور بالحاجة الـــى « نظام » جهدت التجمعات البشرية الاولى أن تصطنع لها ما يمكن أن نسميـــه

« قانونا عاما » ، يخضع له سائر الافراد . ومن هنا ، كانت الاعراف ، والتقاليد البدائية التى كشفت عنها الدراسات « الانثروبولوجية » وجود النظام أو « القانون العام » ــ اذن ــ ضرورة لازمة ، تمليها الفطرة الانسانية ، ومن أجل ذلك ، كان شعور الانسان بالطمأنينة والامان ما وجد هذا النظام ، وشعوره بالفزع ما اختل النظام ، واضطربت القوانين .

* * *

على أنه اذا ما غاب « القانون » الذى يحفظ الأمن ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فان الشعور بالقلق يكون شعورا عاما يغمر الأقوياء والضعفاء على السواء :

القوى فى خوف دائم من منافسة الأنداد ، ومن انقضاض الضعاف فى لحظات الثورة والهياج .

والضعيف فى رعب دائم من تسلط القوى ، وجبروته ، واستبداده .

فلا هذا مطمئن فى ضعفه ، ولا ذاك وادع فى قوته .

— — — —

تلك هى الدرجة التى استوى عليها العالم قبل أن يبعث النبى العربى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدينه الجديد الى الناس كافة .

فماذا فعل الاسلام لاقرار الأمن ، وتوطيد أركان القانون ...؟

— — — —

ذلك هو ما نحاول ــ بعون الله وهدايته ــ جلاءه على الصفحات التوالى :

* * *

الاســـلام والقانون :

لسنا هنا بصدد شرح « القانون الاسلامى » أو تفصيل « مواده » التى تناولت ــ فى شمول رائع ــ كل ما يهم الانسان فى دينه ، ودنياه ، فنظمت علاقة الانسان بخالقه ــ وهى علاقة الضمير الحى والقلب السليم ــ وعلاقة الانسان بنفسه ، وعلاقته بغيره من بنى جنسه . ثم علاقة الأمم بعضها ببعض ، وصدق الله العظيم اذ يقول : **« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (الأنعام ٣٨)** . لسنا هنا بصدد شىء من ذلك .

أولا : لأن هذه أغراض مستوفاة فى مواطنها لدى ذويها واصحاب القدرة عليها .

وثانيا : لأنا نقصد بهذا البحث القصير الى غاية واحدة ، لا نريد أن نتعداها ، وتلك هى بيان ما صنع الاسلام فى حماية الأمن وسيادة القانون .

* * *

الاسلام وحقوق الانسان :

ان تكن الثورة ــ فى أقرب معانيها ــ تغييرا لنظام سائد ، أو تبديلا لوضع مستقر ، أو اصلاحا لفساد قائم ، فلقد كان الاسلام ــ بحق ــ ثورة هائلة أحدثت تغييرات كبرى فى كل شىء يتصل بالحياة الانسانية .

وبحسبنا هنا أن هذا الدين الجديد قدم للانسان عقيدة جيدة فى الاله الواحد الذى ليس كمثله شىء .. وعقيدة جديدة فى « الرسول » الذى هو « بشر » اصطفاه الله ليبلغ رسالته الى الناس .

وعقيدة جديدة يرضى عنها العقل والقلب فى الملائكة وفى الموت والبعث وفى الجنة والنار .

ثم قدم له — الى جانب العقيدة الصالحة — الشريعة الصالحة التى اضاءت له الطريق الى الدين القيم والدنيا الطيبة .

والذى يعنينا هنا من ثورة الاسلام — على بعد مداها وتعداد جوانبها — انها الثورة الاولى التى أعلنت « حقوق الانسان » ثم شرعت من النظام ، واستنت من القوانين ما يحمى هذه الحقوق أن تغتصب ، أو يعتدى معتد عليها .

* * *

لا تعصب هنا ، ولا ادعاء من غير دليل ؟؟

فلا جرم ، جاء الاسلام بثورته الكبرى على غير مثال سابق ، اذ لم يعلن فى الثورات السابقة على الاسلام — سواء أكانت دينية ، أم كانت سياسية اجتماعية — تلك الحقوق العامة التى نادى بها الاسلام ، وأعلنها للانسان بعد ميلاد المسيح بستة قرون . ذلك « لأن الانسان نفسه لم يكن » عاما « فيوليه الدين حقوقا عامة وانما ولد هذا « الانسان العام » يوم آمن الناس باله يتساوى لديه كل انسان ، ويوم نيطت حقوقه بواجباته بغير تفرقة بين قبيل وقبيل (١) » .

وقد يكون من المفيد هنا أن نلقى بعض الضوء — فى اشارات موجزات — على ما سبق ظهور الاسلام فى هذا الميدان ، لكى نعرف حقيقة ما أداه هذه الدين للانسانية ، منذ خرج من الجزيرة العربية لأربعة عشر قرنا — الى يومنا هذا . لقد اشتهر عن اليونان والرومان انه كان لهم قوانين ، وحكومات « ديمقراطية » ترعى هذه القوانين ، وتحميها ،ولكن هذه فى الواقع لا تزيد عن كونها خططا « عملية لأمن الفتنة ، واستجلاب الولاء من المجندين للجيش والأسطول من ابناء القبائل وأصحاب الصناعات .. وآية ذلك أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين « الاسبرطيين » أصحاب النظم والاجراءات الادارية ، ولم تنشأ بين « الاثنيين » أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية (٢) » .

* * *

ونتقدم مع الزمن حتى نصل الى « اليهودية » ، لنجد ان « بنى اسرائيل لم تكن لهم رسالة عالمية انسانية ، وانهم قد وافقتهم عقائدهم ومعاملاتهم فى عزلتهم بين أبناء الحضارات ، فلما انتهت رسالتهم المحدودة بما يوافقهم ، تفرقوا بين الأمم من غير دولة ، ولا سيادة على أحد (٣) » .

* * *

اما المسيحية فقد لخص السيد المسيح — عليه السلام — رسالتها فى انه « ما جاء لينقض الناموس ، بل ليكمله » .

فهو — عليه السلام — لم يأت بشرع جديد يخالف شريعة موسى عليه السلام أو بقانون يهدم قانونه ، وانما جاء ليتمم ذلك ويكمله .

ثم ظهر الاسلام ...

ظهر الاسلام ، والعالم يتداعى بعد أن فقد العقيدة كما فقد النظام .

أى أنه — كما يقول العقاد رحمه الله — فقد طمأنينة الباطن التى تنشأ من الركون الى قوة فى الغيب ، تبسط العدل ، وتحمى الضعيف .

وطمأنينة الظاهر التى تنشأ من الركون الى « دولة » تقضى بالشريعة ، وتفصل بين البغاة والابرياء ... (٤) »

* * *

ظهر الاسلام ليعيد الى العالم أمنه الضائع ، ويرد له طمأنينته المفقودة بما شرع من عقيدة ، وبما وضع من قانون لا يفرق بين انسان وانسان الا بالعمل وحده .. وتلك شرعة المساواة التى هى معجزة من معجزات هذا الدين العظيم لأنها نبتت فى أرض العصبيات والانسان .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... أن أكرمكم عند الله أتقاكم ... » . (الحجرات : ١٣) .

— — — —

الأخلاق والقانون فى الاسلام :

من أعظم ما فى الاسلام — وكل ما فيه — والحمد لله — عظيم — أنه دين الاخلاق فى صورتها المثلى :

عباداته أسست على الاخلاق ، لأنها علاقة بين الانسان ورب العالمين ، وقوام هذه العلاقة هو — كما قلنا — ضمير الانسان الحى ، وقلبه السليم .

وكذلك معاملاته ... !!

وحدوده ....!!

وجناياته .... !!

كل هذا أخلاق أو تربية للاخلاق .

ومن أجل هذا لا نبالغ اذا قلنا : ان القانون وتنفيذه يرتبطان — فى الاسلام — بالاخلاق أوثق ارتباط .. وهذا ما سوف نحاول — باذن الله — أن نبرزه فى ثنايا حديثنا عن وسيلة الاسلام فى اقرار الأمن ، وحماية القانون .

* * *

وقد كان للاسلام فى ذلك ثلاث وسائل :

أولها : تنصيب من يقوم على ذلك ، وهذا هو الامام أو الحاكم .

ثانيها : الحدود التى يجب الا يتعداها الامام فى حكمه ، وفى علاقته بالمحكومين .

ثالثها : المبادىء التى وضعها فى هذه السبيل .

* * *

أولا : الامامة :

عنى الاسلام عناية كبيرة بأن يتولى أمر جماعة المسلمين فرد منهم يكون أصلح من فيهم لهذه الولاية . وقد جعل ذلك واجبا من أعظم واجبات الدين لا

يقوم أمر الدعوة بدونه ، يقول صلوات الله عليه : « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا واحدا منهم » .

« فأوجب — صلى الله عليه وسلم — تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر ، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة (٥) » . ومن هنا، بذل الفقهاء وعلماء الكلام جهدا عظيما رائعا فى بسط أحكام الامامة ، وبيان وجوبهاو ضروريتها وفى شرح حدودها . . . الى غير ذلك من الأحكام التى ليس استقصاؤها من غايتنا هنا . وانما غايتنا أن نستخلص من « الامامة الاسلامية » معناها الذى نريده فى هذا المقام ، وهو أن الاسلام قد وضع « قوانينه » ثم تكفل بحمايتها ، فعهد الى من تتفق عليه الجماعة أن ينفذها ويرعاها .

* * *

الامام — اذن — هو « وكيل الأمة فى اقامة حدود الله » وهو « يتولى الامامة لايتاء كل ذى حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد (٦) » .

والامام هو — وحده — المسئول عن تنفيذ القانون ، وحفظ الأمن ، واقرار النظام .. وهنا يظهر التشريع الاسلامى شامخا سامقا ، وهو يضع مبادئه ، انه لا يكتفى بوضع المبادىء أو « سن » التشريعات والقوانين ، ولكنه يحيطها بسياج متين يحميها من الاجتراء عليها أو تعدى حدودها ، وذلك أنه حصر مسئولية « التنفيذ » فى يد الامام أو من يعينه لذلك .. أما أن يتصرف من يشاء كيف يشاء وتسترا وراء القانون ، فهذه هى « الفوضى » التى وقى الاسلام « قوانينه » منها .

ومن المعروف فى عصرنا هذا أن أحدا لا يملك الحق فى « اعتقال » أحد وانما الشرطة هى التى تفعل ذلك ، ثم تسلمه الى « النيابة » ، وهذه الى القضاء الذى يصدر الحكم ، فلا ينفذه القاضى ، وانما هناك « سلطة » أخرى للتنفيذ .

هذا هو القضاء فى أحدث ما وصلت اليه الحضارة العصرية .

وقبل أربعة عشر قرنا أدرك النبى العربى ذلك ووعاه ، وعلمه لأمته ، لأنه — صلوات الله عليه — علم أنه لو أباح أحد لنفسه أن يتصرف باسم القانون ، لانقلب الأمر الى فوضى .

ومن أجل ذلك غضب — صلى الله عليه وسلم — لأن أناسا من المسلمين قتلوا رجلا من المشركين غداة فتح مكة ، وقال فيما يروى الامام البخارى : « ... فان أحد ترخص لقتال رسول الله فيها ، فقولوا : ان الله اذن لرسوله ، ولم يأذن لكم .. وانما أذن لى فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ... (٧) » .

وعلى أساس من هذا الالهام السديد ، نهج فى مصادرة الخمر نهجا يحقق — مع تنفيذ القانون — اقرار الأمن والنظام .

خرج بأصحابه الى الاسواق الملأى بزقاق الخمر ، وأخذ المدية من عبد الله

ابن عمر ، وشق ماوجد من هذه الزقاق ، ثم اعطاه اياه وامره الا يدع زقا الا شقه ، وأمر من معه أن يعاونوه في مهمته .

* * *

ليس الأمر هنا أمر تحليل أو تحريم ، ولكنه نظام « وتنفيذ » ، فى مجتمع حافل ، يشتمل على شتى المصالح والاهواء ، ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب ، واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة ، وتجاهل السلطان (٨) » .

* * *

« الامامة الاسلامية » — اذن — مسئولية كبرى ، واعباء وتكاليف ينهض بها الامام الذى ليس له من سند يستند اليه الا قيامه بهذا الواجب الكبير .

ومن هنا كان الشرط الاعظم فى الامام : أن يكون أصلح الناس للولاية ، والا لحق الاثم على من ولاه ، قال — صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه الحاكم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا ، وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

ثم يتتابع اختيار الاصلح فى جميع الامور ، فيجب على كل من ولى امرا للمسلمين « أن يستعمل فيما تحت يده فى كل موضع أصلح من يقدر عليه (٩) »

* * *

ولكن « الامامة » تنحرف عن سوائها ، وتضل السبيل الى غايتها اذا كانت تسلطا ، أوقهرا ، أو استبدادا .. وما هكذا كانت « امامة الاسلام » !! انها « أمانة الأمة » يحملها الامام ولا مزيد .

لا فظاظة فيها ولا غلظة ، ولكن قلب كبير رحيم ، وصدر رحيب حليم .

وها هوذا توجيه القرآن الكريم لنبى الاسلام ، ولكل امام يلى أمر الناس :

« ليس لك من الأمر شىء » (آل عمران : ١٢٨)
« انما أنا بشر مثلكم » (الكهف : ١١٠)
« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آل عمران : ١٥٩)
« وما أنت عليهم بجبار » (ق : ٤٥)
« لست عليهم بمسيطر » (الغاشية : ٢٢)

هذه هى « الامامة » وهذه هى — اهميتها العظمى ، وسيلة من اعظم الوسائل التى توسل بها الاسلام الى اقرار الأمن ، وسيادة القانون بين الناس (١٠) .

ثانيا : حدود الامام ، أو حقوقه وواجباته :

تتلخص الحقوق فى شىء واحد ، والواجبات كذلك فى شىء واحد .

فأما الحقوق فهى وجوب الطاعة له الا أن يأمر بمعصية ...!

وأما الواجبات فهى وجوب العدل عليه فى جميع أحكامه ..!
وفى سبيل ذلك ، يجب أن يبتعد عن كل ما يضعف فضيلة العدل فى نفسه وأسوأ ما يصاب به العدل أن يحابى ، أو يقبل من أحد هدية ، أو يسمح بـأن يعامله الناس معاملة خاصة فى البيع أو الشراء لأنه أمير .
ذلك أنه — فى أى من هذه الأحوال — قد يضطر الى المجاملة كفاء ما قدم اليه فلا يستطيع أن يسير بالعدل بين جميع الناس . وبحسب الحكم من الآفـة أن يحيد الحاكم عن العدل مرة واحدة .

* * *

ومن أجل ذلك نرى رسول الاسلام ، ومعلم الأمة يشدد نكيره على وال قبل هدية فقال — صلوات الله عليه — : « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى الى ؟ فهلا جلس فى بيت أبيـه أو بيت أمه ، فنظر أيهدى اليه أم لا ؟
والذى نفسى بيده ، لا يأخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة : ان كـان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى ابطيه : اللهم هل بلغت ؟ ثلاثا (١١) » .
وكذلك تكون محاباة الناس لولاتهم فى المعاملات المختلفة نوعا من الهدية — كما ذهب الى ذلك المجتهد العظيم أبو العباس أحمد بن تيمية — ولهذا شاطر عمر بن الخطاب من عماله ما كانوا خصوا به من أجل الولاية (١٢) .

ثالثا : المبادىء التى وضعها الاسلام لحماية القانون :

يجمع هذه المبادىء — فيما أرى — كلمتان صغيرتان :
العدل .
المساواة بين جميع الناس .
العدل هو القانون .
والمساواة أن يطبق القانون على الجميع بصورة واحدة ، دون تفرقة بين أحد وأحد .
ههنا يظهر الاسلام : عقيدة راسخة ، ونظاما عاما صلـح فى زمانـه ، ويصلح فى زماننا ، وفى كل زمان يأتى بعده .
وههنا تظهر أخلاق الاسلام ..!
وأخلاق الاسلام هى « أخلاق الانسان » فى أرفع ذراها ، لأنها تتوجـه — أول الأمر وآخره — الى النفس :تربيها ، وتصلحها ، وتطهرها من أدران التعصب والهوى .. والى الضمير : توقظه ، وتمده بحياة متجددة القـوة ، موصولة العطاء .

* * *

ان الاسلام يأمر بالعدل ، ويجعله غايته كما كان هو الغاية من ارسـال الرسل : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** . (الحديد : ٢٥) .

فالمقصود من ارسال الرسل ، وانزال الكتب هو اقرار العدل ، ولكن من الناس من لا يستقيم بالكتاب وحده ، فهنا تكون القوة : ((**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس**)) . (الحديد ٢٥ » (١٣) .

* * *

العدل — اذن — هو غاية الاسلام ، كما كان غاية الرسالات قبله . ولكن الاسلام يتجاوز هذه المرحلة ، فيخطو الى الامام خطوات واسعة اذ يتسامى باتباعه ، ويعلو بهم على أنفسهم ، ويقهر فيهم « نازعة » هى أسوأ آفة يمكن أن يصاب بها الضمير الانسانى ، وتلك هى « نازعة » التعصب ، والحكم بالهوى :

((**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ..**)) (النساء : ١٣٥) .

هنا أمر بالعدل ، وان تكون الشهادة لله ، ولو على النفس والوالدين والأقربين .

وهنا أمر بالتجرد عن الهوى ، وعدم اتباعه فى الحكم على الناس . وكلا الأمرين ، تربية لنفس الانسان ، وتنبيه لضميره أن يكون هو الرقيب على التزامه بالعدل فيما يأخذ وفيما يدع من أحكام . وما من سلطة يرهبها الانسان أقوى من سلطة الضمير والوجدان .

* * *

ولا يكتفى الاسلام بهذا ، بل يمضى فى شوط التربية الى نهايته ، فيأمر بالعدل مع الاعداء كما أمر به مع الاصدقاء : ((**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى**)) . (المائدة : ٨)

ان الاسلام — وهو يأخذ الناس بما يشرع لهم من أحكام — لا يفرق بين قبيل وقبيل ، ولا يقف مع المسلم لاسلامه ، وانما يقف مع الحق ، ولو كان فى جانب الاعداء .

فالناس — كل الناس — سواء أمام « القانون الاسلامى » ، لا فرق بين المسلم وغير المسلم ، ولا انتصار للصديق على العدو . وانما الانتصار : للعدل وحده ، والوقوف : مع الحق وحده ، ذلك أن العدل : « هو أقرب للتقوى » .

* * *

هنا لا يستطيع المنقبون عن « الثغرات » أن يجدوا فى قانون الاسلام « ثغرة » ينفذون منها الى نقضه أو هدمه ، لأنه متماسك البنيان ، ثابت القواعد : لا يطمع فيه الصديق ، فيجترىء على تعدى حدوده ، ولا يخشى العدو — فى جواره — أن يجار عليه ، أو تغتصب حقوقه .

وهكذا مكن الاسلام لقانونه أن يسود سيادة فعلية تمتد بامتداد الزمان ، لأنها مستقرة فى أعماق ضمير الانسان . فالانسان — هنا فى الاسلام — هو الذى يهيىء لهذه « السيادة » أسبابها ، ويمهد لها التربة الصالحة لأن تنبت وتؤتى أكلها ، لأن ضميره الذى أحياه الاسلام من موت وأيقظه من غفلة — هذا الضمير ، هو الذى يحرك ، وهو الذى يأمر ، وهو الذى ينهى .

وتلك هى «أخلاق القوانين» فى الاسلام ...؟

فالقانون الاسلامى قانون عالمى ، يشرع — اذ يشرع — للناس كافة ويطبق — اذ يطبق — على الناس كافة . ولا يستطيع أحد أمام قوة القانون وأحكامه — أن ينجو من هذا القانون ، ولو كان نبى الاسلام نفسه :

«ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين» . (الحاقة : ٤٤ — ٤٧)

* * *

واذا كان الله سبحانه يتوعد بالعقاب الشديد أحب أحبائه ، وأصفى أصفيائه ، لو حاد عن شرع الله ، أو قال قولا من عند نفسه ، ثم ادعى أنه وحى من السماء — اذا كان الأمر كذلك فان رسول الله لا يمكن أن يتسامح فى عقوبة وجبت على من تعدى حدود الله ، مهما يكن جاهه ومنزلته فى قومه .. كذلك لا يمكن أن يقبل فيه شفاعة مهما تكن منزلة الشفيع فى قلبه صلوات الله عليه .

ذلك هو خلق الاسلام ...!!

وذلك هو خلق نبى الاسلام ...!!

* * *

وعندما سرقت المرأة المخزومية ، واستجار قومها بأسامة بن زيد حب رسول الله أن يشفع لها عنده ... ويذهب أسامة ، فيغضب النبى ، ويرسل فى العالمين تلك الصيحة الرائعة التى لا تزال تدوى فى سمع الزمان :

« أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟

والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » ..

— — — —

ان رسول الله — هنا — يؤدب أتباعه بما لم تستطع الانسانية — مع كل ما قطعته من أشواط الحضارة — أن تتقدم بعده خطوة واحدة ..! موقف من المواقف الشامخة ، يرتبط فيه المبدأ بالتطبيق ، ويتصل فيه القانون بالتنفيذ .

القانون هو : قطع يد السارق — أى سارق — ولو كان فاطمة بنت محمد . فاذا تسومح هنا ، فقد يتسامح هناك .

ثم ... ؟

ثم يتحول الأمر الى فوضى ، لأن أحدا لن يعدم أحدا يشفع له ، ويجيره فى حماه .. وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لأمته : القوانين لا تكون قوانين اذا ارتبط تنفيذها بقرب الناس ، أو بعدهم من ذوى السلطان ، أو بمقدار حظهم من الشرف والوجاهة أو الضعة والهوان .

* * *

هنا تضيع القوانين ...!

وهنا تضيع الأمة ...!

أمة لا ميزان لها ، ولا نظام يحكمها ، كيف يكون لها كيان ، وكيف تقوى على البقاء بين الأمم ؟

ذلك هو « قانون الحياة » الذى لمسه الرسول الكريم بهذا القول الجامع :

« انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركـوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

* * *

لا محاباة — اذن — لقريب أو صديق ، ولا شفاعة لحبيب ، ولا جور على عدو ، ولا خوف من قوى ، ولا اهدار لضعيف . . . فى تنفيذ أحكام الله .

وانما الكل سواء لا يفرق بين أحد وأحد الا الحق ، والحق وحده وانما الكل سواء تحت راية هذا الدين الذى أقام « قانونه » على قاعدة العـدل المتينة ، والذى كان العدل فيه « هو أساس التصرفات والاحكام ، وأنه لا ينبغى لمؤمن أن يحول بينه وبين العدل شىء من صلات النسب ، أو القربى (١٤) » .

* * *

الكل سواء !!

هذا هو قانون الاسلام الذى كان رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أسوة المؤتسين ، وقدوة المقتدين فى تطبيقه على الناس جميعا مهما تكن منازلهم .

وعلى تلك السنة الحميدة ، سار خلفاؤه العظام الذين أضاءوا جبين التاريخ بجلائل أعمالهم .

هذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — يلخص « دستوره » فى الحكم بهذه الكلمات الجامعات :

« . . . القوى فيكم ضعيف عندى ، حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى ، حتى آخذ الحق له » .

« ان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى » .

« أطيعونى ما أطعت الله ، فان عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم . . »

* * *

لله در أبى بكر !!

ان الصديق — رضوان الله عليه — لم يتلق « علم السياسة » فى مدارس السياسة ، ولكن هل تستطيع هذه المدارس أن تقول بعد أبى بكر شيئا ؟!

— لا قوة ولا ضعف الا باتباع الحق ، أو الاعتداء عليه .

— واجب الأمة فى مراقبة حاكمها ، وبذل النصح له .

— الطاعة واجبة للحاكم على الأمة الا اذا خالف شرع الله .

— — — —

أوليس هذا هو قانون الاسلام ؟!

أوليس هذا هو أدب رسول الله ؟!

بلى . . . . ؟!

* * *

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب — رضوان الله عليه — يستدعى واحدا من أكبر ولاته ، وأخطرهم شأنا . . يسـتدعى عمرو بن العاص فاتـح مصر ، وواليها .

لمـــاذا ؟؟
لينتصف منه ومن ابنه الذى جار علـــى مصرى ضعيف ، ليس له من ملاذ يلوذ به الا اطمئنانه الى عدالة الاسلام .
وعلى رؤوس الاشهاد ، يعطى الفاروق الدرة للمصرى ويقول له :
اضرب ابن الأكرمين .. ثم يلتفت الى ابن العاص ، ويقذف الى ذاكـــرة التاريخ بكلمة تستعصى على النسيان :
متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

* * *

ماذا استطاعت الحضارة ــ بعد أربعة عشر قرنا من نزول الاسلام ــ أن تصنعه فى حماية حقوق الانسان ؟
هل زادت شيئا عما فعله الخليفة المسلم ؟
أم هل بلغت ما بلغه ......؟
كلا !!!
يقولها المسلم وغير المسلم ، لأنها كلمة العقل المنصف ، والقلب الذى لم ترن عليه ظلمات الاهواء !
لأنها كلمة الحق !

الاسلام لا يقبل التحايل على القانون :

رأينا فيما سبق أنه لا تساهل فى تنفيذ الاحكام التى كان جميع الناس فى الخضوع لها والالتزام بها على سواء .
ونريد الآن ان نضيف كلمة أخيرة فى هذا الموضوع ، وهى أن الاسلام قـــد خطا خطوة أخرى رائعة فى هذه الطريق حينما طلب من ولاة الأمر أن يتحـــروا العدل دائما ، والا ينخدعوا أبدا بمحاولات التزييف التى يتحايل بها البعض على الهروب من القانون ، والنجاة من عقابه .
وهذه قصة نزلت فيها تسع آيات من الكتاب العزيز ، تجلو لنا الاســـــلام حريصا على « قانونه » ، حريصا على حمايته أن تهدم أركانه ، حريصا علـــى سيادته ، والا تتعدى حدوده .
خلاصة القصة أن رجلا من ضعاف المســـــلمين بالمدينة سرق من جـاره درعا، ثم خبأه عند يهودى .. ولما اكتشف أمره حاول أهله أن يصرفوا عنــــه الجناية ويرموا بها اليهودى البرىء ، واستغلوا فى ذلك كراهة اليهود للنبى ، فقالوا ان هذا من كيد اليهودية للاسلام . والحوا على الرسول أن يجادل عـــن صاحبهم (١٥) ، فنزلت هذه الآيات :

« انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما اراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » .. الى قوله تعالى : **« ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا ، فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ، ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا انفسهم ، وما يضرونك من شىء وأنزل اللـــه عليك الكتـــاب والحكمـــة ، وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضـــل الله عليـــك عظيما »** . (النساء : ١٠٥ ــ ١١٣) .
واذا كان هذا هو واجب الحاكم : أن يتحرى العدل ، ولا ينخدع فى حكمه

باحتيال المخادعين ، فان واجب كل فرد فى الأمة أن يجعل له رقيبا من ضميره الذى لا يعلم ما يطويه الا الله — عز وجل — فيتأبى على اخذ ما ليس من حقه أن يأخذه :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » . (البقرة : ١٨٨)

ويقول صلوات الله عليه : « انما أنا بشر ، وانه يأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها » .

وهكذا لا يكتفى الاسلام بالتشريع وحده ، وانما يكل الأمر فى النهاية الى « ضمير الانسان » بعد أن أيقظه وأحياه .

* * *

وصفوة القول

ان الاسلام قبل أن يشرع القانون ، صنع « الانسان » الذى يخضع للقانون ، فأحيى ضميره ، وربى نفسه وسما بها فوق الغرض والهوى ، بما شرعه من مبادىء وأخلاق كانت هى القاعدة المتينة التى قام عليها بناء القانون الاسلامى ، فتمت له « السيادة » أوفى تمام .

ويستطيع المسلمون اليوم ، كما استطاعوا بالأمس ، أن يقودوا — على طريق دينهم — هذا العالم القلق المضطرب ، الى حياة رضية وادعة ، يشيع فيها الأمن ، وتنتشر الحرية ، ويسود القانون على الناس كلهم اجمعين .

وبالله التوفيق من قبل ومن بعد ،،

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد ، ص ١٤٧ .

(٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد — ص ١٤٨ .

(٣) المرجع السابق — ص : ١٢٢ .

(٤) عبقرية محمد ، ص ١٨ من الطبعة الاولى .

(٥) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية —ابن تيمية ، ص : ١٨٥ .

(٦) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه — للعقاد ، صفحة : ٢٥٥ .

(٧) صحيح البخارى ١٩٠/٥ طبعة : دار الشعب — القاهرة .

(٨) عبقرية محمد ، ص : ١٢٤ من الطبعة الاولى .

(٩) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ١٨ وما بعدها .

(١٠) ارجع الى البيان الرائع الذى قدمه العقاد رحمه الله فى كتابه الشامخ : « حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه » صفحة : ٢٥٥ وما بعدها من الطبعة الاولى .

(١١) الرغاء صوت الابل ، والخوار صوت البقرة ، واليعار صوت الشاة ، انظر : « السياسة الشرعية لابن تيمية » ص ٥٩ وما بعدها من طبعة دار الشعب بالقاهرة .

(١٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص ٥٩ وما بعدها .

(١٣) انظر السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ٣٨ .

(١٤) تفسير القرآن الكريم ، للامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، صفحة ٢٣٩ وارجع ايضا فى هذا التفسير الى صفحة : ٢١٢ ، وما بعدها ، والى صفحة : ٣٣٨ .

(١٥) القرطبى ٣٧٥/٥ ، وانظر تفسير الشيخ شلتوت ، ص : ٢١١ — ٢١٧ .



وقفة بين شبابين

للدكتور محمد محمد خليفة

الشباب خير ما تعتد به الامم الحية فى سلمها وحربها ، فهو لسانها الناطق ، وحيويتها الفائرة ، وعقلها المتحرك ووعيها المتحفز ، وعواطفها الجياشة ، وطاقاتها المحركة ، وقوتها الضاربة ، ودرعها الواقية ، هـــو كل ذلك فى حاضرها وهو حامل مسئولية مستقبلها .

والامم التى تعنى بمرحلة الشباب فيها عقليا وعلميا وثقافيا وروحيـــا واجتماعيا وبدنيا وعسكريا هى المطمئنة على مستقبلها وكيانها وآمالها .

وتعتمد عناية الامم الحية بهذه المرحلة على وضع المناهج التى تعد الشباب ، وتصونه من التيارات الدخيلة ، وتحميه من الانزلاق الى المهاوى المهلكة ، ثم تعتمد فى تنفيذ تلك المناهج على من يؤمن بها ، وبخطـــــورة مسئوليته حيالها ، وبوجوب تهيئة نفسه لهاوتفانيه فى خيرها ، وابعـــاد الانتهازيين والمستغلين عن مسيرتها ، لان من يعيش لنفسه وهـــو متسنم ابراج مراكز القيادة هو الخطر كل الخطر على كل ما ترسمه الدولـــة أو ترجوه .

وقد يوجد فى الأمم اجناد مجهولون يعملون لخيرها فى دأب واخلاص يحثهم حب العمل ، والضمير الحى ، والرغبة فى خير الأمة على العمل الخالص بعيدا عن الأضواء عرفتهم الأمة أو لم تعرفهم قدرهم المسئولون أو لم يقدروهم ، ولكن هؤلاء قد تنتكس نفوسهم حين يرون أزمة الأمور فى قبضة نفوس تحركها الأهواء ، لاتقيم للعدل ميزانا ولا للعاملين وزنا ، بل قد يتحاملون على العامل ويسلمون مراكز القيادة لمن لا يحسنون القيادة ، مع أن تقدير العامل من الشباب يحيى روح التنافس ، ويضاعف العمل ويقوى روح الاخلاص ، ويبعث الثقة ، وللثقة أثرها فى تقوية الروح المعنوية وحملها على المزيد من الجهد .

وقفة للعبرة والدرس :

ولنقف ساعة بين شبابين نلمس خلالها الحياة بكل ما تحمل معانيها فى أحدهما ، ثم نلمس الاستهانة بالحياة بكل ما ينطوى عليه لفظ الاستهانة (فى الآخر) .

انها وقفة بين شباب فجر الاسلام وشباب الحاضر تدعونا لنحنى الرأس اكبارا للأول ، ثم نتلمس الرءوس مخافة أن يطير بها الدوار اشفاقا على الثانى :

فشباب فجر الاسلام عاش فى رجولة مكتملة وهو فى طليعة عمر الشباب ، فقام بأعنف ما تتطلبه الرجولة من مواقف وهز بايمانه ، وبالطاقات التى فجرها ذلك الايمان قلوب الصناديد الذين أذهلتهم روعة تلك المواقف حين رأوا فيها عزائم خارقة كلها من صنع الايمان الواثق الذى لا تعجزه قوى البشرية .

وكم للشباب الاسلامى من مواقف امتحن فيها ايمانه وثباته وصبره وقدراته المحاربة وشجاعته فكان أقوى مما عرفه الناس ممن ضربت بهم الأمثال فى كل ذلك :

موقف تحد :

بطل هذا الموقف على بن أبى طالب وهو فى الثالثة والعشرين من عمره أو يقل قليلا أو يزيد قليلا ، وكان ذلك الموقف ليلة الهجرة حين أعدت قريش عدتها لتنفيذ تآمرها لاغتيال الرسول حتى تستريح من محمد ومن دعوته ومن تحديه لها ولآلهتها ، وأغشى الله الأبصار ، وخرج الرسول بعد أن خلى عليا فى فراشه مغطى ببردته ليخدع بـه أنظار القرشيين حتى يتوارى عنهم وعن طلبهم .

واضطجع على فى فراش الرسول وهو يعلم أنهم سيقتلون ذلك الضجيع ، وأن سيوفهم ستمزقه حين يهوى بها أولئك الأشداء فى حنقهم الجارف ، وحقدهم العاصف ، ومثل هذا الموقف تفزع الرهبة فيه كل قلب الا قلب المؤمن . نعم رقد على ينتظر سيوف القرشيين أو يرتقب

تحركهم من حوله فى ظلام الليل لينفض عنه الغطاء ، ويواجه أعداء اللـــه الذين قد تعميهم الثورة عندئذ وتوهن الظلمة أبصارهم فلا يميزون بين على ومحمد ، وقد يصم الحقد آذانهم فلا يفرقون بين صوت على وصوت محمد حين يستصرخ الضجيع وقع السيوف ، ثم يذهب على ضحية الخديعة التى يختفى وراء صورتها .

ولاحت تباشير الفجر ، ولاحت معها الحقيقة المغطاة ، حقيقة على النائم فى مضجع الرسول ، وجن جنون قريش حين رأت وجه الحقيقـــة وكتمت الأنفاس ولوى الثائرون وجوههم يطلبون فوق ظهر الأرض أو فى بطنها محمدا ، ورماهم على بنظرات تحمل ما تحمل من المعانى ، وخـــرج فأقام بينهم ثلاثة أيام سخر خلالها من صرير الأنياب ومن كل ما أخرجـــت الأفواه من نفثات وكلمات كما سخر من النظرات الحاقدة التى لم تحمـــل جديدا يجهله على .

وكان مقامه فى الأيام الثلاثة مقام المتحـــدى الساخر من كـــل ما رسمت قريش من أساليب وما أعدت من خطط وعدد . ان القلب الكبير الذى حمله فتى فى الثالثة والعشرين فتحدى بعزيمته وايمانه أحقاد قريش فى أعنف ساعات هياجها وتعاميها عن رؤية كل شىء الا الدم ذلك القلب لا يمكن أن يكون لغير فتى مؤمن أحب عقيدته وأحب البذل والجود بالروح فى سبيلها (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .

« موقف آخـــــر » :

وبطل هذا الموقف أيضا على بن أبى طالب وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان ذلك يوم الخندق أو غزوة الأحزاب حين جمعت قريش من آفاق الجزيرة الجموع والأحلاف والمناوئين لدعوة اللـــه ، وحاصرت بهم المدينة ، وضرب الرسول حولها الخندق ، وجثم المسلمون وراءه يحتمون به ويصوبون من ورائه الى المنقضين نبالهم ، واقتحم الخندق بعض الفوارس وبينهم (عمرو بن ود) الفارس الذى لا يشق غبـــاره ، ولا يطيق كراتـــه منازل ، ودعا المسلمين الى المبارزة فهابه المسلمون غير على فقـــد وقف يريد مبارزته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس ، وصال عمرو وجال وصرخ : هل من مبارز ؟ وهم على فقال له الرسول : اجلس ، وخاف عليه من لقاء عمرو وهو على ما عرفه الناس من الدربة على المبارزة وسرعة الحركة والشجاعة وقوة الضرب والفتك ، ثم صرخ الثالثة : هل من مبارز ووقف على فقال له الرسول : اجلس انه عمرو بن ود فقال : وانا عـــلى فأدناه الرسول وقبله وعممه بعمامته ، وخطا معه خطوات كأنما يودعه وقد بلغ به القلق عليه مبلغا ثم قال الرسول : الآن برز الاسلام كله للشرك كله ، وكأنه يرى الاسلام كله تمثل فى على والشرك كله تمثل فى عمرو .

وتقدم على وصمت المسلمون ، واستقبل الرسول بوجهه السمـــاء يدعو ربه ، وغطى التراب المتبارزين ، وشدت الأنظار الى الغبار ليعرف من يكون الذى ينكشف عنه ؟ ومن الصريع ؟

ثم قطع الصمت تكبير على فرجع المسلمون تكبيره ، وانكشف الغبار عن على يقف الى جانب ذلك الفحل الصريع يتخبط فى دمه بعد أن أرداه شباب على المؤمن وهتفت القلوب : لا فتى الا على ولا سيف الا ذو الفقار وسالت على شفرات سيف على تلك الدماء الحاقدة العنيدة وانهار أمام شباب على ذلك الصرح الشامخ الذى كان أسطورة القوة متمثلة فى عمرو وماضى صراعه وفتكه ورهبة لقاءاته .

وازداد بهذا الموقف ايمان المسلمين بأن قوة الايمان وقوة الثقة وقوة الاعتداد بالنفس هذه كلها أسلحة تتحطم أمامها كل ما اغتر به العدو من أسلحة .

((قيـادة شاب))

والشاب القائد هو أسامة بن زيد ، وقد ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم قيادة جيش أعده لغزو الروم ليثأر لهزيمة المسلمين فى موقعة (مؤتة) وضم هذا الجيش أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح .

وقد استنكف بعض المسلمين من تأمير أسامة وهو فى السابعة عشرة على جيش فيه كبار الصحابة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم بما قيل فخرج مغضبا وهو فى مرض الموت فجلس على المنبر فقال :

« أما بعد أيها الناس :

فما مقالة بلغتنى فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى امارته فقد طعنتم فى امارة أبيه من قبله ، وايم الله أن كان لخليقا بالامارة ، وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى ، وانه لمظنة كل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم » .

وبهذا بين الرسول أن امارة الجيش ليست وقفا على أصحاب الأحساب والأنساب .

وكان اختيار الرسول لأسامة فى هذه السن توجيها لتدريب الشباب على القيادات حتى يتحملوا المسئوليات فى المواقف الخطيرة .

ولم ينس الرسول فى ذلك الاختيار أن أسامة قتل أبوه فى مؤتة بأيدى الروم فتقديمه للامارة يحمل معنى قد لا يوجد فى غيره وهو استماتته فى القتال ليثأر لأبيه من قتلته .

تاريخ الشباب فى فجر الاسلام :

واذا ذهبنا نقلب صفحات فجر الاسلام فسنرى فيها الوانا والوانا من الشباب الشجاع والشباب العالم والشباب المتفقه والشباب الحاكم وكل هذه الصفحات تفيض بالمفاخر وتتحدث عن شباب ماجد تحمل فى الدولة الكبيرة المسئوليات فاستقل بأعبائها كأحسن ما يكون الشيوخ دربة وتجربة واستعدادا وحيلة وبعد نظر .

((شـــباب الحاضر))

فاذا تخطينا أعناق القرون ، وتسلقنا الزمن الى حاضرنا وتجاوزنـــا شبابنا المحارب على خط النار فوقفنا بين شبابنا فى الجامعات والمعاهد أو بين المعامل والمصانع أو بين حقول الريف لنحاول الموازنة بينه وبين شباب فجر الاسلام من حيث الايمان أو العمل أو الاخلاص للدولة أو التفانى فى خيرها أو النهوض بالمسئوليات أو الاستعداد لبذل الجهد والعرق والمال أو التواصى بالحق والصبر لساء الحكم شبابنا ، وأضجرته الحقائق التى يعيش فيها واقعه وهو لا يفكر فى مغبتها : حقائق تنكره لكل القيم التى تعتمد عليها الأمم الحية وتقوم عليها دعائم مقومات حياتها :

فالعقيدة الدينية التى تربط الشاب بربه لا وجود لها فى دنيا شباب جمحت به العواطف الى أبعد ما يتصور الانسان من جمـــوح الحيـــوانية المعربدة ، فانطلق شبابنا لارضاء هذه الحيوانية وهو لا يجد فى قلبه بقية من وازع دينى تشده ساعة الى ربه ، وتحمل على الانصياع لأمـــره أو نهيـــه .

والاندفاع الى العمل تحت رقابة الضمير مات حين مات الضمير ومات سلطانه وارتبط التحرك للعمل بالقهر أو المال . والاخلاص يعيش لفظه فى القواميس وعلى السنة الرجعيين وأقلام الكتـــاب والشـــعراء ومحترفى السياسة أما معناه فقد دفنته دنيا المادة التى قضت على كل القيم .

واصبح الشباب يقدر الاخلاص بمقدار ما يأخذ لا بمقدار ما يعطى وبذلك اضطربت موازين القيم واختلت مقاييسها .

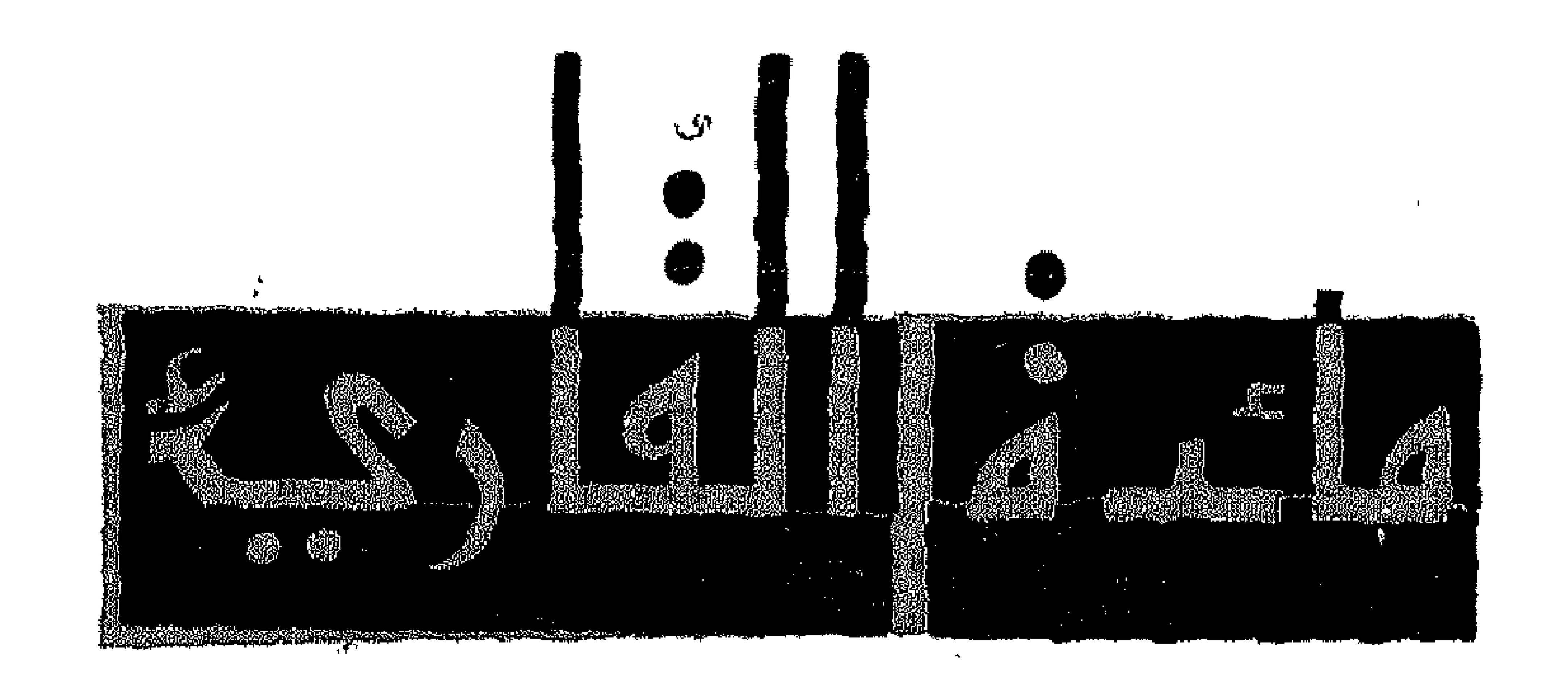
والتفانى فى خير الأمة يخلقه الايثار وكيف يرفع الايثار رأسه فى وسط شباب تستبد بهم الأثرة بكل شىء فى حياته فهو مستعبد لغريزة التملـــك وزمامه فى يد الأنانية تجره كما تشاء لا كما يريد الخـــير . والنهـــوض بالمسئوليات لا يعرفه الشباب الذى يفر من المسئوليات ويتخلص من الثبات .

وأخيرا الى أى هوة يساق ذلك الشباب ، وهلا ألقى النظر بعيدا ليرى المصير الذى يتزلق اليه ؟ وهلا أصاخ الى نداء المشـــفقين قبـــل أن يسقط فلا تستطيع قوة أن تنتشله مما تردى فيه .

((نـــــداء)) :

يا شباب المسلمين الغارق فى الخطيئة : ان أمواج الحياة مليئـــة بالوحوش ، ولن تدعك تنعم بالحياة وهى تشقى بالجوع ، فانتزع نفسك من خطايا نفسك لتسمو فوق أمواج الحياة .

والله الله يا شباب المسلمين فليس لكم غد اذا لم تخرجوا من ظلمة هذا الليل بعد أن ينبثق فى قلوبكم نور الله فيحول شبابكم المظلم الى شباب يغمره الله بالايمان ، وعند ئذ تستعيدون دنيا أمة كانت خير أمة أخرجت للناس .



يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتـا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم .

صفات القاضى

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له ــ انى لا أحسن القضاء ولست فقيها .. قال الرشيد ــ فيك ثلاث خصال .

لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .

وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقـه فسنضم اليك من تتفقه به فولى الرجل وما وجدوا فيه مطعنا .

مأزق حـرج

حكى عن الحجاج أنه خرج يوما متنزها فاذا هو برجل عجوز من بنى عجل ، فقال له الحجاج من أين أيها الرجل قال من هذه القرية ، فسأله كيف قولك فى الحجاج ، قال ما ولى العراق شر منه قال أوتعرف من أنـا فأجاب لا قال أنا الحجاج ، قال الرجل جعلت فداءك ، أو تعرف من أنا قال الحجاج لا ، فقال أنا فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتيـن ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

أوشك الصباح الجديد أن يشرق دون أن ينصرف أحد من الضيوف ، واخيرا نظر اليهم صاحب المنزل الذى ملأ الغيظ قلبه وقال :

كان لطيفا منكم تفضلكم بزيارتنا مساء أمس .

قيل لعنترة :

بم تغلب الأبطال يا عنترة ؟

قال — أضرب الجبان ضربة ينخلع لها قلــب الشــجاع ، فأنثنى عليه فأقتله .

■■■■■■■■■

لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدرة .

ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل .

ولو قيل له ما غايتك لقــال الحرمان ..

■■■■■■■■■

سأل سائل عربيا حاجــة فرده الاعرابى ..

فقال السائل — أين الذيــن يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فأجابه الاعرابى — ذهبــوا مع الذين لا يســألون النــاس الحافا .

نفس كبيرة

كان يزيد بن المهلب بعــــد خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز مسافرا فى البريــــة يصحبه ابنه معاوية ، فمــــر بأمراة بدوية ذبحت لهما عنــزا فلما أكلا قال يزيد لابنه .

— ما يكون معك من النفقة ؟

قال مائة دينار ..

قال أعطها اياها .

فقال له ابنه — هذه فقيــرة يرضيها القليل وهى لا تعرفك ؟

فقال يزيد — ان كان يرضيها القليل فأنا لا يرضينى الا الكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

■■■■■■■■

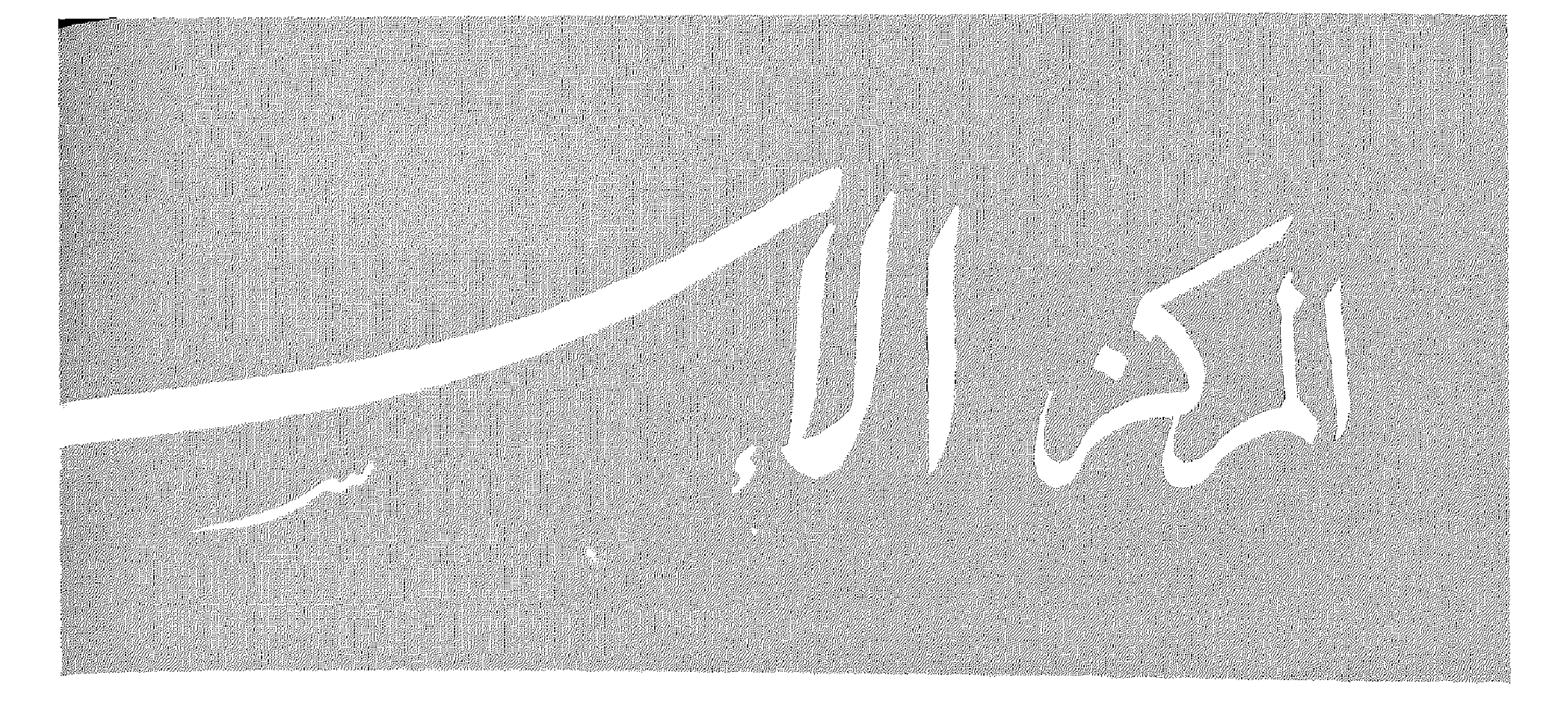
كلمات مضيئة

أعقل الناس أعذرهم للناس .

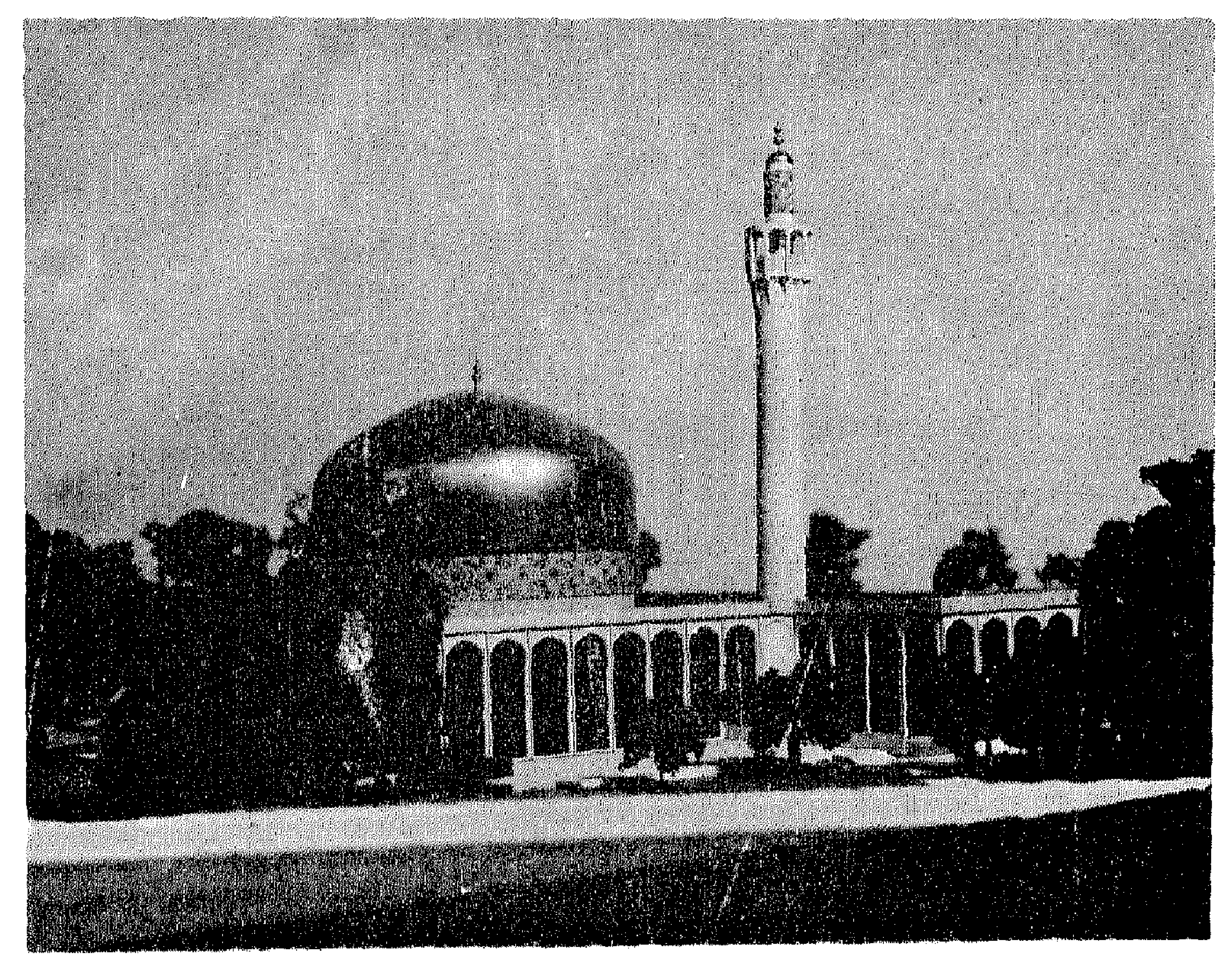
خير الناس أنفعهم للناس .

أحمد الناس عاقبة فى الدنيا والآخرة أكتمهم للسر .

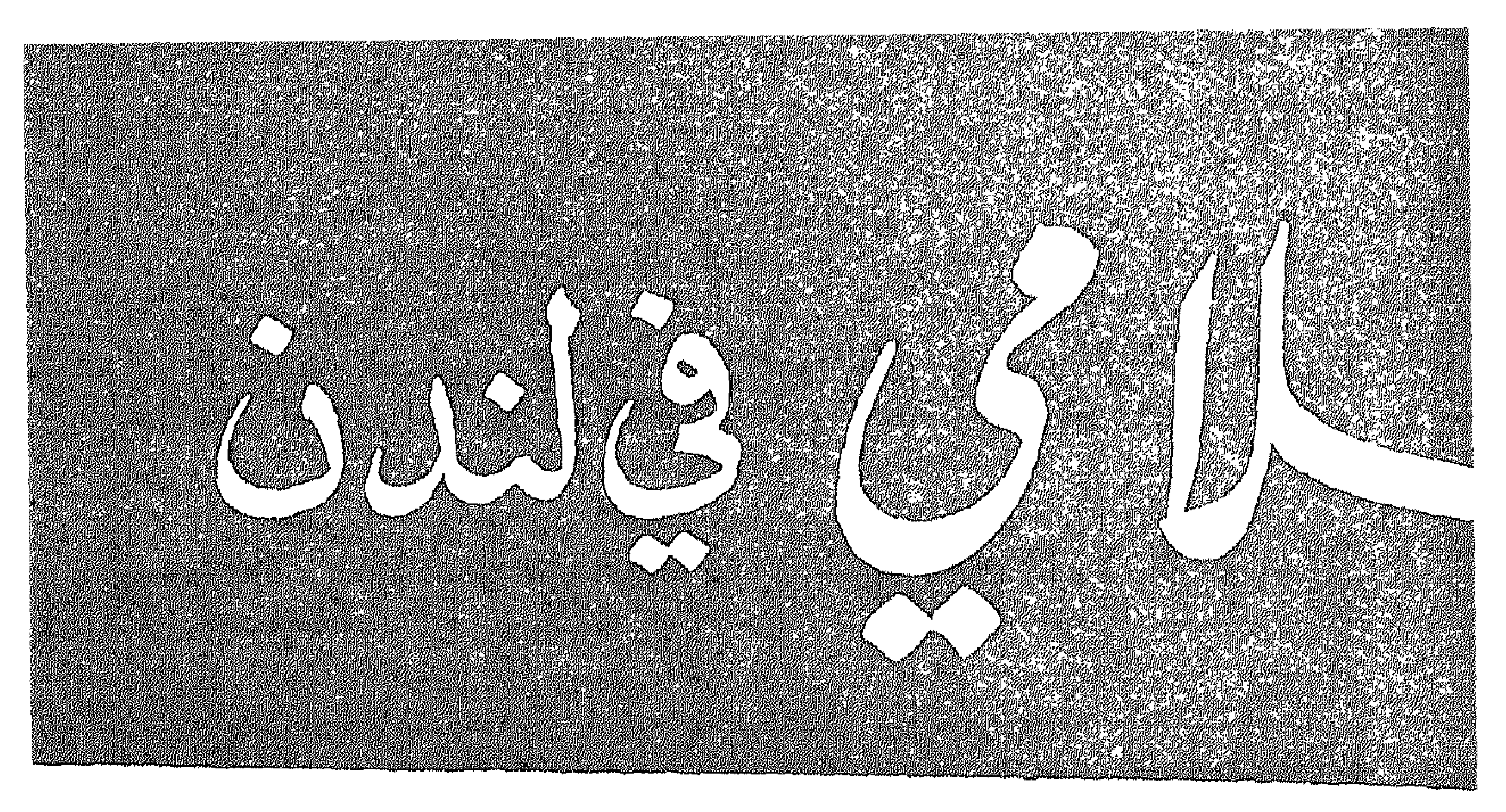
لا تقل ما لا تعلم ولا تقل كل ما تعلم .



ان أهم المساجد وأكبرها وأكثرها تأثيرا فى انجلترا هو مسجد لندن والمركز الثقافى الاسلامى بها ، فما هى قصة مسجد لندن ؟ انها قصة تمتد على مدى ثمانية وعشرين عاما منذ أن قدم الملك جورج الخامس المبنى الحالى للمركز الاسلامى والحديقة المحيطة به هدية الى الحكومة المصرية ليبنى عليها مسجد ، وفى نظير ذلك قدمت الحكومة المصرية قطعة أرض فى قلب القاهرة ، الى الجالية البريطانية ليقام عليها كنيسة وقد أقيمت الكنيسة فعلا منذ عام ١٩٤٥ وتسمى الكنيسة الانجلوكانية ، وموقعها حاليا على النيل بشارع الكورنيش على بعد حوالى ثلاثمائة متر



مبنى المركز الاسلامى فى لندن .



من ميدان التحرير . وبالقرب من فندق الهلتون ، وقد أقيمت الكنيسة بدون تدخل من السلطات المصرية فى كيفية اقامة البناء لأن المفروض أنه مكان للعبادة ، ومن حق المتعبدين أن يبنوه على الطريقة التى يرونها متمشية مع أساليب تعبدهم ، ومرد هذا الى السماحة التى أمر بها الاسلام مع المخالفين فى العقيدة ، والحرية المطلقة فى مباشرة ألوان التعبد حسب مقتضيات دينهم ما دامت لا تعتدى على حقوق الآخرين .

أما المسجد فلم يبن حتى الآن ، وقد تدرج فى الخطوات الآتية :

لما كان المسجد للمسلمين جميعا وليس للمصريين فقط رؤى أن يكون مجلس ادارته من سفراء الدول الاسلامية التى لها تمثيل سياسى فى انجلترا فى ذلك الوقت ، وهى مصر والسعودية ، وايران ، وتركيا ، وجرى التقليد على أن يعتبر سفير أى دولة مسلمة عضوا فى مجلس أمناء المركز الذى يتكون حاليا من حوالى اثنين وعشرين عضوا ، ويكون أقدم السفراء رئيسا للمجلس يعاونه نائبان يلوونه فى الأقدمية ، ويرأس أقدمهما المجلس فى حالة غيابه ، ويختار سكرتير للمجلس من بين السفراء ،ويمثل الباقون أعضاء المجلس ، والمفروض أن تسهم كل دولة بنصيب من نفقات المركز كل عام ، ولكن الملاحظ أن هذا الاسهام لم يكن بالقدر الذى يمكن المركز من أداء رسالته كما يرجى لها ، والأمل معقود أن يتلافى هذا مستقبلا .

وقد اتجه الجهد الأكبر للمجلس فى السنوات الماضية الى محاولة اقامة مسجد يمثل العالم الاسلامى وقد صادف بناء المسجد عقبات لم تكن فى الحسبان ، فقد جمع له مبلغ ربع مليون جنيه ، وأعد تصميم للبناء وأرسى حجر الاساس فعلا عام ١٩٥٤ الا أن السلطات الخاصة بتصاريح البناء لم توافق على اقامة النموذج المقدم بحجج مختلفة فمرة قيل إن المئذنة مرتفعة ، ومرة اعترض على طريقة تصميم البناء ذاتها ، وفى عام ١٩٦٥ م كان الشعور السائد بين المسلمين أن المسئولين يضعون العقبات أمام المسجد لأنهم لا يريدون أن يقام مسجد فى هذا المكان الهام فى لندن ، ومما يذكر أن المكان الحالى للمسجد يطل على حديقة ريجنس بارك المشهورة ويؤمها الزوار من مختلف أنحاء انجلترا . ولما وصل الأمر الى هذا الحد كونت لجنة من السادة السفراء تسمى (لجنة المسجد) وأخذت تعمل على التعجيل ببناء المسجد ، وواصلت دراستها لكل العقبات ، ورؤى أن توضع

بشروط مسابقة عالمية لاقامة مسجد لنـــــدن ، وقطعا للطريق علـــى أى اعتراض من جهة السلطات البريطانية اتفق على أن تكون اللجنة من ثلاثة من المهندسين المعماريين أحدهم انجلزى والثانى مسلم والثالث اسبانى وقد اختير المهندس المسلم من باكستان ، ووضعت اللجنة شروط المسابقة ونظرت فى النماذج المقدمة ، وكانت نتيجة المسابقة فوز التصميم الذى تراه فى الصورة ، وهو من اعداد المهندس الانجليزى ، وكان المفروض أن يبدأ البناء عقب اعلان نتيجة المسابقة مباشرة الا أن الاموال المطلوبــة غير متيسرة حتى الآن ، ويتكلف البناء حوالى مليون ونصف مليون جنيــه استرلينى ، والمطلوب الآن جمع مليونين من الجنيهات ويستغل المبلـــغ المتبقى بعد البناء ليصرف من ريعه على أعمال الصيانة ومتطلبات البنـــاء المتجددة مع الزمن ، والأمل معقود أن تقوم الدول الاسلامية بواجباتها حتى يقوم بناء يمثل كل ما فى الاسلام من معان نعتز بها ، والانظار متجهة الى الكويت وشقيقاتها العربيات فى تحمل العبء الأكبـر من هـذا المشروع وخاصة هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالرزق الواسع والخير الكثير .

والمبنى الحالى للمركز الاسلامى عبارة عــن قصر كبير تحيط بــه حديقة فسيحة سيقام المسجد الجديد على أرضها وتستعمل ثلاث صالات واسعة بمثابة مسجد تقام فيه الصلوات ، يوم الجمعة يفرش الفنـــاء الذى يؤدى الى الصالات الثلاث وقاعة القراءة ، وتكون كلها غاصـــة بالمصلين الذين يتراوح عددهم فى الايـــام العادية بين الخمسمائـــة والستمائة ، فاذا كان يوم الجمعة يوم عطلة ارتفع العدد الى الف أو يزيد والمنظر المؤثر حقا هو يوم العيد فى لندن ففى هذا اليوم يجتمع فى ساحة المركز الاسلامى حوالى عشرة آلاف مسلم ينتسبون الى كل دول العالـــم فى الشرق والغرب وتغطى حديقة المسجد بالخيام التى تغص بالمصليـن ومع ذلك فان عددا كبيرا منهم يضطر للصلاة خارج الخيام لأنه لا يجد مكانا وكثيرا ما يكون ذلك تحت المطر المتساقط بدون توقف مما يثير دهشـــة الاجانب ، ويلفت انتباههم ، وسنعرض هنا لأهـم ألوان النشـــاط التى يؤديها المركز الاسلامى فى لندن :

يلبى نشاط المركز الثقافى فى لندن حاجات المسلمين المقيمين فـــى انجلترا سواء كانت دينية أم ثقافية أم اجتماعية . وهذه التلبية تتم فى حدود الامكانات الميسرة للمركز .

فى النواحى الدينية : تقام الصلوات بانتظام وخاصة صلاة الجمعة من كل أسبوع ويسبقها الاستماع الى القرآن الكريم من تسجيلات أشهر مقرىء القرآن الكريم ويطبع المركز مواقيت الصلاة على مدار العـــام ويوزعها على المسلمين مجانا . ويزداد هذا النشاط فى رمضان حيــث تتخذ ألوان النشاط المناسبة لهذا الشهر الكريم فتعد امساكية خاصـــة بشهر رمضان مبينا فيها بدء الصيام ونهايته كل يوم مع أوقات الصـــلاة وصلاة التراويح التى تقام كل ليلة وتستمر حتى العاشرة والنصف مساء ، ومقدار الزكاة الواجب على المسلم فى هذا الشهر وميعاد صلاة العيـــد حيث تتم اجراءات ضخمة نظرا لارتفاع العدد الذى يتوافد على المركز فى ذلك اليوم الى ما يقارب العشرة آلاف . فتؤجر خيام تقام فى ساحة حديقة المركز مما يكلف حوالى (٩٠٠) جنيه « استرلينى » تقريبا أو يقل قليلا ، ويحصل مثل هذا العدد فى عيد الأضحى المبارك .



يبدو معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ راشد الفرحان مع مجموعة من العلماء وبعض من المسلمين فى محراب مسجد نور الاسلام بمدينة كارديف ـــ انجلترا .

وفى خلال شهر رمضان تتم الاحتفالات بغزوة بدر وفتح مكة وليلة القدر حيث يبقى عدد من المسلمين فى المسجد حتى الصباح . ويعد لهم المركز طعام الافطار والسحور .

ويقوم المركز بعقود الزواج للمسلمين فى انجلترا وتبلغ هذه العقود سنويا قرابة مائة وخمسين عقدا وقد تبلغ المائتين . ويتقاضى المركز عن كل عقد خمس جنيهات وربع وقد يعفى منها غير القادر . ويقوم المركز باشهار اسلام الراغبين فى الاسلام واعطائهم شهادة بذلك بعد شرح الاسلام لهم ومناقشات معهم قد تستغرق شهورا أو أسابيع حسب معلومات الراغب فى اعتناق الاسلام . ويزودون بعدد من الكتب تشرح لهم الاسلام بعضها يقومون بشرائه من الخارج وبعضها يقدمه المركز هدية . ويبلغ متوسط الداخلين فى الاسلام حوالى مائتى شخص سنويا أو يزيدون .

ويقوم المركز بالرد على أسئلة المسلمين أو استفتاءاتهم فيما يعرض لهم من الامور التى يستوضحون عنها أو بعض المشاكل التى تعترض حياتهم مما يتعلق بأمور الأسرة وغيرها . كذلك يجيب المركز على أسئلة كثيرة من غير المسلمين الذين يستوضحون بعض الامور فى الاسلام أو يقومون باعداد دراسات فى مدارسهم أو كلياتهم فى الاسلام أو الاديان بوجه عام . وقد لوحظ ارتفاع عدد هذه الحالات فى الفترة الاخيرة بصورة ملحوظة .

كذلك يقوم المركز بأداء صلوات الجنازة على المتوفين من المسلمين فى لندن والذين يرغب أهلوهم فى اقامة الصلاة عليهم فى المركز .

النواحى الثقافية : وهى فى الحقيقة متصلة اتصالا وثيقا بالنواحى الدينية ولا تكاد تنفصل عنها لأن أى نشاط ثقافى يأخذ دائما الصبغة الدينية ومظاهر هذا النشاط تتمثل فى الصور الآتية :

(١) اعداد محاضرات دورية تتناول موضوعات اسلامية مختلفة وتتم فى دار المركز يدعى اليها جمهور المسلمين ، ويقوم بالقائها بعض الأساتذة المقيمين أو المارين بلندن والذين لهم القدرة على التحدث باللغة الانجليزية . وتشمل هذه المحاضرات الاحتفال بالمواسم الاسلامية الهامة مثل يوم الهجرة ، المولد النبوى ، الاسراء والمعراج ، وكذلك غزوة بدر ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، والعيدين اللذين سبق ذكرهما .

(٢) كذلك يقوم المركز بارسال متحدثين عن الاسلام الى الكنائس والجامعات والمدارس والجمعيات والنوادى المختلفة التى تطلب متحدثين عن الاسلام أو تنظم دراسات عن الاديان المختلفة ، يتحدث فيها مندوب عن المركز عن الدين الاسلامى . وقد ازداد اقبال الانكليز فى السنوات الثلاث الاخيرة بشكل ملحوظ .

(٣) يقوم المركز باصدار مجلة باللغة الانجليزية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر ، وتعتبر فى مستوى راق تهتم بها أقسام الدراسات الاسلامية والعربية فى جامعات العالم المختلفة فى أوروبا وأمريكا وآسيا وافريقيا .

أما النشاط الاجتماعى فيتمثل فى زيارة المرضى فى المستشفيات والمسلمين الذين يقضون فترات السجون . وأهم مظاهر النشاط الاجتماعى هو تقديم مساعدات مالية الى المحتاجين وتدفع هذه المساعدات من الزكاة أو من النقود التى يقدمها أصحابها ويطلبون توزيعها على المحتاجين من المسلمين . وأكثر هذه المساعدات تدفع للطلاب الذين يدرسون ويحتاجون الى معاونة مالية ليستمروا فى دراستهم ، والمظهر الثانى الهام من النشاط الاجتماعى هو حل مشاكل الأسر الاسلامية هنا وازالة الخلاف من بين أفرادها ومحاولة دراسة الظروف التى أدت الى الشقاق ومعالجتها بحكمة وقد تم علاج كثير من هذه الحالات واستؤنفت الحياة الزوجية بعد أن كانت قد تعطلت أو أصيبت بالتصدع .

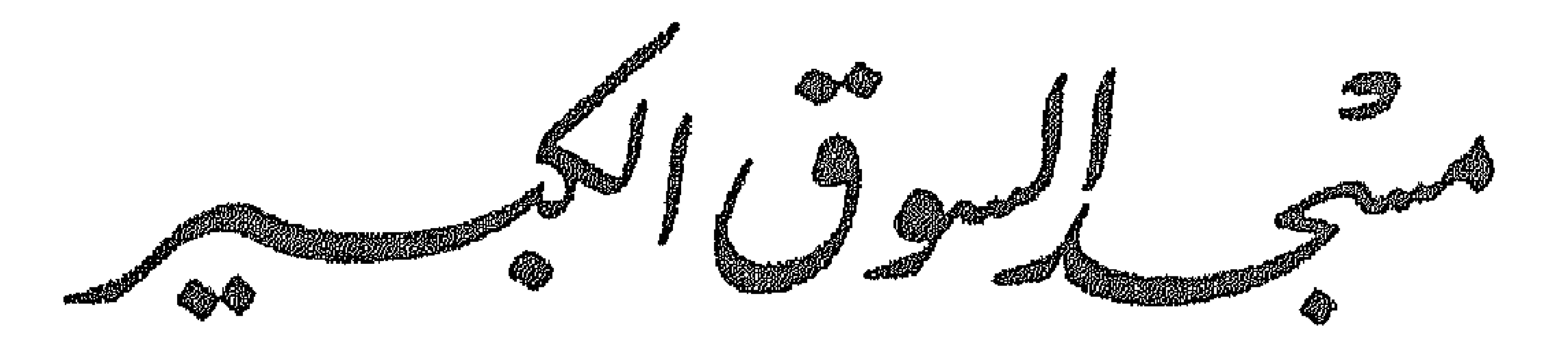
هذا بالاضافة الى الجهات الكثيرة التى تكتب الى المركز وتطلب رأى الاسلام فى بعض الامور مما يتعلق بالاسرة ومشاكلها أو نظام الطعام أو الشراب أو علاقة الناس بعضهم ببعض .

هناك أمور عامة يقوم المركز بها بعضها دائم مثل قضية فلسطين والعمل من أجلها باصدار بعض النشرات والكتيبات التى تلقى أضواء على القضية وجمع التبرعات باستمرار وارسالها الى المنظمات الفدائية والمشاركة فى أى اجتماع عام يعقد فى لندن من أجل هذا الغرض ، وبعضها مؤقت مثل جمع التبرعات لبعض البلاد الاسلامية التى نكبت بأحداث طبيعية أو تعرض المسلمون فيها لظروف قاسية كما حصل بالنسبة لزلزال تركيا وايران وسيول تونس وباكستان ، وتعرض المسلمين فى مورشيس لظروف ارهاب أدت بهم الى هجر منازلهم . فى كل هذه الظروف قام المركز بجمع التبرعات وارسالها الى المنكوبين بهذه الأحداث .

هذا المركز الاسلامى فى لندن منارة للاسلام فى بلاد الانجليز .

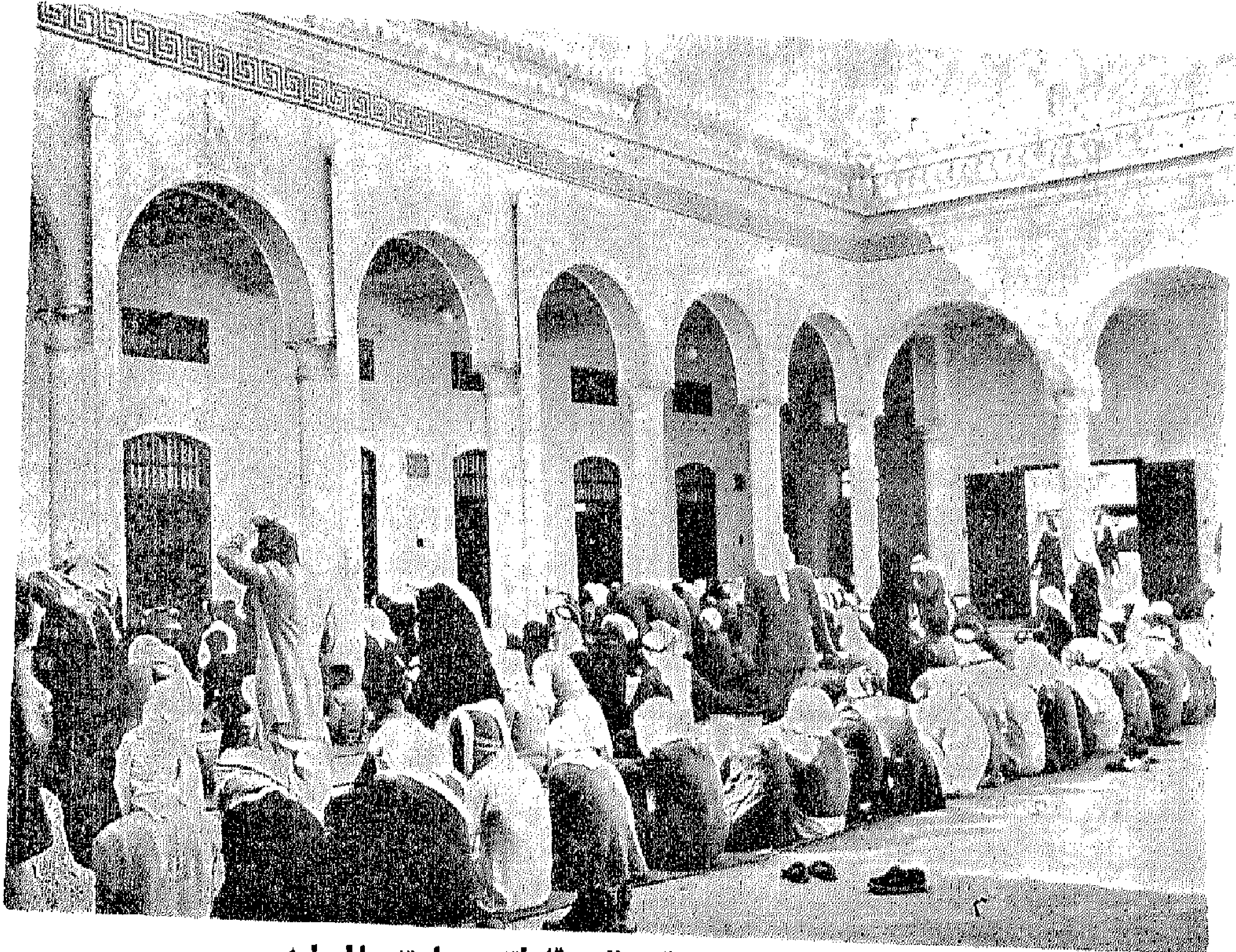


اعداد : الشيخ محمود وهبة



فى رحلة للنور لا يطولها الظلام ..وفى شموخ واعتزاز تتصاعد المآذن العديدة فى كل مكان بدولة الكويت لتكون دليلا اكيدا على أن التقدم الحضارى يواكبه وينظمه سمو روحى ليصل به دائما الى أسمى الغايات .

والكويت كانت — ولا زالت تولى المساجد عناية خاصة وترصد لها



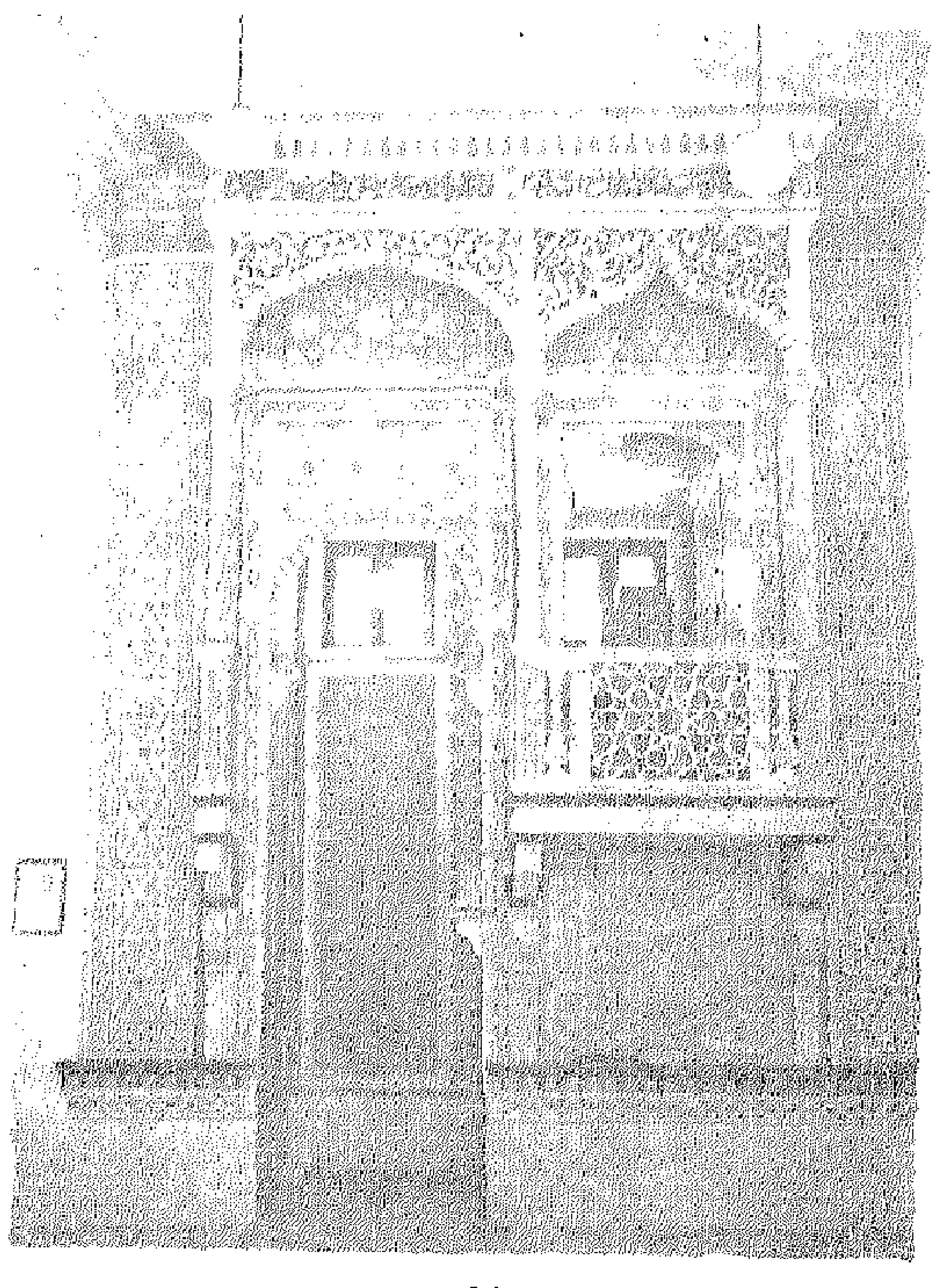
صورة لمسجد السوق من الداخل وقد ملئت قاعاته وساحته بالمصلين .

الاموال الطائلة بناء وتعميرا واصلاحا حتى بلغ عددها الآن أكثر من ثلثمائة مسجد تعتبر بحق مركز اشعاع روحى يهدف الى ايجاد مجتمع عف المشاعر نظيف السلوك يتعاون افراده على البر والتقوى ولا يتعاونون على الاثم والعدوان ..

وأقدم مساجد الكويت هى : مسجد الابراهيم ومسجد آل خليفة ومسجد العدسانى ، فهذه الثلاثة هى أقدم مساجد الكويت على الاطلاق وقد بناها الرعيل الأول الذين استوطنوا الكويت منذ مئات السنين وكان البناء يتم بالطين والحجارة والأخشاب وغيرها من مواد البناء المتاحة حينذاك .

ومسجدنا الذى نفتتح به هذه السلسلة من التحقيقات عن مساجد الكويت هو مسجد السوق الكبير وهو مسجد مهيب يمتاز بضخامة مساحته وجمال منظره ، وروعة نقوشه ، ودقة زخارفه ، مما يجعله بحق — من أعظم مساجد الكويت ..

وقد تم انشاؤه عام ١٢٠٩ هـ بجهود المحسن الكبير المغفور له الشيخ محمد بن حسين بن رزق وبعض محسنى الكويت وكان فى أول أمره صغيرا لا يتسع الا لعشرات المصلين وكانت مئذنته عادية جدا لا يزيد ارتفاعها عن بضعة عشر مترا وكان تجار الكويت يحرصون دائما على الصلاة فيه . وفى عام ١٢٥٥ هـ تم تجديده لأول مرة بمعرفة المغفور له الشيخ يوسف الصقر بمساعدة بعض المحسنين وفى هذا التجديد أدخلت عليه زيادات هامة وأضيفت له مساحات جديدة مما جعله يتسع لآلاف المصلين ، وأثناء عملية التجديد أوصى الشيخ يوسف الصقر أحد أصدقائه الذين كانوا يخوضون البحر فى رحلاتهم الطويلة الى آسيا وأفريقيا



محراب المسجد

شراء الأخشاب اللازمة لعملية التجديد من النيبار (أفريقية) فاشتراها الرجل من هناك ولما علم البائع أن هذه الأخشاب لتعمير مسجد رد ثمنها وتبرع بها طلبا لثواب الله .

وفى عام ١٣٧٣ هـ جددته دائرة الأوقاف للمرة الثانية وأعطته الدولة عنايتها الكاملة وبلغ ما أنفقته الدائرة على هذا التجديد (٦٢٥٣١١) روبية وهى العملة التى كانت متداولة بالكويت فى ذلك الوقت ، وما زالت الوزارة توالى الانفاق على تجديده والمحافظة عليه ليبقى دائما منارة لنور الايمان على ضفاف الخليج .

والمسجد يقع فى قلب المنطقة التجارية وسط العاصمة وهى المنطقة التى كانت تتم فيها الصفقات التجارية بين الكويت وبين دول آسيا وأفريقيا فى الماضى البعيد ، وما زالت تحتفظ بمركز الثقل التجارى حتى الآن ، وتجد فيها مئات بل آلاف المحلات

التي تبيع لك كل شيء بأرخص الأسعار ويعمل في هذه المحلات تجار وعمال من جميع أنحاء العالم العربي وان كان معظمهم من المهرة والعمانيين ..

واذا ألقيت نظرة عامة على المسجد من الخارج فستهزك حتما روعة مظهره ودقة نقوشه ، وجمال زخرفه ، وضخامة بنائه ، وامتداد مساحته ، فواجهته الشمالية بها باب فخم يرتكز على اسطوانتين من الرخام الفاخر وتعلق عليها بعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط رائع وعلى بعد خطوات قليلة من الجهة الشمالية للباب نجد المئذنة التي بنيت على الطراز الفاطمي وبها نقوش جميلة وزخارف صنعت من الجص اللامع الذي يزيدها بهاء وفتنة كما يوجد بها اربع شرفات من جهاتها الاربع تنسجم مع طرازها وتعطي المشاهد صورة أصيلة لفن العمارة في الاسلام — ومما زاد المئذنة جمالا تلك الساعة الضخمة التي وضعتها الدولة في المئذنة ليراها الناس من كل اتجاه ويعرفوا بها أوقات الصلاة .

كما يوجد في الواجهة الشرقية بابان كبيران من خشب الساج يفضيان بك الى فناء فسيح يتسع لحوالي ألف وخمسمائة من المصلين والحقت به صالة كبيرة يجلس فيها الكثير من المسلمين عصر كل يوم يقرأون القرآن الكريم ويتعلمون أحكام التلاوة والتجويد ومبادىء التفسير وغيرها من علوم القرآن كما يوجد بالفناء أيضا دار فسيحة (لعابري السبيل) يجدون فيها المأوى والراحة والهدوء والاستقرار .. واذا تركنا الفناء بما فيه ودخلنا المسجد نفسه فاننا سنجده في غاية من البهاء والرواء . فأرضه قد فرشت بالسجاد الفاخر الثمين وجدرانه قد ازدانت بلوحات فاخرة كتبت فيها آيات كريمة من كتاب الله بخط كوفي رائع — كما توجد بالمسجد مكتبة ضخمة تمد المصلين بزاد أصيل من الثقافة الاسلامية بجميع فروعها ، ولا تجد أحدا في المسجد الا وبين يديه نسخة من كتاب الله أو كتاب اسلامي ينمي ثقافته ويزيد معرفته .. ويدفعه الى السمو الروحي في هذه الحياة ..

أما السقف فيرتفع على أعمدة من الاسمنت المسلح المغلف بالجص وتتوسطه قبة ضخمة ترتكز على ستة أعمدة وتتدلى منها ثريا جميلة جدا تضاء في الأعياد والاحتفالات الرسمية الى جانب الثريات الكثيرة المتناثرة في جوانب المسجد والتي تحيله في الليل الى شعلة متوهجة من الاضواء .. وحرصا على راحة المصلين فقد تم تركيب أربعة مكيفات كبيرة للهواء تعمل ليل نهار وتجعل الجو فيه مريحا للمصلين . أما الجهة الغربية والشمالية ففيها عشرة شبابيك مطلة على ساحة فسيحة مخصصة لوقوف سيارات المصلين ويلاصق المسجد من هذه الجهة المدرسة المباركية وهي من المدارس الأولى التي كانت من مقومات الحركة الفكرية والعلمية في البلاد .

ويعتبر مسجد السوق الكبير المسجد الرسمي للدولة ففيه يؤدي حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وأعضاء حكومته صلاة العيدين كما تقام فيه الحفلات الرسمية وحلقات الوعظ والارشاد التي ترسم للناس طريقهم الواضح في الدنيا والدين ، وتحدد لهم المنهج السوي في شئون الاسلام والحياة ..

• • • •

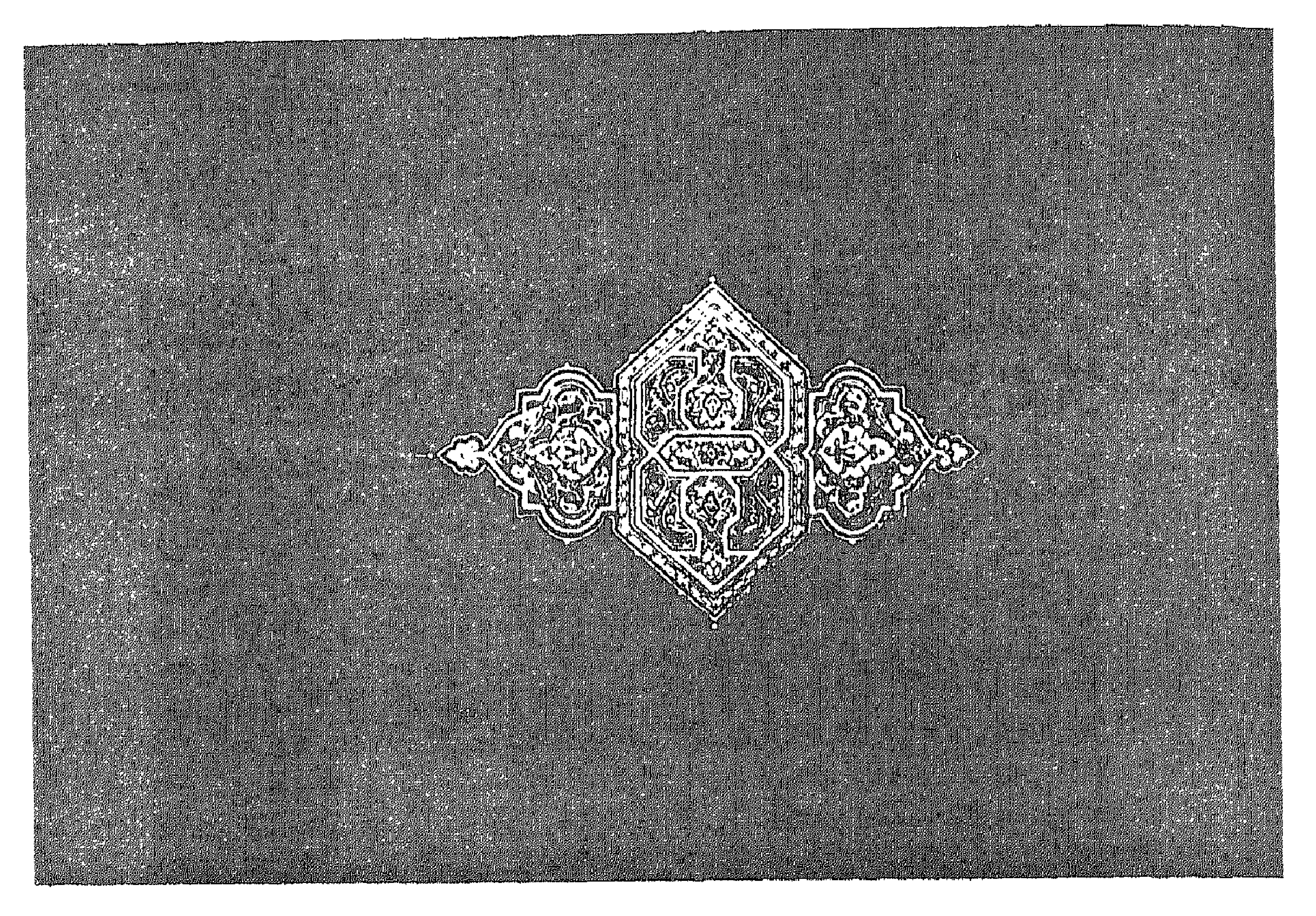
تلك هي نبذة موجزة عن مسجد السوق الكبير والى اللقاء في حلقة قادمة مع بيت آخر من بيوت الله ..



كان البدء فى فتح « الشام » متأخراً عن الفتح فى بلاد « العراق » فأول لواء عقده خليفة المسلمين أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ كان فى أول السنة الثالثة عشرة من الهجرة لخالد بن سعيد ، ثم عزله بناء على مشورة من عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قبل أن يأمره بالمسير ، وجعله ردءاً للمسلمين بـ « تيماء » .

ثم اهتم أبو بكر الصديق بـ « الشام » ، واعتزم الجد فى أمر « الروم » ، فاستنفر المسلمين للجهاد ، وجنّد الجنود ، وعقد الالوية الاربعة من كبار القواد المشهود لهم بالكفاءة والبطولة ، وعيَّن لكل واحد منهم طريقه ، والجهة التى يغزوها ويليها بعد الفتح .

١ ــ أبو عبيدة بن الجراح : ووجهته « حمص » ، وقاعدته « الجابية » .
٢ ــ يزيد بن أبى سفيان : وجهته « دمشق » ، وكان يرافقه أخوه معاوية .
٣ ــ عمرو بن العاص : ووجهته « فلسطين » ، وقد أمره أبو بكر الصديق بأن يمد الجيوش الاخرى بالمعونة اذا دعت الضرورة .
٤ ــ شرحبيل بن حسنة : ووجهته وادى « الاردن » .



المسلمين والروم..

للأستاذ محمد رجائي حنفي

وقد تراوحت تقديرات المؤرخين لعدد الجيش الاسلامى ما بين ستة وثلاثين ألفا وأربعين ألفا ، فيهم ألف صحابى ، منهم مائة يحملون وسام « بدر » .

ودع أبو بكر هذه الجيوش ، وأوصاهم وهو يودعهم بالعمل لله ، والجد والقصد ، واخلاص النية ، وذكرهم بما ورد فى كتاب الله عز جل من الثواب على الجهاد .

وأوصى يزيد بن أبى سفيان بحسن صحبة جنوده ، وأن يبدأهم بالخير ويعدهم اياه ، وأن يوجز فى وعظهم ، وان يكرم رسل أعدائه اذا وفدوا عليه ، وأن يقلل من مدة بقائهم عنده ، حتى يخرجوا من معسكره وهم جاهلون به ، فليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الرسل جواسيس يقومون بجمع المعلومات عن جيشه ، وان يمنع أى شخص من التحدث معهم ، بل يتولى هو بنفسه الحديث معهم ، وأن يكون يقظا بالليل فى أصحابه لتأتيه الاخبار ، وأن يصدق فى لقاء الاعداء ، ولا يجبن حتى لا يجبن الجنود ، فالقائد يعتبر المثل الاعلى لجنوده .

تحرك الامراء بجيوشهم وساروا حتى وصلوا « الشام » فنزل يزيد « البلقاء » ، وشرحبيل « الاردن » ، وأبو عبيدة « الجابية » ، وعمرو « العربة » .

ويظهر أن « الروم » فى بادىء الامر لم يحفلوا بالمسلمين ، ولم يظنوا فيهم القوة والقدرة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد ، والتغلغل فى داخلها بجيشهم القليل العدد الضعيف العدة ، فمهد هذا للمسلمين أن يقتحموا بجيوشهم بلاد « الروم » المجربين فى الحروب ، العارفين بمواضع الخطر ، الواقفين على عورات العدو ، الخبيرين بطرق البلاد ومسالكها .

لقد أوغل المسلمون فى جنوب « الشام » على شكل مثلث متقارب الاضلاع ، رأسه فى « البلقاء » مع يزيد بن أبى سفيان ، وأحد أضلاعه فى الجنوب الغربى فى « فلسطين » مع عمرو بن العاص ، والضلع الآخر فى الجنوب والجنوبى الشرقى فى « حوران » مع أبى عبيدة بن الجراح ، وفى الوسط شرحبيل بن حسنة بميل جهة الغرب ، بحيث يمد بعضهم بعضا ، ومن ورائهم يزيد بن معاوية يحفظ عليهم خط الرجوع ، ويؤمن لهم طرق المواصلات والامداد والتموين .

على هذا الشكل دخلت الجيوش الاسلامية « الشام » ، وافتتح كل قائد من القواد ما مر به من البلاد اما بالصلح أو بالحرب ، حتى اذا أخذت الصيحة الروم من كل جانب هبوا من غفلتهم هبوب المذعورين ، فكاتب الامراء هرقل وهو بـ « القدس » فخرج منها حتى وصل الى « حمص » ، فأعد الجنود وعبأ الجيش ، وأراد أن يشغل كل قائد من قواد المسلمين عن أصحابه ، ويضعفه عمن يكون بازائه ، فلديه الكثير من الجند والرجال ، فأرسل الى كل قائد أضعاف ما تحت إمرته من الجند ، فلجبهة عمرو بن العاص أرسل أخاه « تذارق » فى جيش قوامه تسعين ألفا من الجنود ، ولجبهة أبى عبيدة بن الجراح بعث « الفيقار بن نسطوس » فى ستين ألفا ، ولجبهة يزيد بن أبى سفيان أرسل « جرجة بن توذرا » فى خمسين ألفا ، ولجبهة شرحبيل بن حسنة بعث « الدراقص » فى أربعين ألفا ، فصارت قوات « الروم » المواجهة لقوات المسلمين مائتين وأربعين ألفا .

وعندما رأى المسلمون هذه القوات هابوها ، ورأوا فى التريث الحزم كل الحزم ، فتداولوا فى موقفهم منها ، فهم لم يكونوا يتوقعون أن يجدوا مقاومة منظمة مثل هذا التنظيم ، ثم وصل الى علمهم أن هرقل قد تحصن بـ « حمص » وأنه يتتبع أنباءهم بعناية بالغة ، وأنه جعل قيادة الجيوش لـ « تذارق » ـ الذى استطاع بمهارته وخبرته الحربية أن يوقع الهزيمة بالقوات الفارسية ـ ليطهر الاراضى الرومية من العرب ، وليلقى عليهم درسا لا ينسونه أبد الدهر .

وبعث المسلمون بالكتب والرسل الى عمرو بن العاص والخليفة أبى بكر الصديق ، يسألونهما الرأى والمشورة فى هذا الموقف الدقيق ، فكان رأى عمرو : « ان الرأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا لم تقم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا » .

وجاءهم كتاب من أبى بكر الصديق بمثل رأى عمرو ، يأمرهم فيه بالاجتماع ، وأن يلاقوا زحف المشركين أعداء المسلمين بزحفهم ، وأن

يحترسوا من الذنوب ويجتمعوا بـــ « اليرموك » .
وعندما بلغ هرقل ذلك كتب الى قواده أن : « اجتمعوا لهم ، وأنزلوا بالروم منزلا واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التذارق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص ، وعلى الحرب الفيقار ، وابشروا فان باهان فى الاثر مددا لكم » .
ولم يخف على هرقل أن المسلمين قد جمعوا فـــى جيوشـهم كل ما أمكنهم ، وفى طليعـــة هذه الجيوش أهل القـــوة والشـــدائد وخوض الصعاب ، وأن المعركة التى ستدور بين جيشه وجيوش المسلمين ستكون معركة مريرة فاصلة ، فان قدّر لقواته النصر فيها فلن يجرؤ المسلمون على غزو بلاده مرة أخرى ، وان انهزمت قواته فسلام على « سوريا » سلاما لا لقاء بعده ، ومن أجل ذلك اهتم بهذا الجيش الذى عبأه ، وجنّد له كبار قواده وأمرائه .

المواجهـــــة

ينبع نهر « اليرموك » من جبال « حوران » ، وينحدر سريع التيار بين آكام مختلفة الارتفاع الى غور « الاردن » والى « البحر الميت » ، وعلى بعد يتراوح بين ثلاثين وأربعين ميلا من ملتقى نهـــر « اليرمـــوك » بنهر « الاردن » تقع واقوصة فى منبطح فسيح من الارض ، تحيط بها من ثلاث نواح جبال بالغـــة الارتفاع .
وقد وقع اختيار « الروم » على هذا المنبطح ليكون معسكرا لقواتهم ، وعندما قدمـــوا اليها واستقروا بها تخطى المسلمـــون نهر « اليرموك » الى ضفته اليمنى ، واختاروا منبطحا آخر على الطريق المفتوح لجيوش « الروم » ، فأصبح « الروم » محصورين بين الجبال ، وعندما رأى عمرو ابن العاص ذلك قال : « أيها الناس ، أبشروا حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير » .
لقد أصبح مـــوقف « الروم » باختيارهم للمنبطح معسكرا لقواتهم عسيرا ، وأصبح موقف الجيوش الاسلامية قويا ، وتغير الوضع ، ولكن .. عن أى شىء أسفر هـــذا الوضع الجـــديد ؟ هل هاجم المسلمـــون « الروم » فى المكان الذى اختاروه لانفسهم وقضوا عليهم ؟ هل هـــاجم « الروم » المسلمين مستغلين تفوقهم فى العتاد والعدة والعدد وأتاحوا لانفسهم فرصة الانتصار على المسلمين بانقضاض سريع ؟
كلا ، لم يحدث شىء من هذا ، بل لم يحدث أى اشتباك بين الفريقين ، وأقام المسلمون على طريق « الروم » لا يقدرون منهم على شىء ،ولا يقدر « الروم » منهم على شىء ، فاذا خرج « الروم » مـــن معسكرهم ردهم المسلمون اليه ، واذا غامر المسلمون وقاموا بهجـــوم فانهم لم يلبثوا أن يتراجعوا خشية أن يحصرهم « الروم » بينهم فيكون فى ذلك القضـــاء عليهم ، واستمر الحال على هـــذه الصورة مدة شهرين كاملين اعتقد المسلمون خلالهما أنه لا بد لهم من مـــدد يأتيهم يعينهم على هذا الوضع ، فبعثوا الى أبى بكر الصديق يصورون له الموقف ، ويصفون له الحالة ، ويطلبون منه ارسال المـــدد .
وعندما علم أبو بكر الصديق بوضع القوات الاسلامية فى « الشام » قال : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .
ووصلت تعليمات أبى بكر الصديق الى خالد بن الوليد وهو فى مدينة

« الحيرة » مقر قيادته العليا فى « العراق » ، ومضمونها أن يســـير خالد حتى يأتى جموع المسلمين بـــ « اليرموك » ، وأن يأخذ معه نصف الجيش الاسلامى ، ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ، ولا يأخذن معه من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله ، فامتثل خالد بن الوليـــد لهـــذه التعليمات .

وفكر خالد فى كيفية الوصول الى « الشام » من « العراق » ، ان الحرب خدعـــة لا بد للانتصار فيها من المباغتة والمفاجأة ، فاذا توقعك عدوك من ثلاث طرق فاذهب اليه من الطريق الرابع ، هنا تكمن المفاجأة ، مفاجأة العدو بحيث يرى عدوه أمامه وهو غير متوقع .

ان خالدا يريد أن يسلك طريقا يفاجىء منه الجيش الرومى ، ويحفظ بـــه الامن والسرية لتحركاته ، وعندما سأل لم يدله مجاوبوه الا على طريق صحراوى يشق على الجيش الاسلامى المسير فيه ، ويحمله ما لا يطيق من الصعاب والمشاق ، واستقر رأى خالد على سلوك هـــذا الطريق الصحراوى ، فهو وان كان طريقا مخيفا رهيبا قليل الماء عظيم الخطر الا أنه طريق لا يتوقع العدو أن يأتى منه أى مـــدد .

واتخذ خالد القائد العبقرى احتياطاته للمسيرة الرهيبة ، فجمع عددا من الابل ومنع عنها الماء أياما حتى عطشت واشتد عطشها ، ثم سقاها حتى ارتوت ، فشد أفواهها حتى لا تجتر ، وفى هذه الحالـــة تختزن الابل كميات المياه التى شربتها فى مثاناتها لعدة أيام قبل أن تستهلكه تدريجيا ، وهذه الطريقـــة يلجأ اليها البدوى فى الصحراء حتى الآن .

وأمر خالد قواته بالسير ، وعلى طول الطريق الصحراوى الخطر الى « الشام » كان خالد ينحر كل يوم عـــددا من هذه الابل ليشرب الجيش الماء من بطونها ، وقطع خالد صحراء « العراق » وبادية « الشام » ، وهى جزء من الطريق يزيد على ٩٥٠ كيلومترا فى أشد الظروف قسوة وحرارة ، يغزو من يقابله من القبائل حتى وصل الى « تدمر » الذى كان وصوله اليها مفاجأة مذهلة لـــ « الروم » ، ثم سار من هناك الى « ثنية العقاب » ناشرا راية سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى « العقاب » ، ثم تجاوزها الى « مرج راهط » شرقى غوطة « دمشق » ، فأغار على أرباض « دمشق » ، ثم اتجه جنوبا حتى وصل الى « بصرى » ، فقاتل أهلها حتى صالحوه ، فكانت بصرى » أول مدينة بـــ « الشام » تفتح صلحا على يد خالد ، فبعث بالاخماس الى أبى بكر الصديق ، ثم سار منها ووصل الى « اليرموك » حيث يرابض الجيش الاسلامى .

ولقد صادف وصول خالد تعزيز هرقل لجيشه بـــ « باهان » القائـــد المحنك ، فاغتبط « الروم » بـــ « باهان » اغتباط المسلمين بخالد ، وأقام الجيشان الاسلامى والرومى يتحين كل منهما الفرصة المناسبة التى تمكن له احراز النصر على عدوه .

دقـــة الموقف

لقد بلغ الموقف بين القوات الاسلامية والقوات الرومية مبلغا غايـــة فى الدقة ، ولم تكن هذه الدقة متوقفـــة على ما بين الجيشين من فرق فى عدد

الجنود ، بل كانت الدقة أيضا فى تفوق عدة « الروم » على عدة المسلمين ، بيد أن هذا التفوق فى العدد والعدة لم يظهر له أى اثر طوال أيام الشهرين اللـــــذين مضيا ، منذ جمع المسلمـــون و « الـــروم » قواتهم على نهر « اليرموك » .

وتوالت الايام ، وانقضى أسبوع واثنان وثلاثة ، وكل من الجيشيـــن فى مواقعه لا تتاح لاى منهما فرصة القتال والنزال . فكيف استطاع خالد ابن الوليد أن يتحمل هـــذا الموقف ويصبر عليه ، وما احتمل وصـــبر لمثله أبدا من قبل ؟ هل افزعته جيوش « الروم » بكثافتها فهابها مثلما هابها زملاؤه ؟ أم كان يدرس الموقف ويخطط للمعركة ويضع التكتيكات التى تضمن لـــه سبل الفوز والنصر ؟ أم كانت عوامل أخرى تركت فى نفسه من الاثر ما جعله يظل هـــذه المـــدة لا يقوم بأى هجوم ؟

لقد أجمعت أكثر روايات المؤرخين على ان الجيش الاسلامى لم يكن موحد القيادة ، بل كان كل أمير يلى قتال من وُجّهَ اليه ، وينظم خطته بما يكفل له عدم تراجعه ، ويصلى بجنوده على حدة ، وهذه الخطـــة فى مثل عدد جيش المسلمين لا تنيلهم من عدوهم ولا تمكنهم منه ، وان خالدا جاء من « العراق » مددا لزملائه وليس أميرا عليهم ، فعسكر هو أيضا بجنوده على حدة وصلى بهم ، ولذا لم يستطع خالد أن يشن هجوما على العـــــدو بمفرده ، اذ ليس تحت أمرته من الجنود سوى تسعة آلاف تقريبا ، ولكن هذا التفرق فى القيادة لم يمنع الجيش الاسلامى من أن يصد هجمات الجيش الرومى التى شنها ويرده الى مواقعه .

تصرف حـــــازم

ان أبا بكر الصديق لم يول خالدا امارة الجيش عندما أرسل اليه كتابا يأمره فيه بالسير من « العراق » الى « الشام » مددا للقوات الاسلامية ، المقسمة الى اربعـــة جيوش على كل جيش أمير .

وان « الروم » ينشطون كل يوم وينظمون صفوفهم ، وتدل انباؤهم على انهم يستعدون ويتجهزون لمعركة فاصلة ، وعرف أمراء الجيش هذه الانباء ، ثم تواترت الاخبار بأن « الروم » يتجهـــزون وكلهم حماس لقتـــال المسلمين ، وأنهم سينازلونهم فى الغد ، وأن « باهان » قسم الجيش فى صفوف لم يُسمع بها من قبل ، فاجتمع أمراء الجيش الاسلامى فى مجلس حرب للبحث والمشاورة ، واتخاذ كافة الترتيبات لمواجهة هجوم « الروم » المتوقع .

وابتدأ الحديث ، وتكلم كل أمير عن وجهة نظره وخطته فى لقـــاء الاعداء ، أما تعبئة الجيش تعبئة كاملة فلم يتناولها البحث ، لان كل أمير هو صاحب الرأى فى صف جنوده وتنظيمها ، وعندما جاء دور خالد بن الوليد فى الحديث تكلم وبيَّن للامراء أن التكتيك الحربى الذى يتبعه الجيش الرومى لا يصلح معه هذا الاسلوب الذى يتبعه أمراء الجيوش الاسلامية ، وانه يرى أن حشد القوات الاسلامية فى مواجهة العدو هو الطريق الامثل فى مثل هذه الظروف .

ومضى خالد بن الوليد يشرح وجهـــة نظره للامراء فقال : ان هـــذا

يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى ، اخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم ، فان هـذا اليوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظـام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغى .

ولعل خالدا قد رأى أن تولية الامراء على مناطق محـددة تكون لهم بعد انتهاء الحرب أمر ربما يكون له أثر نفسي على القادة فضلا عن الجنود ، والقادة هنا ما هم الا الصفوة من الرعيل الاول الذين تخرجوا من مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فخالد يذكرهم بما هو أسمى وأبقى ، ويحذرهم من أن يكون للدنيا أثر فيما يتطلعون اليه ، لان ما عند الله خير وأبقى فيقول : ان الذى أنتم فيه اشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفـع للمشركين من امدادهم ، وقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه وان دان لأحد من أمراء الجند ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفـة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فان هؤلاء قد تهيأوا ، وهـذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها .

ويعرض القائد العبقرى أن يتولـى كل أمير قيادة الجيش يوما ، ويقترح أن تكون له القيادة فى اليوم الاول ، فلم يتردد الامـراء بعدما سمعوا كلامه فى اجابته الى ما طلب ، وهم يظنون أن المعركة ستكون طويلة ، بينما كان خالد بن الوليد يرجو ويتمنى من أعماق قلبه أن ينتهى منها فى أول يـوم .

وكان خالد فى أثناء الشهر الذى أقامه بـ « الشام » قد عرف من أسرار قيادة « الروم » ما طوع لعبقريته ان يضع خطـة الملاقاة والانتصار على الاعداء ، لذلك نظم جيشه على أساس وجود قوى رئيسية على شكل فرق أوكراديس على حد تعبير المؤرخين ، وكل فرقة مكونة من الف مقاتل ، لاعتقاده بأن هـذا التنظيم سوف يظهر امكانيات المسلمين بصورة أكبر فى نظر العدو ، وجعل القلب مكونا من ثمانى عشرة فرقة وعليه أبو عبيدة بن الجراح ، وفيه القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، وجعل الميمنة عشر فرق وعليها عمرو بن العاص ، وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة عشر فرق وعليها يزيد بن أبى سفيان ، وجعل على راس كل فرقة قائدا يتلقى الاوامر ممن فوقه .

ولم يكتف خالد بن الوليد بهذا النظام البديع ، بل جعل للجيش طليعة وعليها قباث بن أشيم ، وقاضيا وهو أبو الدرداء ، وقارئا وهو المقداد ، يقرأ على الجنود سورة الجهاد « الانفال » كما كان يفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بعد موقعة « بدر » عند لقاء الاعداء ، وأسند تموين الجيش الى عبد الله بن مسعود ، وعين أبا سفيان بن حرب قائدا للتوجيه المعنوى ، مهمته وعظ الجنود وقراءة القرآن عليهم ، وتذكيرهم بالله عز وجل ، وحثهم على الجهاد وبذل الارواح فى سبيل الله ، فكان يسير فى الجيش ويتنقل بين الفرق وهو يقول : « الله الله ، انكم ذادة العـرب وأنصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك . اللهم ان هـذا اليوم من أيامك . اللهم أنزل نصرك على عبادك » .

وعلى هـذا التنظيـم المحكم الـذى عبأ به خالـد الجيش ، نراه

لم يترك امرا يزيد فى قوة المسلمين ، ويرفع من روحهم المعنوية ، ويوقظ فيهم الحماس ، ويلهبهم للقاء عدوهم ، ويوقع الرعب فى قلوب الاعداء ويوهن من عزائمهم ، الا وفكر فيه وفعله فى هذا اليوم العظيم .

وقبيل بدء القتال طلب القائد الرومى أن يبرز اليه خالد ليقول له بضع كلمات ، فخرج اليه خالد حيث تواجها فى الفراغ الفاصل بين الجيشين ، وقال « باهان » ومن حوله أركان حربه يخاطب خالدا : قد علمنا انه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع ـ غلاء الاسعار وضيق الامور على المسلمين ـ ، فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاما ، وترجعون الى بلادكم ، وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها . فإنا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به .

وفكر خالد قبل أن يجيب على كلام القائد الرومى ، ان « باهان » يستهدف من كلماته هذه ثلاثة أشياء :

الاول : انه يشكك فى الاوضاع الاقتصادية للدولة الاسلامية ، كما انه يشكك فى الهدف وعدم ادراك الغاية التى يستهدفها الجيش الاسلامى.

الثانى : انه يحاول رشوة الجيش الاسلامى بالمال والطعام والكسوة.

الثالث : أنه يشن حربا نفسية باستهانته وسخريته من قلة الجيش الاسلامى اذا قيست بما تحت يده من رجال وعدة وعتاد .

وضغط خالد أعصابه ، وجَزّ على أسنانه بعدما أدرك ما يرمى اليه « باهان » من كلامه ، وقرر خالد أن يرد عليه بجواب مناسب ، فقال له : انه لم يخرجنا من بلادنا الجهد والجوع كما ذكرت ، ولكننا معشر العرب نشرب الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أطيب من دمكم ، فأقبلنا لنهريق دماءكم ونشربها ، ولقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا . ولوى البطل زمام جواده عائدا الى صفوف جيشه .

لقد كان فى رد خالد هذا مقابلة حاسمة تامة للاشياء الثلاثة التى ارادها « باهان » فى كلامه ، فقد أظهر وأوضح له أن خروج المسلمين لم يكن سببه الجوع أو ضيق الامور ، ثم ألقى عليه وعلى أركان حربه الواقفين حوله بقنبلة أحدثت انفجارا نفسيا رهيبا ، ونشرت الرعب والذعر فى قلب « باهان » ومن معه ، فالعرب لم تكن فى يوم من الايام شاربة للدماء ، ولكن الاثر النفسى لكلام خالد تحقق على الفور ، وظهرت آثاره فى نفوس العدو ، فقد سيطر الرعب والخوف والفزع على قلوب أركان حرب « باهان » ، ومال بعضهم على بعضهم يتهامسون بقولهم : هذا ما كنا نسمع به عن العرب من شربها الدماء .

ولم يستطع خالد أن ينكر فى رده على « باهان » تلك الامكانيات الهائلة الموجودة فى جيش « الروم » من حيث العدد والعدة ، ولكنه ركز تركيزا مباشرا على اعتبار له القيمة الحاسمة فى مصير المعركة من وجهة نظره ، انه يتحدث عن العقيدة التى يحارب بها المقاتل ، ونوعية ذلك المقاتل ، ولا شك فى أن لكل مقاتل عقيدة حتى ولو كانت باطلة ، فالجندى الرومى يحارب بعقيدة ، والجندى المسلم يحارب بعقيدة ، بيد أنه يجب أن يكون ايمان الجندى المسلم بالحق الذى هو عليه أشد وأقوى من ايمان الجندى الرومى بما هو عليه ، والمقاتل الذى يحارب ويرغب فى الحياة

يختلف تمام الاختلاف عن الجندى الذى يحارب وهو يتحرق شوقا الى لقاء الله ، فهو لا يتعلق بشىء مما فى الحياة الدنيا ، لان ما فيهـا الى زوال وانتهاء ، أما ما عند الله عز وجل فهو باق لا يزول ولا ينتهى . هـذا هو هدف الجندى المسلم يبذل روحه رخيصة فى سبيل الله طمعا فى لقاء الله .

الموقعـــة

امر خالد بن الوليد مجنبتى القلب ان ينشبا القتال ، وكان عليهمـا القعقاع بن عمرو ، وعكرمة بن ابى جهل ، فخرجا فى حماس ، وانشـبا القتال ، والقعقاع يرتجز :

يا ليتنى القـاك فى الطراد قبل اعترام الجحفـل الوراد
وانت فى حلبتـك الوراد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهنكـة الجـوارى انى على عكرمـة احامى

وكانت هذه الأراجيز تفعل فعل السحر فى النفوس ، فتثير حماس المحاربين ، وتهيج كامن وجدانهم ، وتقوم مقام الموسـيقى فى استثـارة النفوس ، وتشجيع القلوب ، والهاب الحمية .

والتحم الجيشان ، وتطارد الفرسان ، وخرست الألسنة ، وصمت الآذان ، فلم يعد يسمع الا صوت السيوف وهى تتضارب ، وزئير الفرسان وهو يتعالى .

ثم خرج « جرجة » قائد قلب جيش « الروم » ، حتى اذا كان بيـن الصفين صاح مناديا : ليخرج الى خالد . فخرج خالد اليه بعد أن أقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، ثم دار بين الاثنين حوار انتهى باسلام « جرجة » وصلاته ركعتين .

وأغلب الظن أن « جرجة » كان عربيا أوروميا أقام سنين طويلة ببلاد « الشام » ، فعرف اللغة العربية ، وسمع بأخبار المسلمين ، وبانتصارات خالد المتتالية ، فانضم الى الجيش الاسلامى بالقوات التى تحت امرته .

واعتقدت فرقة من جيش « الروم » أن « جرجة » قد حوصر ويحتاج الى المدد ، فانقضوا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقعهم ، وحملوهم على التقهقر للوراء ، وعندما رأى عكرمة هجوم « الروم » وتراجع المسلمين ثار الدم فى عروقه وصاح : قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موطن وافر اليوم ثم نادى فى أصحابه : من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلميـن وفرسانهم ، من بينهم عمرو ابنه ، وهجموا على فرقة « الروم » هجمة رجل واحد ، مستميتين فى سبيل ربهم الكريم ، وقد تجلى لهم وجهه الأكرم فأضاء لهم بنوره سبيل الاستشهاد والجنة ، وزلزلت « الروم » مـن الهجمـة ، وزادهم زلزالا انضمام « جرجة » وجنوده للمسلمين فى مهاجمتهم ، ممـا جعلهم يعتقدون أن بنى وطنهم قد غدروا بهم وانضموا لأعدائهم ، فأخذوا يتراجعون الى الوراء .

وعندما رأى خالد فرقة « الروم » ترتد وتتراجع أصدر أمره الى جميع

قواد الجيش بالتقدم ، فاذا بقوات « الروم » تلقاه بهجوم ليس دون هجومه عنفا وقوة ، فأيقن المسلمون أنه لا سبيل لهم ولا مفر من الفناء الا باحراز النصر على أعدائهم ، فازدادوا ايمانا بالله عز وجل ، وزادهم ايمانهم قوة فى هجومهم ، واندفع خالد بن الوليد يعمل فيهم سيفه فيخطف أرواحهم خطفا ، وجرجة يفعل مثله حتى أصيب ، وبلغت الحماسة بالمسلمين أن شاركت النساء الرجال فى القتال ، فكانت لجويرية بنت أبى سفيان مواقف تعيد الى الذاكرة موقف أمها هند فى موقعة أحد .

واستماتت « الروم » فى قتال المسلمين ، وأخذوا يقتلون من المسلمين كل من يقع فى أيديهم ، فترجحت كفة المعركة واستمر ترجحها طوال النهار ، ووقف عكرمة ومن بايعوه على الموت لا يتراجع واحد منهم قيد أنملة عن مكانه بعد أن وهبوا أنفسهم لله ، فحملوا وطيس المعركة من بدايتها الى نهايتها ، فاستشهد البعض وأصيب البعض الآخر باصابات شديدة .

وعندما آذنت الشمس بالمغيب بدأت قوات « الروم » تضعف وتهن ، وبدا الاعياء والاجهاد على وجوه الفرسان ، وادرك خالد أنهم يلتمسون الوسيلة الى الهرب ، فقدر أن فرارهم سوف يزيد من ضعف بقية الجيش الرومى ، فأصدر أمره لجنوده بأن يفسحوا طريقا يؤدى الى الوادى ففعلوا ، ولم يلبث هؤلاء الفرسان حين رأوا فرصة النجاة قد تهيأت لهم أن فروا هاربين وتفرقوا فى البلاد ، وعندئذ انقض خالد بفرسانه ومشاته على مشاة « الروم » ، مقتحمين عليهم خندقهم ، فتقهقروا وتراجعوا الى الوراء ، وكان وراءهم الواقوصة فوقعوا فيها وكأنهم جدار اندك من أساسه ، وعندما شاهد المسلمون ذلك شددوا الضغط عليهم حتى هوى فى الواقوصة مائة وعشرون الفا .

وقد استمر القتال النهار كله ومعظم الليل ، ولم ينبثق نور الصباح حتى كانت « الروم » قد انهزمت هزيمة ساحقة ، وقتل « تذارق » أخو هرقل ، كما قتل عدد كبير من أمراء جيش « الروم » ، أما « باهان » فقد فر ونجا ليقف أمام المسلمين بعد ذلك فى مواقع لم يكن حظه فيها بأسعد من حظه فى « اليرموك » .

واستقر خالد فى رواق « تذارق » ، وغنم المسلمون كل ما فى معسكر « الروم » ، ولم يكن عدد من استشهد من المسلمين قليلا ، فلقد بلغ ثلاثة آلاف من بينهم عدد من كبار الصحابة والفرسان ذوى المكانة والبلاء .

وكان لكثير من فرسان المسلمين وأبطالهم اثر يذكر فى تحميس المسلمين واقدامهم ، وصبرهم وثباتهم ، فكان الزبير بن العوام افضل من شهد موقعة « اليرموك » ، فقد اخترق صفوف « الروم » مرتين ، لم يصب فيهما الا بضربتين فى قفاه .

وكان عكرمة بن أبى جهل وابنه عمرو قد اصابتهما الجراح من كل جانب خلال المعركة ، فلما أصبح المسلمون جىء بهما الى خالد فى رواق « تذارق » ، فوضع رأس عكرمة على فخذه ، ورأس عمرو على ساقه ، وأخذ يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء فى حلقيهما حتى استشهدا . رحم الله تلك النفوس التى استهانت بالدنيا ومتاعها التماسا للشهادة ، ورغبة فى نصرة الاسلام ، مطلبا لقهر العدو ، ونصرا لدين الله عز وجل .

وقد أبلت المسلمات فى ذلك اليوم كما أبلى الرجال ، فكن يقمن بسقى الماء ، ومداواة الجرحى والمرضى ، واستنهاض الهمم ، واستثارة الحماس فى قلوب الرجال ، ويواسينهم بأنفسهن فى ساحة القتال ، حتى بلغن من كيد العدو ما لا تبلغه منه السيوف ، وممن قاتلن فى هذه الموقعة أسماء بنت يزيد الاشهلية ، فقد حملت عمود خبائها وهجمت به على صفوف « الروم » تضرب به كل من تقابله ، فقتلت بهذا العمود تسعا من جنود الاعداء .

عــزل خالــد

وفى أثناء الموقعة والقتال على أشده بين الجيوش الاسلامية والجيش الرومى ، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجة الموقعة وصل البريد بوفاة أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ وعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش ، وتولية أبى عُبيدة بن الجراح مكانه (١) ، وحينما رأى المسلمون رسول الخليفة سألوه عما وراءه ، فأخبرهم بالسلامة والامداد ، وأسر رسول الخليفة الى خالد بالخبر وبما قاله للجند ، فحمد له خالد رأيه واستحسنه ، وأخذ خالد الخطاب من الرسول وأخفاه معه ، ولم يذع ما جاء به حتى لا تضعف قوة المسلمين أثناء المعركة ، وبعد انتهاء المعركة سلم خالد الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح وسلم عليه بالامارة .

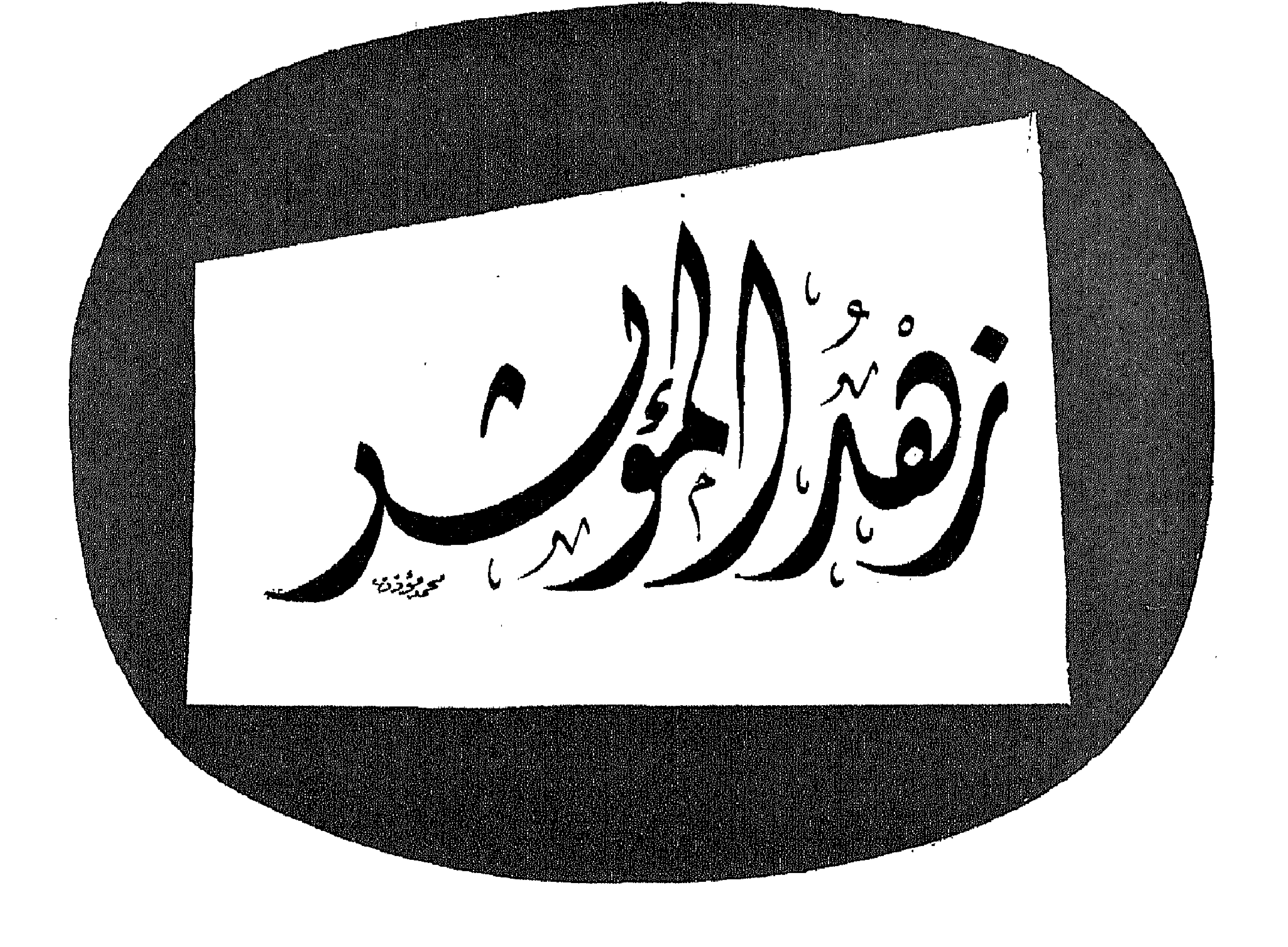
وانتهى خبر هزيمة قوات « الروم » الى هرقل ، فارتحل عن « حمص » وجعلها بينه وبين المسلمين ، وولى عليها أميرا خلفه فيها ، كما ولى على « دمشق » أميرا ، وودع « سوريا » الوداع الاخير وعيناه مغرورقتان بالدموع بقوله : « سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده » ، وامتطى صهوة جواده وهو منكس الرأس ليعبر جبال « طوروس » متجها الى الغرب .

هذه هى موقعة « اليرموك » التى تعد من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق ، وبعبارة أدق بين المسلمين و « الروم » ، فقد تقلص سلطان القياصرة عن رقعة فسيحة ، وظهر سلطان الاسلام ، وتتابعت بعدها الفتوحات الاسلامية فى « الشام » .

ولقد استطاع سيف المسلمين فى هذه الموقعة أن يستخلص ثأرا ويسوى حسابا كان مفتوحا منذ انسحاب الجيش الاسلامى الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى حدود « الروم » فى سرية « مؤتة » ، وكان خالد فيه جنديا ثم قائدا بعد استشهاد قواده الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) فى اعتقادى أن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قد توقع عندما أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد مددا للجيوش الإسلامية فى « اليرموك » انه سيتولى امارة الجيش بالاتفاق مع القواد ، وقد صدق توقعه فقد كان ملهما .



للدكتور: أحمد الحوفي

١ ــ الزهــد :

هو العزوف عن المباح مع القدرة عليه ، تهذيبا للنفس وايثارا لنفع الآخرين ، فان كان عن معجزة وضيق فانه اضطرار لا مندوحة عنه ، فــلا يصح أن يسمى زهدا ، وان كان لاذلال النفس وتعذيبها بغير ما قصد الى نفع يتحقق للأمة أو لطائفة منها فليس من الزهد فى شيء بل هو رهبانية لا يقرها الاسلام ، قال تعالى « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مســجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيــاة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . (١)

والزهد بهذا المعنى السامى فضيلة موصولة بفضائل أخرى مثــل العفة والقناعة والصبر والتواضع والايثار .

وهو بهذا المعنى مظهر للقدرة على حرمان النفس مما تجد ، وتقوية للعزيمة ، وتغليب لها على الرغبات والحاجــات ، لأن الاستمتاع الدائم يعــود النفس على طــلب المزيد ، فاذا منعت شيئا مما تريده ضاقت ألما وحسرة .

وما من شك فى أن صاحب الاخلاق الفاضلة يتجافى عن اللــذات التى تستهوى غيره ، ويتعالى على الاستمتاع بما لا ينبغى الاستمتاع به ،

بل انه يبغض الاستهتار باللذات ، ولا يشعر بألم من الحرمان ، لأنه قليل المآرب والحاجات ، يرضى من حياته بما لا ضرر فيه ، وبما يلائم سيطرته على رغباته وايثاره غيره على نفسه .

٢ — ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الزهد ، لأنه زهد زهادة المختار القادر ، المؤمن بأن الاستمتاع المباح حلال ، المؤثر على نفسه فقراء الأمة ومصالح الاسلام .

وهو بزهده ربى كثيرا من الرجال فتخلقوا بمثل خلقه ، فانصرفوا عن الخضوع للذات ومآرب النفس ، وآثروا غيرهم على أنفسهم ، كأبى بكر وعمر وعلى وغيرهم من كبار الصحابة وولاة الأقاليم ، فصار زهدهم تربية وتنمية ، أما التربية فللنفوس ، وأما التنمية فلاسعاد الناس ولتقوية الأمة .

وحسبنا أن نذكر أن السيدة حفصة قالت لأبيها عمر بن الخطاب حينما فتحت عليه الفتوح : البس الين الثيا باذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر .

فقال لها عمر — يا حفصة ، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت ، بلى .

قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ، ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتمونى قيام الليل بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟

فما زال يقول حتى ابكاها ، وبكى عمر وانتحب . (٢)

٣ — ويجدر بنا قبل أن نعرض بعض مظاهر زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجيب على هذا السؤال : هل كان الرسول ذا ثراء ومال حتى يثبت أن زهده عن وجد واقتدار ؟

نعم كان لرسول الله مال ، وكان ماله كثيرا فى بعض الأحيان .

أ) كان له نصيب فى خمس الغنائم التى يصيبها المسلمون من محاربيهم ، وقد كانت الحروب كثيرة وكانت غنائم المسلمين موفورة منذ غزوة بدر حتى تم فتح الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، فتوافدت الغنائم والجزية والصدقات .

قال تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٣) .

فللمجاهد أربعة أخماس الغنيمة ، وللرسول خمسها لنفسه ولاقاربه ولليتامى وللمساكين ولابناء السبيل .

ب) وكان للرسول نصيب من الفيء ، أى مما ناله المسلمون من أموال المشركين بغير حرب ، كالجزية ، وما تركوه فى حروبهم خوفا من المسلمين ، وما صالحوا المسلمين عليه .

قال تعالى « وما افاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » . (٤)

وكان رسول الله ينفق من هذا الفيء على أهله نفقة سنتهم ، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله فى السلاح والخيل ومصالح المسلمين ، وهذا مذهب الجمهور .

وقال الامام الشافعى أن الفيء يقسم خمسة أخماس وفقا للآية ، ثم يقسم خمسة على خمسة أسهم ، للرسول منها سهم ينفق منه على مصالحه ، فمصرف هذا السهم للمصالح العامة كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر وأرزاق القضاة .

والسهم الثانى لذوى القربى وبنى هاشم وبنى المطلب ، والثالث لليتامى الفقراء ، والرابع للمساكين ، والخامس لأبناء السبيل ، وأما الاربعة الاخماس فهى للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام . (٥)

ومن هذا الفيء مزارع فدك وبساتينها ونخيلها وعينها الفوارة .

ج) يضاف الى الغنائم والجزية والفيء والصدقات ما كان يهدى الى رسول الله من بعض الملوك والأمراء .

٤ — أما زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المال فله صور ومظاهر شتى .

فهو لم يستأثر بشيء من المال الكثير الذى تدفق من الغنائم والفيء وغيرهما ، بل اقتصر على نصيبه من الخمس ، ثم لم يمسك درهما من هذا النصيب ، بل أنفقه فى وجوهه ، وقوى به المسلمين ، وأسعد به غيره ، وقال : ما يسرنى أن لى أحدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا أرصده لدينى .

واتته دنانير فقسمها ، وبقيت منها ستة ، فدفعها لبعض نسائه ، لكنه لم ينم حتى قام وقسمها ، وقال : .. الآن استرحت .

واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعــو اليه الضرورة ، وزهد فيما سواه .
وأتى بمال من البحرين ، وكان أكثر مال أتى به ، فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس الى المال ، فقلما رأى أحدا الا أعطاه .
ولما توفى لم يترك درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمـــة الا سلاحه وبغلته البيضاء وأرضا جعلها صدقة (٦) .
٥ — وأما زهده فى الطعام فانه يتمثل فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يجمع فى بطنه طعامين ، فان أكل لحما لم يزد عليه ، وان أكل تمرا لم يزد عليه ، وان أكل خبزا كفاه ، وان وجد لبنا أغناه . (٧)
وقالت السيدة عائشة : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض . (٨)
وقالت : لم يمتلىء جوف النبى شبعا قط ، وكـــان لا يسأل أهلــه طعاما ولا يتشهاه ، ان أطعموه أكل ، وما أطعموه وما سقوه شرب . (٩)
وهنا يعرض لنا سؤالان :
أحدهما : هل أدخر رسول الله قوت عياله ؟ وهل هذا الادخــــار يناقض الزهد ؟
لقد روى أنه نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا لغد . (١٠)
وروى أنه كان يدخر لعياله قوت سنة (١١) وكان — كما قال عمر بن الخطاب — يبيع نخل بنى النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم ، اذ كان نخلهم فيئا له .
وليس بين الخبرين تعارض ، لأن النبى نهى عن ادخار القوت سنة حينما لم تكن الموارد كافية ، فلما كثرت اتسعت لهذا الادخار .
ولا تنافى بين ادخار القوت للعيال وبين الزهد ، آن النبى كان يدخر ، فاذا رأى المحتاجين منحهم ما ادخر ، وهذه أعلى درجات الايثار .
ويؤيد هذا قول السيدة عائشة : توفى رسول الله حين شبعنا من الأسودين التمر والماء . وكان هذا الشبع منذ فتح خيبر ، لأنها قالت — لما فتحنا خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر ، وفى حديث ابن عمر ، ما شبعنا حتى فتحنا خيبر .
وقد فتحت خيبر قبل وفاة النبى بثلاث سنين . (١٢)
السؤال الآخر : هل عصب رسول الله الحجر على بطنه .. ؟
قيل انه كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع (١٣) .
فهل بلغ الحال به الى هذا الحد .. ؟ ولماذا ؟
لقد انكر بعض العلماء ذلك، ومنهم أبو حاتم محمد بن حبان التميمى البستى ، وقالوا ان الأحاديث التى رويت فى هذا باطلة ، واستدلوا بحديث الوصال . « لست كأحدكم انى أطعم وأسقى » وقال ابن حبا ن: ان رسول الله لم يكن يشد على بطنه الحجر ، بل كان يشد عليه الحجز (١٤) . لأن الله تعالى كان يطعم رسوله ويسقيه اذا واصل الصوم فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه ؟ وماذا يغنى الحجر من الجوع .
وقالوا لقد ثبت أن رسول الله كان يدخر لأهله قوت سنة ، وانه قسم بين أربعة من أصحابه ألف بعير مما أفاء الله عليه ، وساق فى عمرته مئة

بدنه فنحرها وأطعم المساكين ، وأمر لأعرابى بقطيع من الغنم ، وأعطى جماعة كثيرة من خيرات خيبر ، وكانت فدك وقريظة والنضير خالصة له . ثم أن بعض الصحابة المقربين كانوا ذوى مال كثير مثل أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن عبادة وعبد الرحمن بن عوف ، وكانوا يبذلون أموالهم وأنفسهم بين يديه ، فكيف يتركونه يشد الحجر على بطنه جوعا .. ؟

ولكن بعض العلماء ردوا على هذا بأن أهل الحجاز كان من عادتهم أن يعمدوا الى صفائح رقاق من الحجارة فى طول الكف يربطونها على بطونهم الخاوية لتعتدل القامة ، وكان رسول الله يفعل مثلهم ، ليعلموا أنه لا يملك ما يستأثر به عليهم ، وان لم يحصل له ألم من الجوع ، وقد فعل ذلك ايثار للثواب أيضا ، لا لفقدان ما يدفع به الجوع عن نفسه .

وذهبوا الى صحة الاحاديث التى رويت فى شد الحجر على البطن .

٦ — كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زاهدا فى ملابسه وفراشه وآنيته ، فلم يكن له الا ثوب واحد من قطن ، وجبة ، ورداء ، وبردة يمانية ، وكان له رداء أخضر تداوله الخلفاء (١٥) .

ولما قبض أخرجت السيدة عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت : قبض رسوله الله فى هذين (١٦) .

وأهدى اليه أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل فروج حرير فلبسه — قبل تحريم الحرير فصلى فيه ، ثم انصرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له ، وقال لا ينبغى هذا للمتقين (١٧) .

ونهى عن الشرب فى آنية الذهب والفضة ، وعن الاكل فيها ، وحرم الحرير على الرجال (١٨) . وكان ينام على الفراش تارة ، وعلى النطع — الجلد — تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى السرير تارة ، وكان فراشه ادما — جلدا — حشوه ليف ، وكذلك وسادته (١٩) .

ولكن اذا قدم عليه وفد من الوفود التى كانت تجىء لتسلم لبس أحسن ثيابه وأمر كبراء صحابته بأن يلبسوا أحسن ما عندهم من ملابس (٢٠) لأن هذا يعظمهم فى عيون القادمين ، ويعلى حزب الله ، وبخاصة أن الوافدين لم يتخلقوا بعد بأخلاق الاسلام .

٧ — ولكن زهادة رسول الله لم تمنعه من الكلف بالنظافة والطيب ، فكان صلى الله عليه وسلم مع زهده وتواضعه وايثاره كلفا بنظافة جسمه وملبسه ، محبا للطيب ، نفورا من الرائحة الكريهة ، ولهذا كان يقبل هدية الطيب ولا يرده (٢١) .

وله فى هذا أخبار شتى منها أنه كان يرجل شعره ، ويسرح لحيته ، ويدهن رأسه ، ويضع قناعا فى بعض الاوقات فوق شعره (٢٢) .

وقال على المنبر يوم الجمعة : ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته (٢٣) .

وقال : اغتسلوا يوم الجمعة ، واغسلوا رؤوسكم ، وان لم تكونوا جنبا ، وأصيبوا من الطيب (٢٤) .

وقال : ان الله جميل يحب الجمال ، سخى يحب السخاء ، نظيف يحب النظافة (٢٥) ..

٨ — وكثيرا ما حض النبى على الزهد كقوله : عليكم بالقناعة ، فان

القناعة مال لا ينفد (٢٦) .

وقوله : اذا أصبحت آمنا فى سربك ، معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (٢٧) . وقوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان لا بد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه (٢٨) .

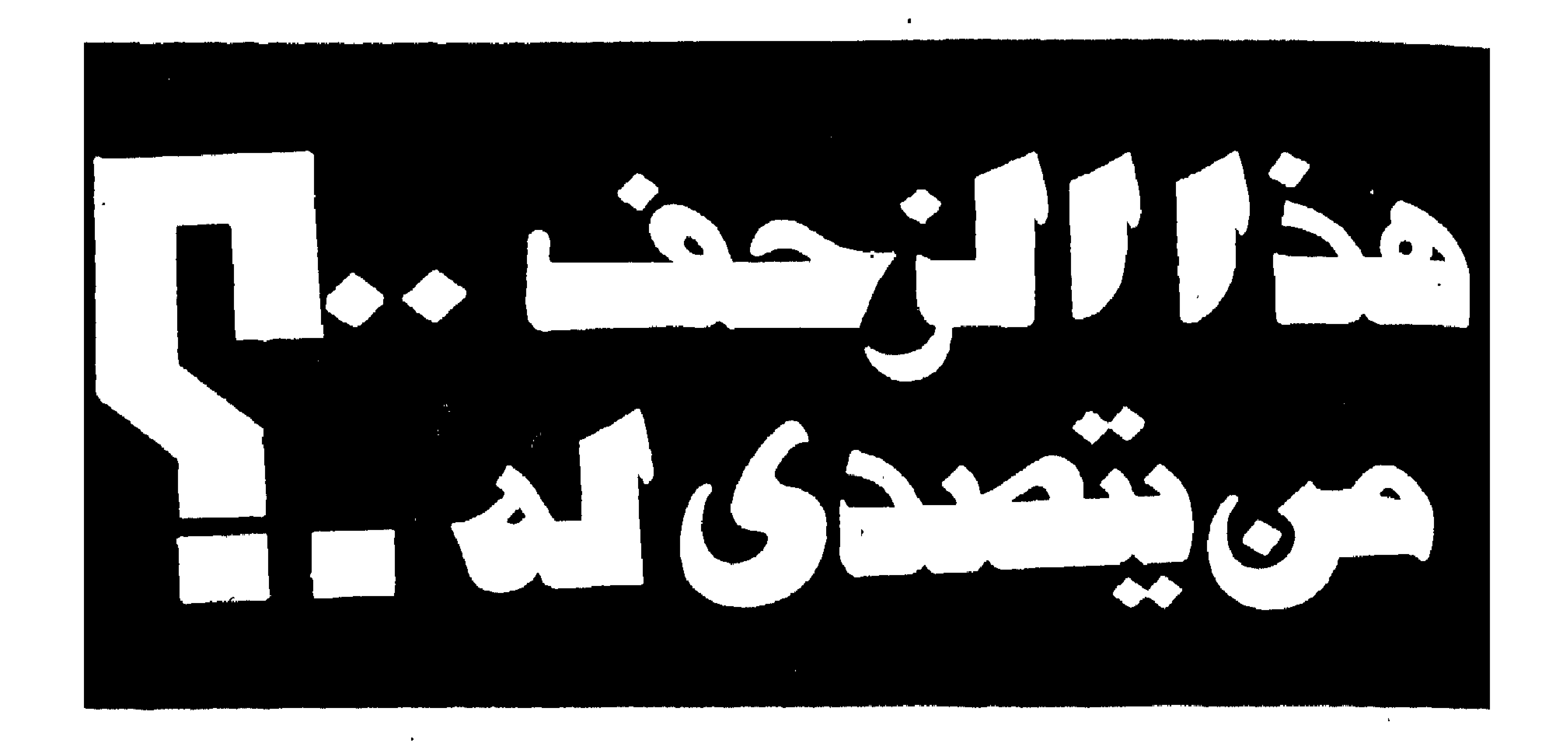
وقوله : ليس الغنى عن كثرة العرض ، انما الغنى غنى النفس (٢٩).

وقوله : أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما فى أيدى النـــاس يحبك الناس .. (٣٠)

لقد صدق رسول الله فيما قال ، ولقد كان القدوة المثلى فيما فعل ، فلعلنا نهتدى بهديه ، ونتبع سنته ، ونستضىء بنوره ..

---

(١) سورة الاعراف ٣١ — ٣٣ .
(٢) احياء علوم الدين للغزالى ١٩٢/٤ .
(٣) سورة الانفال ٤١ .
(٤) سورة الحشر ٧/٦ .
(٥) فتح المبدى ٣٣٤/٢ .
(٦) الاحياء للغزالى ١٦٦/٤ ، ١٦٩ والشفا للقاضى عياض ٧٣/١ وصحيح مسلم ٧٦/١ وفتح المبدى ٣٣٤/٢ .
(٧) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ والاحياء ٣١٧/٢ .
(٨) فتح المبدى ٢٦٢/٣ .
(٩) نور اليقين ٣٨٣ .
(١٠) الاحياء ٢٣٩/٤ .
(١١) الاحياء ٢٠١/١ و ١٣٩/٤ .
(١٢) فتح المبدى ٢٥٨/٣ ، ٢٦٠ .
(١٣) الاحياء ٣١٧/٢ .
(١٤) الحجز — جمع حجزة وهى التى يشد بها الوسط وهو طرة الازار .
(١٥) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ .
(١٦) فتح المبدى ٣٣٥/٢ والاحياء ٢٠٠/٤ ، ملبد مرقع .
(١٧) فتح المبدى ١٩١/١ .
(١٨) فتح المبدى ٢٩٦/٣ .
(١٩) زاد المعاد ٥٤/١ والاحياء ٢١/٢ م .
(٢٠) كنز العمال ٢٤/٤ .
(٢١) المواهب اللدنية ١٢٨ .
(٢٢) المواهب اللدنية ٤٦ .
(٢٣) زاد المعاد ٤٥/١ .
(٢٤) فتح المبدى ٢٨٨/١ .
(٢٥) الجامع الصغير ١٧٣/١ .
(٢٦) كنز العمال ٨٠/٢ والجامع الصغير ٩٤/٢ .
(٢٧) المصدر السابق .
(٢٨) الاحياء ٧٠/٣ ، ونور اليقين ٣٨٣ .
(٢٩) الاحياء ٢٠٦/٣ .
(٣٠) كنز العمال ٣٩/٢ .



الصمت لا يجدى .. وليس يجدى كذلك ان نتجاهل الواقع الآنى الذى يدوس بغلاظة فاحشة على ما كان واقعا آنيا فى مرحلة من مراحل تاريخنا المفدوح !!

الصمت لا يجدى .. لأن جدلا عقائديا يصمت أحد طرفيه ، ينتهى فى نهـــاية الأمر الى غلبة الجانب الصائت على الجانب الصامت ، وينتهى كذلك إلى عزلة باردة يقبع فى دياجيرها ذلك اللائذ بصمته ، الهـــارب من حركة الجدل الى سكونية الغباء !!

وليس يجدى كذلك تجاهل الواقع . . لأن الواقـــــع الموضوعى لا يستحيل خرافة إذا نحن ــ كجيل ــ تجاهلناه ، وربما كان النقيض هو الحقيقى ، أعنى أن تجاهلنا البليد لواقع موضوعى مدجج بآلاف الاسلحة . هـــو وحده الذى يتيح لهذا الواقع أن يعزز مواقعه ، وأن يكتشف من خـــلال التجريب والتخريب جميعا أروع وسائل زحفه ، وأرحب إمكانيات انتصـــــاره !!

فلنكسر كل قضبان صمتنا الفاجع !!

ولنحرك طاقاتنا فى اتجاه المبالاة وليس فى اتجاه اللا مبالاة !!

ولتكن عيوننا مفتوحة .. فإن الخدر الذى يسرى فى أوصالنا بـــلا حـــدود يكثف من تراكمات الصــــدأ الحضارى الذى نعانى من غبـــائه الوبيـــــل !!

أدرى أننى بدأت هجوميا بـلا تحفظ ، عدوانيا أكاد أن أكـون ، وعن عمـد فعلت .. لأن مسلمة باهظة عششت فى أخلاد هـذا الجيل توشك أن تفرض منطقهـا الهابط على كل العقول ، وهى أن عقائديتها ليست فى حاجة الى من يناضل عنها ، وليست فى حاجـة الى من يدعو لها ، لأن هذه العقائدية تملك من قدراتها الـذاتية على الاشعاع والتوصيل ما يغنيها عن معاناة الدعاة ، وكدح الراشدين !!

إن هذه المسلمة الباهظة غبية من جانبين .. أولهما : أن دينـا من الأديان لا يمكن أن يكون قادرا (بـذاته) على الفتح ، أو حتى على الدفاع !! لا بد من (رسول) لكل رسالة .. من (نبى) لكل دين .. من (دعاة) على مستوى الفهم والإصرار والاستعداد كل يوم للشهادة لكل عقائدية تريد لدورها أن يؤدى ، ولضوئها أن ينساح فى آفاق البقاء !! وثانيهما : أن إمكانية الخلود فى دين من الأديان تكمن بالضرورة فى كونه قابلا لمزيـد من الكشف ، ولمزيد من العطاءات ، بما هو بالضرورة كذلك أكبر من أن يحتويه عصر ، وأرحب من أن يحتازه جيل ، وأثرى من أن يجف فيـه الخصب بعد أول قطـاف !!

والإسـلام واحـد من الأديان السماوية الخالدة التى لم تنزل من السماء إلى الارض هكذا فى ليونة ونعومـة وانسياب .. لقـد عانده من عاند ، وكفر به من كفر ، وسـل عليه السيف غير جيل وغير قبيل ، ولم يقف منـاط وحيه العظيم (محمد) موقف اللا مبالاة والاتكـال .. لقد أشعل فى قلب العالم وعقله جميعا ثورة جدل فكرى وحضـارى ما تزال قابضـة على أعنـاق هذا العالم حتى اليوم .. ولقـد رفض — غير مـرة — أن يخلع (لأمتـه) حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه !! إن الثائر فى محمد لم يمت ولا ينبغى له أن يموت ، ولست أعنى بالثائر هنـا مجرد القابض على سـيفه .. ولكنى أعنى به كذلك الثـائر على بلادة الفكر ، والثائر على نضوب الوجدان ، والثائـر على بتر التواصل الكونى بين إنسان هذا الكون وخالقه المحرك لكل قـوانين النبض فى الأشياء !!

هـذه مقدمة كان لا بد من إفراغها هكذا فى انفلات .. لنخلص

بعد إلى ما نحن بصدد الحديث عنه ، والحوار من حوله ، فقد حرجت الصدور من طول معاناتها بــلا حدود !!

القضية .. ليست أن نختار هنا أو لا نختار ، ولكنها على المستوى الفكرى والعقائدى جميعا أن نكون أوْ لا نكون !! ولست أدعو من خلال هــذه السطور إلى مصادرة القضية النقيض .. فإن أبعد الأشياء عن تصورى أن يستحيلَ الفكر فى يدنا إلى جلاد يهزم بالسوط معارضيه .. إن الفكر لا يمكن أن يكون إلا بطلا شريفا ، الحرف بالحرف ، والقضــية بالقضية ، والحوار بمزيد من الحوار .. وثقوا معى أن الفكر المعارض يعطى القضية أكثر مما يعطيها الفكر الدعائى .. إن الفكر المعــــارض يكسبها جلادة فى العراك ، ومراسا فى المنافحة ، وبصيرة فى أصــالة الإدراك .. فى الوقت الذى لا تجنى القضية فيه من الفـــكر الدعائى ســـوى المرور الأبله الساذج بسطوح القضايا ومشارف الأشياء !!

القضية إذن فى حاجة إلى فهم عاقل متفتح ، وليست فى حاجة إلى تشنج من أى لون مهما كانت مبرراته العجفاء !!!

ولنبدأ معـــا : إن الفكر الملحد يقتات كل يوم بجموع هائلـــة مـــن شبابنا القارىء شئنا أن نعترف بهذه الحقيقة أو لم نشأ .. ولعل انعكاسات هذه الحقيقة لا تخفى على أحد ممن يحاول أن يمر على حقــولنا الفكرية الشابة ، فينظر فى إبداعاتها الفنية .. مسرحا .. أو قصـــة .. أو رواية .. أو شعرا ... إن هذه الحقول الإبداعية الشابة طافحة بمرارة العبث ، ولزوجة اللا جدوى ، وثورة الرفض ، وقساوة الإنكـــار ... وإذا كان كل شىء قائما على كل شىء .. إذا كانت كل نتيجة ثمــــرة طبيعية لكل مقدماتها بلا تخلف ، فإن هذا الإبداع الرافض الشـــــاك إنما هو محصلة طبيعية لروافد تراثية هى ثقافة هــذا المبدع الشاب ، لقد استطاع هذا الفكر المعبأ ضد كل ما هو مستقر فى حقول الفكـــر والدين أن يحتلَ مواقعه فى صفوف الشباب . بما استحدث لنفســه من وسائل التوصيل والإشعاع ، وكان أخطر هذه الوسائل المسرح .. والقصة .. والرواية .. والشعر .. ولست أستطيع هنا أن أقوم بمســح شامــل وكلى لكل هذه القطاعات والأنماط .. ولكننى أستطيع — إن استطعت — أن أقف عند كل ظاهرة منها وقفة خاصة، ربما تكشف عن جوانب العرامة فيها بــلا أقنعة ، وهذا هو ما أريد أن أقوله الآن ... إننى لا أقدم إيجابات على الاسئلة المطروحة فى هذه الأعمال .. لأن ذلك وحده يحتاج الى تعبئة حاشدة من كل قوى النضال الفكرى المسلح بإيمـــانه

العقائدى ، وليس تبعة واحد من الافراد .. إن كل ما أطمح إليه من خلال هذه الكلمات هو أن أدق الأجراس ، وأرفع الراية ، وللمقاتلين المدربين بعد أن ينفروا إلى ساحة المعركة ، مزودين بثقة قد لا أملكها ، وبثقافة قد لا أحتازها ، وبجسارة قد تعوزنى كما تعوز آلافا بلا حدود !!!

فى المسرح .. يجند الفكر الهاجم كل تكنيك العمل المسرحى فى محاولات الوصول ، وهو ينجح فى عديد من محاولاته .. إن ذكاءه الخارق لا يوقعه على الاطلاق فيما نقع فيه نحن من خطابية قد تصرف القارىء عن العمل .. لا يوقعه فيما نقع فيه نحن من افتراض أن المتلقى مؤمن بكل شىء ، وبقداسة كل شىء ، وهو لا يحتاج منا إلا إلى تكريس إيمانه ، ومباركة تقديسه الوهلى . إن كاتبا مسرحيا مثل (جان بول سارتر) .. أو مثل (البير كامى) .. أو مثل (صمويل بيكيت) .. أو مثل (يونيسكو) . . لا يمكن أن يقع فى خطيئة اتكائه على افتراض القداسة فى المتلقى لأى شىء .. وهو إن وقع فى هذه الخطيئة يقع فيها بنية إشعال الحرائق فى هذه القداسات وليس على نية تقبيلها والطواف حول محورها الدائخ من كثرة معاناة الطواف !!

وهذه نقول من مسرحيات ترجمت إلى العربية ، وفى كل قطر من اقطارنا يلتهمها الشباب المثقف القارىء ، لتصبح من بعد خليفته الفكرية ، ولتشكل فى النهاية نوعية رؤيته للكون ، ونوعية عطائه فى مجال الأدب والفن على السواء .. لن يجدينا كما قلت فى مطالع هذه السطور أن نصمت حيالها كظاهرة ، فالصمت لا يجدى .. ولن يطامن من زحفها الكاسح أن نتجاهل وجودها الحى ، فالتجاهل لا يحيل القضايا إلى خرافات .. إن النعامة لم تهزم الصائد حين — فى رمال اليأس — دفنت رأسها أبدا ، ولكنها هزمت إمكانية ان تحيا فى نفس اللحظة التى دفنت فيها رأسها فى الرمال !!

فى مسرحية (الشيطان والرحمن) لجان بول سارتر .. يدير المؤلف الحوار على هذا النحو :

جويتز : مات الله !!

هيلدا : مات .. أو عاش .. لا يهمنى . انقضى زمن طويل وأنا لا أهتم به !!

جويتز : قلت لك : مات الله .. (يأخذها بين ذراعيه) لم يعد عندنا شاهد .. سارى وحدى شعرك وجبينك .. لكم أنت حقيقة منذ عرفت أنه غير موجود !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : هاينريش .. سأطلعك على سر خطير .. إن الله غير موجود .. غير موجود .. افرح .. ابك من الفرح .. أيها المجنون .. إننى اخلصك .. لا سماء بعد اليوم ، لا جحيم ، لا شىء سوى الأرض !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : ان الله يسمعنى .. وأنا أقطع الآذان نكاية فى الله وهذا

يكفينى إنه عدوى الوحيد المساوى لى لا يوجد إلا الله وأنا ... وأشباح الناس .. وسأصلب الليلة الله (١) .
وفى مسرحية (الذباب) لسارتر كذلك نقرأ هـذا الحوار :
أورست : ماذا يهمنى جويتز ؟ العدالة هى قضية بشرية .. ولست بحاجة إلى إله ليعلمنى إياها (٢) !!
وفى مسرحية (كاليجولا) لألبير كامى .. نقرأ هـذا الحوار :
سيزوينا : كلا .. لن يقتلوك .. وإلا نزلت عليهم صاعقة من السماء فأهلكتهم قبل أن يمسوك .
كاليجولا : من السماء !! ليست هناك سماء أيتها المسكينة !!
وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :
كاليجولا : إننى أمارس سلطانا محموما فى التخريب ، بحيث أن سلطان الخالق يبدو بالقياس إلى سلطانى تقليدا فاشلا .
وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :
كاليجولا : لقد أدركت أنه لا توجد سوى وسيلة واحدة لنكون فى مصاف الآلهة .. يكفى أن نكون قساة مثلهم (٣) !!
وفى مسرحية (سوء تفاهم) لكامى أيضا نقرأ هـذا الحوار :
الأم : إننى أصرخ ولا أبكى ، لكن ألمى هو ألم الإحساس بالحب وهو يولد من جديد فى قلبى .. ورغم ذلك فهو ألم فظيع ، وأعرف أنه غير معقول ، لكن العالم نفسه غير معقول ، ومن حقى أن أعلن أنه غير معقول بعد أن خبرته كله .. من لحظة الميلاد إلى لحظة الفناء (٤) !!
وفى مسرحية (العادلون) لكامى أيضا نقرأ هـذا الحوار :
كاليابيف : سنصبح كلنا إخوة .. وستجعل العدالة قلوبنا شفافة .. هل تعرف عن أى شىء أتحدث ؟
فوكـا : نعم .. مملكة الله ..
الحارس : اخفض صوتك ..
كاليابيف : لا تقل هذا الكلام .. الله .. لا يستطيع شيئا !!
وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :
الدوقة الكبيرة : إن الدم يفصل بيننا ، ولكنك تستطيع أن تجعل فكرة الله تجمع بيننا فى نفس الفاجعة .. صل على الأقل معـى ..
كاليابيف : إنى أرفض .. لم أعد أعتمد على موعدى مع الله (٥) !!
وفى مسرحية (محطم الأطباق) لأرمان سالاكرو .. نقرأ هـذا الحوار :
الشـاب : إذن .. فإننى قد مت فعلا ..
محطم الأطباق : كـلا ..
الشـاب : وهل أنا قريب من أحد الآلهة ؟
محطم الأطباق : نعـم ..

الشـــاب : إذن هناك آلهة كثيرة ..
محطم الأطباق : إننى إله الأطباق ..
الشـــاب : إله الاطباق ؟ أنت تحطم وتقول إنك إله — أو ليس عمل الله أن يخلق ولا يحطم ؟
محطم الأطباق : (تاركا ثلاثة أطباق تسقط على الارض) : إننى أخلق قطعا من الأطباق ..
الشـــاب : ولكنك إن كنت إلها فلا شك أنك تعلم لغز هذا العالم ..
محطم الأطباق : نعـــم ..
الشـــاب : لقد سهرت ليالى بأكملها وعينى مركزة فى انبـوبة من البلور ينعكس عليها ضوء شمعة .. واعتقدت أنه يمكننى أن أتبين الله بين ألوان الطيف جميعا ..
محطم الاطباق : هذا ممكن ..
الشـــاب : ولكننى لم أستطع ذلك .. وهل تلهو بالاطباق كمـــا يلهو الله بالدنيا والأكوان كلها ؟
محطم الاطباق : وأحطم الاطباق كما يحطمك الله ..
الشـــاب : لماذا ؟
محطم الاطباق : بحكم المهنة (٦) !!

وفى مسرحية (اليس الصغيرة) لإدوارد آلبى ، نقرأ هذا الحـــوار :

جوليان : آه .. لقد فقدت إيمانى بالله .
بتـــلر : آه .. (ثم نظرة تساؤل) .
جوليان : هل هناك شىء آخر ؟
بتـــلر : هل هناك شىء آخر ؟
جوليان : حسن .. لا شىء ذو أهمية ، لقد انحـــدرت ، تقوقعت داخل نفسى .. هبطت تحت قبة زجاجية . . فى هذا الشك كنت بعيدا .. لا يصلنى . وأخيرا لا أصل إلى شىء (٧) !!

وفى مسرحية (الأفواه اللا مجدية) لسيمون دى بوفوار، **نقرأ هذا الحوار :**

عجوز : يا إلهى .. الطف بنا .. يا إلهى .. ارحمنا !!
امرأة : لن يرحمنا أحد .. لقد (انطرش) الله (٨) !!

بديهى .. أن هذه النقول قطرة من محيط لا ساحل له ، وليست هذه أول مرة تطالعها جماهيرنا من خلال هذه السطور ، فإننى أزعم أنها حصاد كل يوم ، وقراءة كل لحظة من لحظات أجيالنا العربية ،أولا : بما هى مترجمة وممثلة ومتداولة على مستوى العالم العربى تقـــريبا . . وثانيا : بما هى كل ما لديه أو أعمق ما لديه على مستوى حضارى وتكنيكى .. وثالثا : لأن الجانب الآخر .. أعنى جانب الفن العقائدى .. ما يزال على مستوى البداوة أو قل على مستوى البوار !!

إن طلائع كتاب العبث .. واللا معقول .. والرفض .. لم ينزلوا أرض المعركة بلا تخطيط مسبق ، ولم يضربوا ضرباتهم هكذا خبـــط

عشـــواء ، إن كل حركة من حركاتهم محسوبة جيدا ، ومصممة بـــلا تفريط ، إنهم يعرفون بلا مبالغة كيف يحركون الصمت إلى جوارهم ، كيف يستفيدون حتى من الفوضى والجمود ، إن الانطباع الاخير لـــدى المتلقى هو ما يعنيهم ، وهم يركضون إلى هـــــذه الغاية على كـــل الجيـــــــاد !!

(فى خطاب كتبه يونيسكو إلى المخرج) سيلفين دوم أول من قدم مسرحية (الكراسى) يقول : لما كانت الفكرة المحورية فى هذه المسرحية هـــو (الخـــواء) الانطولوجى .. أو (الغياب) فإننى أعتقد أن اللحظة الاخيرة ، اللحظة الحاسمة فى المسرحية يجب أن تعبر عن هـــــذا .. (اللاحضور) ولذلك فانه يجدر أن يسدل الستار على أثر خروج الخطيب العاجز عن النطق بالرسالة بعد نزوله من على المنصة وتحيته للامبراطور، فعندئذ سيعاين الجمهور ــ تحت ضوء صار ذابلا معتما كمـــا كان فى البـــداية ــ الكراسى الخالية فى ديكور خاو تزينه أشرطة وأوراق مزركشة وهو ما سيعطى الاحساس بالتعاسة التى يخلفها مرأى قاعة حفل بعد انفضاض الحفل وبذلك يكون كل شىء وقد وجد بلا معنى .. هـــــذا الإحساس الذى يتعدى المنطق هو الذى نسعى إليه ويجب أن نحصل عليه (٩) !!

وقـــد لا يواجهون قضية الإنكار والرفض هكذا وجها لوجه . . ربمـــا لأنهم يدركون جيدا أن حالة من العناد والتصميم تجتاح المتلقى إذا أحس أن الفنان يريد أن يقسره على شىء .. ومن هنا .. فهم يواجهون المواجهة مـــرة لإحداث نوع من الدهشة تذيب صدأ العادة والبلادة فى ذهن المتلقى أو القارىء .. وهم يهربون من هذه المواجهة مرة أخرى عبورا إلى مناطق التلقى فى فطانة وذكاء !!

صحيح أن (أنوى) لا يتعرض لفكرة وجود الله بطريقة مبـــاشرة كمـــا يفعل (سالاكرو) مثلا .. ولكنه لا يكف عن طرق فكرة المطلق ، مع التسليم الضمنى بعدم وجود الله (١٠) !!

وقـــد يلجأون إلى طرح قضيتهم عن طريق المعادل الموضوعى ، أى عن طريق خلق صور موضوعية تعدى المتلقى بنفس ما يريدون له مـــن انطباعات ، إنهم هنا لا يواجهون ولا يهربون من المواجهة ، ولكنهم يخلقون عالما بديلا أو قل عالما (معادلا) .. يستطيعون من خلال تصالبه الفنى مع العالم المعاش أن يقولوا لجماهيرهم ما يريدون ، بلا حركة استعداء .. وبـــلا انسحاب إلى مناطق الصمت !!

يقول (روبير دولدبيه) فى معرض حديثه عن مسرحية (سوء تفاهم) لألبير كامى : (.. فى مورافيا) أم وابنتها (مارتا) تـــديران فندقا منعزلا فى الريف . ويأتى (زبون) غنى . فتضعان له فى طعامه منـــــوما وتسلبانه ماله ثم ترميانه فى النهر ، وذات يوم يطرق الباب فيكون القادم

(جـــان) الابن الذى غادر القرية منذ عشرين عامـــا فـــلا تعـــــرفه المرأتان (ذلك أنه قد أخفى هويته) ويكون مصيره أن يلحق بالآخــــرين فى النهـــر ..

(هذا المكان المنعزل الذى يعمره المجرمون إنما هو عالمنا العبثى اللا معقول وان جـــان الغريب الذى يطرق الباب هو السؤال المطروح .. أما الجواب .. فهو الجثة التى تنتن عند سد النهر (١١) ..

إن رصـــد ملامح التكنيك المسرحى فى أعمال هــــؤلاء الرافضيـــن ليس ترفا نتلهى بالتحديق فى عينيه ، ولكنه ضرورة حياتية إلى جـــانب كـــونه ضرورة فنية بما هو ســـلاح قتالنا فى المعركة ، وبدونه تبقى أسلحتنا هجومية بـــلا هجوم !! ولكن مثل هـــذه الدراسة العجلى لا يمكن أن تنكفىء على رصـــد هذه الملامح ، فكل همومها أن تدق أجراســـا ، وتقرع طبولا ، وترفع رايات ، وللقادرين من بعد أن ينكفئوا على هذه الدراسة الأكاديمية البحتة . من أين هذا المسرح ؟ وإلى أين هـــــــذا المسرح ؟ وما مقوماته الجمالية والتكنيكيـــة والحضاريـــة ؟ إلى آخـــــر ما يطرح فى هذا المجال من أسئلة بلا حدود !!

وقريبا من لحظة الوداع أود أن ألقى بقفازى فى وجـــــه المسرح العربى الحديث .. فقطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة الزمن !! وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا التى أجهضها الواقـــع الضـــاغط حتى من قبل مواعيد ميلادها الطبيعى !! وقطاع منه يتلكأ على صــــدر مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة !! وقطاع منه يتهاوى تحت معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد أن يقول !!!

إن مضمون المسرح العربى الحديث لم يتحدد بعد ، لم يتشكل حتى هذه اللحظات ، لم يعرف وجـــه قضيته الحقيقية ؛ وهو وحـــده المتهم والقاتل فى قضية انتماء شبابنا إلى غير هذه الأرض ، ونضالهم ان ناضلوا كل طواحين الهواء !!

وليكن واضحا أننى لا أريد من وراء هذه الكلمات أن أصادر ثقافة وافـــدة ، أو أغلق نافـــذة مفتوحة على فكر حديث ، مهما كان لون هذه الثقافة أو لون هذا الفكر .. إننى أكون جارما بلا حدود إن فعلت !! إننى أنفى نفسى من العصر الذى أعيش فيه إن حاولت أن أفعل !!

إن كل ما أريد هو الا يكون صوت واحد صارخ فى البرية .. لا بد من تعدد الأصوات ، لا بد أن نقول كلماتنا نحن كما نبيح للآخـــرين أن يقولوا كلماتهم أبدا ، لا بد أن نجد صيغة ما لمضمون حضارى ما يشكل فى نهاية الأمر رؤيتنا للكون ، وموقفنا من الله ، والتزامنا نحــــــو الآخـــرين .. أما أن يستحيل فكرنا إلى ملامسة .. وأدبنا إلى منادمة .. وفننـــا إلى استهواء غرائزى رخيص .. فهذا ما نر فضه .. وعلى جبينه الداعر ندوس .. وندوس !!!

إن التبعة هنا ذات شقين .. فواجب المثقفين العقائديين أن يناقشوا جذور هذه الفلسفات على مستوى فكرى بلا حماسيات مبحوحة جوفاء ..

وواجب الفنانين العقائديين أن يبدعوا فنا بلا جلجلة ، فنـــا يستوحى هـــذا التراب ، ويستلهم هـــذه الأرض . ويعطى من اكتنازه الـــذاتى بآلاف المواعيد !!

.. إن التصدى لهذا الفكر ليس تبعة الفنان العقائدى وحده ، ولكنه تبعة كل المبدعين .. إن مقالاتنا ، وبحوثنا ، وجرائدنا ، ومجـــلاتنا .. يجب أن تتصدى لهذا الفكر .. فى محاولة للاســـتيعاب من البـــدء ، ومحاولة أخرى للعطاء من بعد .. أما أن ننكفىء فوق ما تهرأ من طـــول ما كتبنا حوله ، ومن طول ما أثرنا فيه من حوارات ، فليس قضـــــية العصر ، وليس التزام أى من المبدعين الشرفاء !!!

إننى واحد من الذين يقرأون دوريات العالم العربى — أو قـــل جانبا منها — ويصيبهم من ذلك دور بـــلا حدود .. إن شهـــــوة النشر ، واكتناز الرصيد ، وإيثار السلامة ، هى ما يحرك قطاعا هائلا من الذين يلطخون وجه الورق الأبيض بمزيد من الحبر الأسود .. وليس أبـــدا الغيرة على راية سقطت فى أوحال عصر كل ما فيه شاهد زور !!

فلنتحرك من منطلق العقائدية وليس من منطلـــــق الوشـــــوب الاســـــتفزازى !!

ولنضرب بسيف الحق ، لا بسيوف الانانيات !!

ولنقل كلماتنا المثقفة ، وليس كلمات من ماتوا بلا دفاع !!

ولتسقط كل الأقنعة .. عن كل وجوه الكاذبين !!!

---

(١) الشيطان والرحمن : جان بول سارتر .. ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٢) الذباب : جان بول سارتر .. ترجمة سهيل أدريس .
(٣) كاليجولا — البير كامى — ترجمة رمسيس يونان .
(٤) سوء تفاهم — البير كامى — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٥) العادلون — البير كامى — ترجمة بسيم محرم وريمون فرنسيس .
(٦) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
(٧) اليس الصغيرة — أدوارد آلبى — ترجمة دكتور عبد العزيز حمودة .
(٨) الأفواة اللامجدية — سيمون دى بوفوار — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٩) مسرح العبث — دكتور نعيم عطية .
(١٠) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
(١١) كامو والتمرد — روبير دولوييه — ترجمة د. سهيل أدريس .

مقتطفات من حجج الوقف

بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت

من محاسن الشريعة الاسلامية أن حثت على البر والتعاون بين الناس وصلة ذوى الأرحام ومواساة المحتاجين من الناس والعطف على الفقراء والمعوزين .

وعوامل الخير غير محدودة ولا منحصرة فى نوع معين من الاعمال ، فكما يكون الخير بالارشاد اليه يكون بعمله وبالمعاونة عليه والمساعدة لايجاده .

وقد كان من لطف تقدير الله أن استجاب ذوو النفوس الطاهرة والقلوب العامرة بالايمان للخير ، وابرازه فى جلائل الاعمال فارصد الخيرون من أموالهم على بيوت الله فاقاموها ، وعملوا على دوام صلاحيتها واقامة الشعائر فيها برجال قصروا أنفسهم على خدمة هذه البيوت الطاهرة .

كما أرصدت طائفة أخرى من الخيرين على جهات أخرى غير المساجد مثل المدارس والمستشفيات وتعليم القرآن ومساعدة طلبة العلم الشريف عونا لهم على تحصيل علومهم .

وهناك نوع آخر لا يغيب عن البال وهو الايصاء بثلث الاموال لجهات الخير والبر والاحسان .

كل هذه الانواع أوقاف خيرية يجرى ريعها على جهات كلها خير وتعاون وبر وصلات .

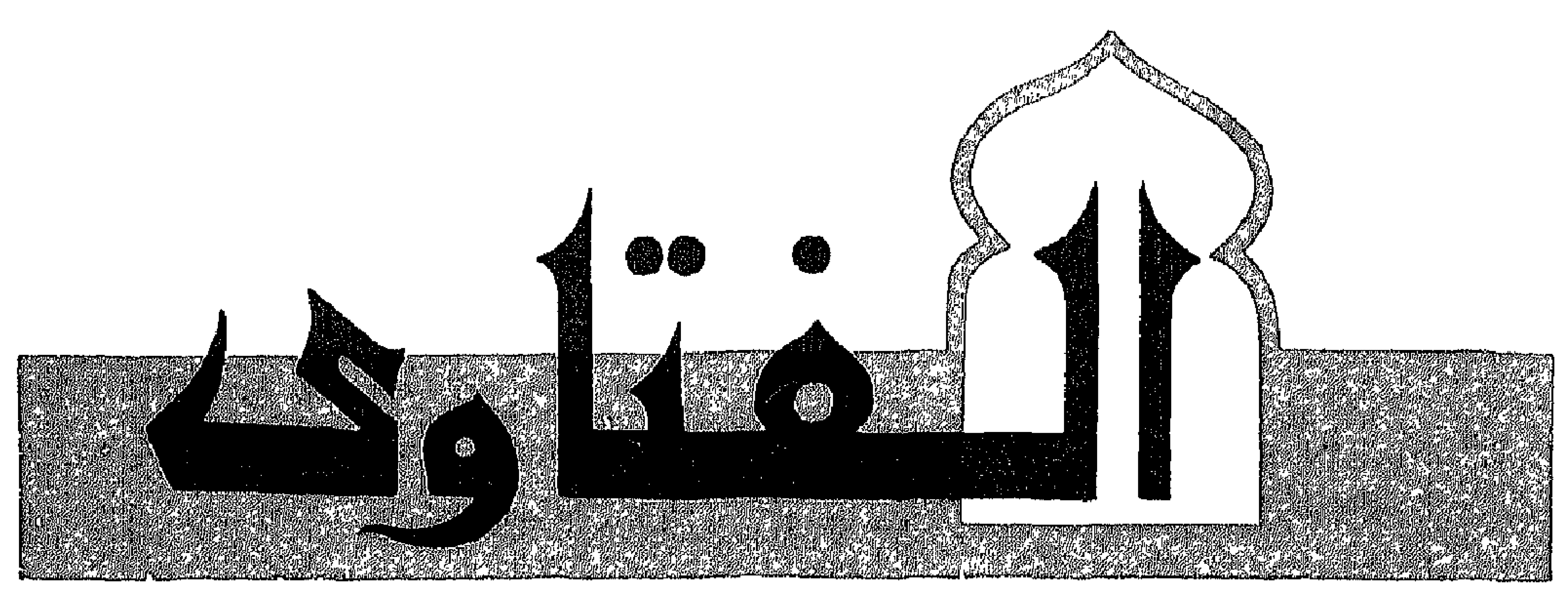
ووزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بصفتها الناظرة على هذه الاوقاف تديرها وترعى مصالحها وتصرف ريعها على ما شرطه واقفوها تقدم الى القارىء الكريم أمثلة من ملفات الأوقاف الخيرية بها .

بتاريخ ١ شوال ١٣٥٦ هـ أوقف المرحوم السيد حامد النقيب بن السيد رجب بيته الواقع فى محلة القبلة احدى محلات الكويت على أمام مسجد ابن عثمان أحد مساجد الكويت تصرف غلاته عاما بعد عام على امام المسجد المذكور مع العناية بتعمير هذا البيت ورعايته حتى تستدام غلته وتبقى به عينه حبسا تاما مؤبدا منجزا لا يغير عن حاله حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وقد أراد بهذا الحبس وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجزيل ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

وقد جعل الواقف النظر عليه لامام المسجد المذكور كما حاز الناظر هذا الحبس وتولى عليه .

والآن هو ضمن أوقاف المساجد التى تديرها الوزارة بما فيه الخير والمصلحة .



السؤال :

هل يصح حج الولد عن أبيه حجة الفرض ؟

الجواب :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام فرضه الله على من استطاع اليه سبيلا .

وتتحقق الاستطاعة بالصحة فى البدن ، والقدرة فى المال ، والأمن فى الطريق ، والأمن فى أماكن الحج .

والقدرة فى المال هى أن يكون الانسان مالكا المال الذى يكفيه لنفقته ونفقة عياله ومن يعولهم فى غيبته كفاية فاضلة عن حوائجه الاصلية من ملبس وسكن ومركب وآلة حرفة (ان كان صاحب حرفة) من مبدأ سفره لتأدية الفريضة الى أن يعود الى وطنه .

فمتى توفرت هذه الشروط كان الانسان مستطيعا ووجب عليه الحج ، فان لم تتوفر عنده الصحة أو كان عاجزا عن النفقة وكان يكسب قوته وقوت عياله يوميا أو كان الطريق غير آمن أو يخاف على نفسه هلاكا كان غير مستطيع ولا يجب عليه الحج .

ومن استطاع بحيث توفرت عنده شروط الاستطاعة ، ومات قبل أن يحج وجب على ورثته أن يؤدوا عنه الحج قضاء ، كما يقضون عنه الديون التى عليه للناس .

فقد روى البخارى عن ابن عباس (أن امرأة من جهينة قالت أن أمى نذرت أن تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال نعم أرأيت ان كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) . .

ومن استطاع السبيل الى الحج ثم عجز لمرض أصيب به لا يرجى برؤه ، أو شيخوخة ، أو كان يخاف على نفسه أناب عنه غيره .

وكذلك اذا مات وأوصى أن يحج عنه لزم الورثة تنفيذ الوصية بانابة من يحج عنه ان كان ترك مالا ، أو أن يتبرع الورثة ان لم يترك مالا .

ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد حج عن نفسه أما اذا لم يكن حج عن نفسه فلا يصح أن يحج عن غيره ، مستطيعا كان أم لا ، بدليل الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال صلى الله عليه وسلم له « أحججت عن نفسك قال لا قال له حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » .

من هذا نفهم أنه يصح للولد أن يحج عن أبيه اذا قضى فرضه أولا ، وحج عن نفسه ، وحجه عن أبيه بر منه لأبيه .

السؤال :

ويسأل السيد/محمد نخيلان عن الأضحية .

الجواب :

الأضحية ــ سنة مؤكدة على من وجد سعة بالمعيشة ، وهى ليست فرضا ، ولا فرق بين الأضحية للميت فى أول سنة أو فى ثانى سنة ، وليس هناك شىء يسمى ضحية الحفرة .

ويشترط فى الأضحية أن تكون سالمة من كل عيب ، ويصح الاشتراك فى الأضحية اذا كانت من الابل والبقر ، فاذا اشترك سبعة فى بقرة أو بعير صح ذلك ، ولا يصح أكثر من سبعة ، والسنة فى توزيع الأضحية أن يأكل وأولاده منها الثلث ، ويهدى الثلث ، ويتصدق بالثلث .

وان تصدق بها كلها جاز له ذلك ولا يجوز أن يتصدق بأقل من الثلث ، والأضحية توزع لحما .

السؤال :

بداخل مزرعتى حوض كبير حاولت تغطيته خوفا من وقوع المواشى فيه فمنعنى جيرانى لأنهم ينتفعون به وفى يوم مضى دخل ابنهم المزرعة ليسبح فغرق ، فهل على بذلك كفارة ؟

الجواب :

الولد مات بأجله والحوض داخل المزرعة والمزرعة محاطة بسور بدون باب، وقد حاولت صيانة الحــوض فمنعك أهل الولد وليس عليك من ذلك شىء .

السؤال :

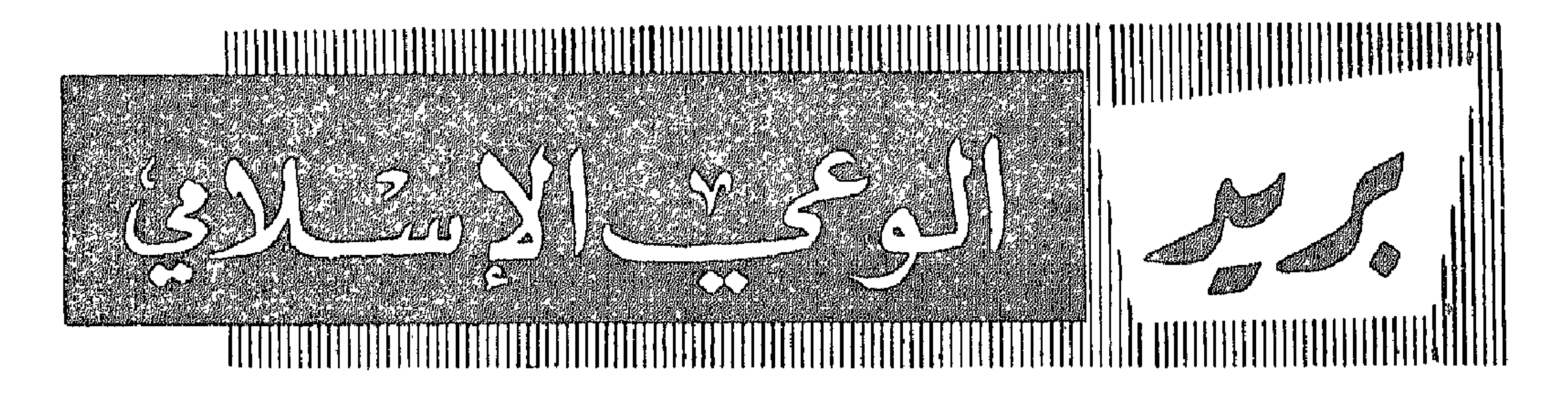
موظف صغير فى المباحث السياسية وظيفته حضور الاجتماعات للتجسس على ما يدور فيها ، ونقل أخبارها الى الجهات الخاصة . لا يتعمد ضرر أحد ، وهو صاحب عائلة ، ويشك فى أباحة رزقه من هذا المورد ، فهل راتبه حــلال أو حرام ؟

الجواب :

اذا كان العمل لتلافى خطر يقع على الأمة كاخلال بالأمن وارجاف فى الوطن، أو خطر يقع على عائلة ، أو هتك عرض ، أو سرقة مال ، أو سفك دم ، أو ما شابه ذلك مما يمس بالوطن أو المواطنين فيجب على من علم بذلك اخبار السلطة وتدارك الأمر سواء كان هذا العالم موظف دولة أم من المواطنين أيا كانت مكانته فى الأمة سواء كان رجلا أم امرأة . .

أما ان كان الخبر لا أساس له وانما سببه عداء بين المخبر والمخبر عنه أو بقصد الانتقام أو سمع فلم يتأكد وأخبر بما لم يتأكد أو كان ظنا وبعض الظن اثم أو أن المخبر يريد أن يتقرب الى رؤسائه بنقل أخبار لا أساس لها من الصحة أو أن الأخبار كانت صحيحة ، ولكنه بالغ بها ظنا منه أن المبالغة ترضى الرؤساء فيكون آثما يحمل وزره ووزر من استمع اليه .

وعلى السائل أن يتحرى الأخبار الصحيحة فهو بعمله هذا على شفا جرف هار من النار يجب عليه أن يتقى الله فى الاخبار التى ينقلها ، الا يقول الا الحق والايخبر الا بالصدق فان فعل حل رزقه والا فانه يأكل بيده النار .



السؤال :

بعث السيد محمد عبد اللطيف برسالة الى المجلـــة يسألها : « نعرف أن الاسلام يحترم العقل الانسانى لكن بم تفسرون السمعيات فى الاسلام من ذات الله والحشر والحساب وغيرها من المغيبات التى يحجبها الاسلام عن العقل » ..

الاجابـــة :

تجلى احترام الاسلام للعقل ، بصونه عن الخوض فى أمور الغيبيات التى لا تنالها أدوات المعرفة الممكنة للانسان ولا يمكن للعقل أن يصل فيها الى شىء الا بارشاد الوحى .

وعلى كل حال ، فمجال الغيبيات فى الاسلام ، مجال ليس فيه ما يخشى الاسلام من الاطلاع عليه ومعرفة العقل لـــه بل أن الوحي أوضحـــه ، وبيَّن تفاصيله ، من صفات الله والملائكـــة ، والبعث والحساب الخ ، وكان بيان هذه الامور بيانالا يترك فى الحقيقة لدى المؤمنين شيئا جديدا يريد الوقوف عليه .

فمنع العقل البشرى اذن من البحث فى ذات الله ، وحقائق الغيب ، انما كان لمصلحة العقل ذاته ، لانه لا يستطيع أن يخوض غمار البحث فى هذا المجال دون أن يضل ويحار .

وذلك ما عناه ــ فى اعتقادى ــ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك حين قال : ((تفكروا فى مصنوعات الله ، ولا تفكروا فى ذاتـــه فتهلكوا)) وحين قال ((يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك ، فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)) .

والانسان الذى يتجاوز فعلا حدود الايمان بالله . وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، التى رسمها القرآن الكريم ، وفصلها بوضوحه ، ليقحم عقله فى محاولة استكناه حقائق الروح والعرش والكرسى والقـــلم والجن والشياطين وغيرها من الغيوب ، فانـــه لا يجد أمامه طريقـــا الى ما يريد ، الا الحيرة ، والتشتت .

وليس هذا الموقف ــ صون العقل عن التيه فى بحـــر الغيوب واستكناه حقائقها ليس موقفا جديدا فى الاسلام ولا بدعا ، بل سبقت الاديان والمذاهب

اليه ، بل ان من الاديان السابقة ، من حظر على العقل مجرد التفكير وطاب اليه أن يسلم تسليما بكل ما يفرض عليه من عقائد ، والفضل للاسلام فى أنه ضيق دائرة الحظر ، وقصر التسليم والايمان على غيبيات محددة يعجـز العقل عن ادراك حقائقها ، ثم لا تفيده معرفـة حقائقها فى شىء مـن دنياه الحـاضرة ووجوده النافـع له .

ولقد أدرك الفيلسوف الالمانى الاشهر ((كانت)) هذه الحقيقة ، فمع ثقته بالعقل ، وتعويله عليه ، فانه أنكر على العقل أن تكون له قيمة فى مجال المغيبات لانها فوق قدراته ، ولذلك فانه لا يملك فيها غير الحيرة .

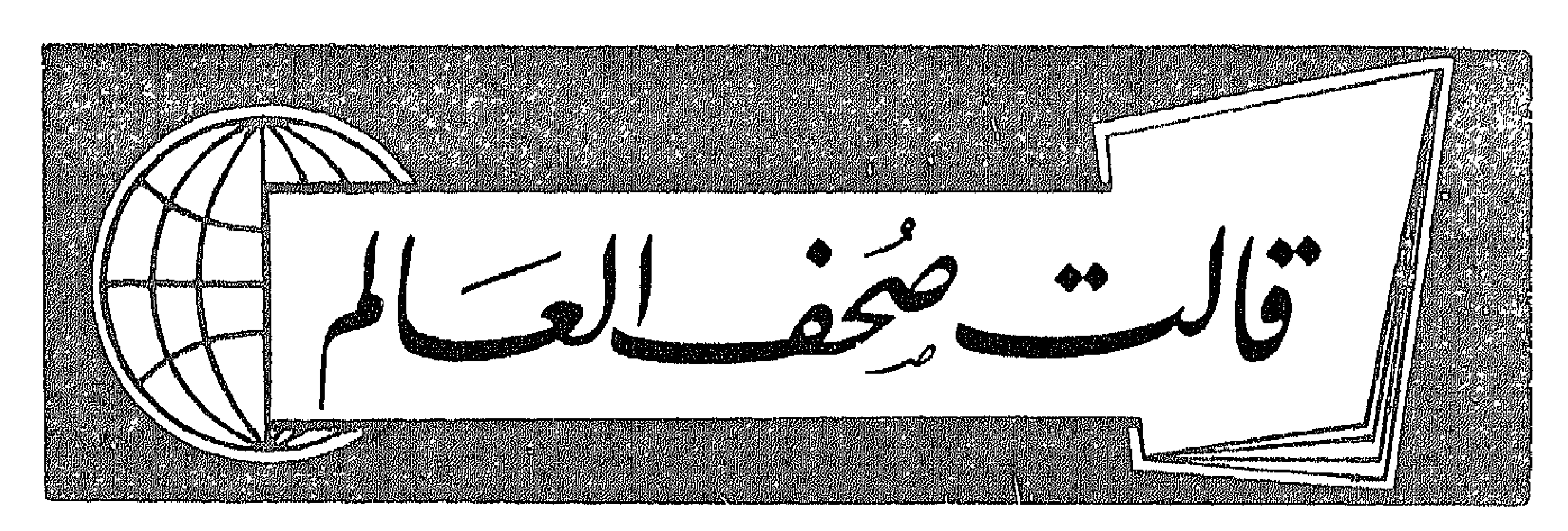
بل ان الذين يوجهون سهام النقد الزائف الى الاسلام لصونه العقل عن هذه الغيبيات ويدعون أنه لا ينبغى أن يوقف العقل عن شىء ويؤمنون بالفلسفة المادية العملية التى تقوم على العلم العملى يجـدون أنفسهم أمام تحد من نوع جديد ، أمام غيبيات لا تستطيع عقولهم ، أن تقدم لها تفسيرا ، أو تمسك لها بحقيقة .

ويقال مثلا ((ان الذرة تفتتت الى ذرات متناهية فى الصغر ثم تتفتت هذه الذرات الى ذرات أخرى وهكـذا حتى تتحول الى طاقة .

وهنا يقف بهم العقل .. فلا يستطيع أن يحدد : ما شكل الطاقة ؟ وما كنهها ؟ وعلى أى الاوضاع تكون ؟ غيب من الغيوب لا أحد يعلم حتى الآن كما لا يعلم أحد : ما حقيقة الجاذبية والمغناطيسية ؟ بل ما حقيقة الكهرباء ؟ تلك التى نرى آثارها تحيط بكل منا فى الحياة العملية .

فاذا عجزت الفلسفة المادية على هذا النحو ان تقدم شرحا لحقائق هـذه الغيبيات التى وجدت نفسها أمامها ، فهل يمكن أن يتهم الاسلام بشىء من الجمود أو التحجر على العقل حين يصون هـذا العقل عن التخبط فى حقائق الغيوب ، ويطلب أليه أن يمارس ما يستطيع من فكر ، فى حدود الحياة العملية فقط ، فهى أنفـع له ، وأجدى عليه .

والى هنا نقرر مطمئنين : ان موقف الاسلام من العقل فى مجال الغيبيات يعتبر دافعا للعقل الى تركيز نشاطه فى التفكير الافيد لـه . وباعثا له علـى التجديد الدائم لفكره العملى فى الحياة النافعة لذلك خير له من التخبط فى الغيب فهو موقف يحسب للاسلام فى امكانيات الانهاض والتجديد وتطوير المجتمعات ولا يحسب عليه ، فى نظر العاقلين المنصفين .



ذكرى انتصار الثورة الجزائرية

كتبت مجلة البلاغ الكويتية تعليقا فى افتتاحيتها على ذكرى انتصار الثورة الجزائرية وذكرى وعد بلفور قالت :

فالأولى تكرس بطولة شعب ، قدم من خيرة أبنائه مليون شهيد ، حتى انتزع استقلاله من براثن أشرس قوى استعمارية ، جربت فى الشعب الجزائرى أفظع أساليب التعذيب ، الجسدى ، والنفسى .

والثانية تجسد جريمة مسؤول صهيونى ، ربط بلاده بوعد لبنى قومه من الصهاينة ، الامر الذى كلف بريطانيا ــ حيث كان بلفور وزيرا لخارجيتها ــ غاليا من عداء العرب ، ومقتهم ، اعتبارها المسؤولة عن غرس خنجر « اسرائيل » فى قلب العالم العربى ، وعلى اشلاء مليون شريد وطريد من أبناء فلسطين .

ولعل من محاسن الصدف ، ان تسبق ذكرى انتصار الثورة الجزائرية ، ذكرى وعد ((**بلفور**)) المشؤوم باعتبارها الاشارة الحاسمة ، الى الاسلوب المجدى الكفيل بانقاذنا من الحالة البائسة الراهنة ، أسلوب الجهاد والتضحيات والدماء وتقديم المزيد من الشهداء .

وتاريخنا الاسلامى المجيد ، حافل بالعظات والدروس والعبر ، حيث كان المسلمون الفاتحون من دعاة الاسلام سادة الحروب ، واخبار انتصاراتهم جعلت الاعداء يهربون من لقائهم ، ذلك أن الايمان كان يعمر قلوبهم وصيحات الجهاد كانت الدافع الاقوى لتسيير فتوحاتهم ..

لم ينجح المسلمون فى معاركهم ، والوصول الى أقاصى الدنيا ، خلال أقل من قرن واحد ، يوم دانت لهم أعتى الامبراطوريات ، الا أنهم استرخصوا أرواحهم فى سبيل الله وباعوا الدنيا وما فيها ، بجنة عرضها السموات والارض ولم ينتصروا وتكتب لهم الحياة الا لانهم أحبوا الموت ، وبمثل تلك النفسية وبهذه الكيفية يسجل التاريخ للشعوب انتصاراتها .

فتحية للجزائر الشعبية ، وشعبها المكافح ، ودعاء نرفعه الى الله تعالى أن يلهم المجاهدين فى بطاح فلسطين ، التأسى بتجارب تلك الثورة المباركة حتى يعود الشعب المشرد الى دياره ، أو نقدم مليون شهيد جديد .

العلمانيـــة

من مقال للأستاذ فتحى رضوان نشرته جريدة الاهرام فى احدى صفحاتها الدينية تحت هذا العنوان قال :

كيف حقق الاسلام ، كل ما عقد على (العلمانية) من آمال لم تتحقق لا فى داخل الدول ولا خارجها .

أولا : ليس فى الاسلام هيئة ولا طبقة تحترف صناعة الدين ، أو تستأثر بشرح أحكامه ، فكل مسلم مدعو لقراءة الدين والتفقه فيه ، وله الحرية فى أن يفهم ما يشاء ، ما دام يفهم لنفسه وله أن يستعين بمن هم أرسخ منه قدما فى اللغة ، وأقدر منه لثقافتهم وعلمهم ليأخذوا بيده ، فليست تلاوة القرآن حكرا لأحد ، ولا هى ممنوعة من أحد ، بل أنها مستحبة كلما تيسرت للانسان . والانسان يصلى وحده بلا رقيب لا موجه واذا اجتمع المسلمون ، تقدم أحدهم فأمهم ما دام يعرف أصول الصلاة ، ولو كان أشعث أغبر لا يؤبه له .

وفى هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت : قد اتصلت بالقرآن ــ بعد أن التحق الرسول بربه ــ افهام العلماء ، والأئمة فيما لم تكن من آياته نص فى معنى واحد وكثرت الآراء والمذاهب فى النظريات والعمليات ، لا على أنها دين يلزم وانما هى آراء وافهام . .

ثانيا : عبادة المسلمين وصلاتهم جائزة فى كل شبر من كل أرض فالله تعالى قال : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : « وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا » .

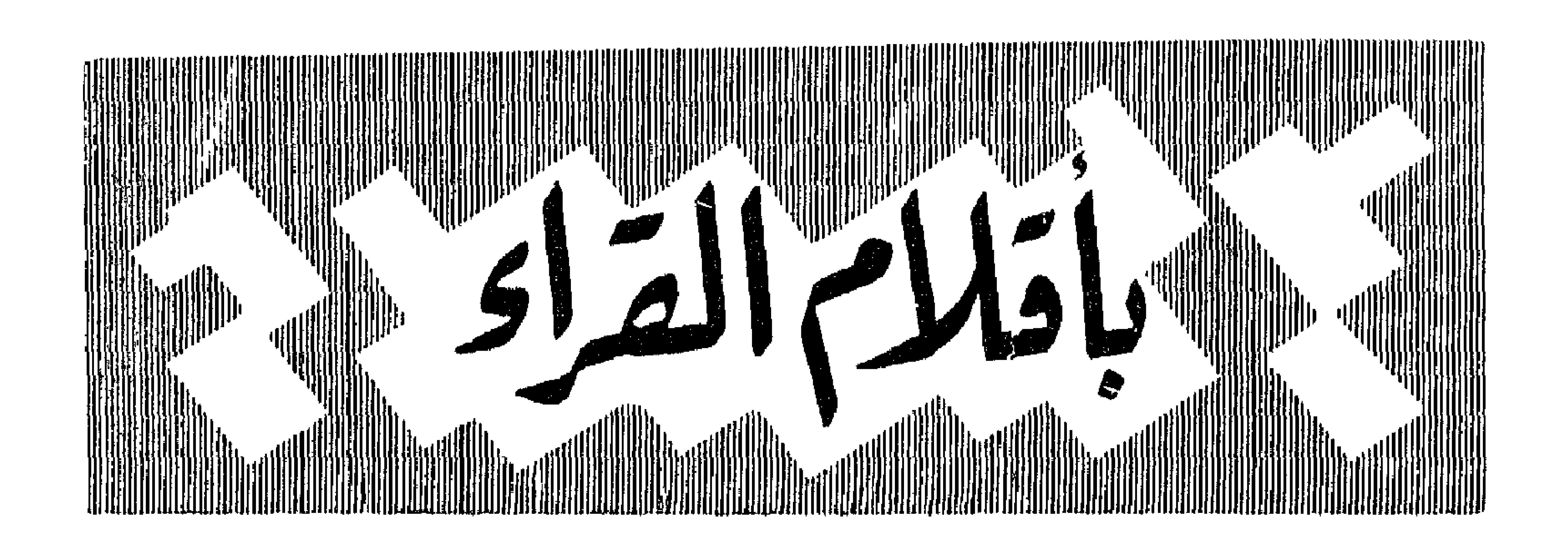
ثالثا : ونبى المسلمين ورسول الله اليهم بشر مثلهم ، يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، وكان له كل نشاط الآدميين فتزوج وأنجب ، وصام وأفطر وحارب وسالم وعاهد ، وعرف اليتم والثكل ، ماتت له زوجات وبنات وبنون وأكد القرآن والحديث بشريته ووصفه القرآن ، بأنه عبد الله ، وقا لءن نفسه انه عبد يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد . . ففى القرآن « **سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » وفيه « **قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء اللــه** » وفى الحديث « **لست ملكا ولا جبارا ، انما أنا ابن امرأة تأكل القديد فى مكة** » والرسل جميعا ــ عند الاسلام ــ ليسوا الا مبلغين لرسالات اللــه ووظيفتهم الارشاد والتعليم عن طريق الوحى .

رابعا : الأصل فى الأشياء الاباحة ولا تحريم الا بأمر الله ، فى نص من القرآن أو نص من الحديث قطعى الورود فالاباحة والتحريم من حقوق اللــه وحده ولا يشاركه فى ذلك شريك من رسول أو خليفة ، أو هيئة أو جماعة أو طبقة أو فئة . وبالتالى لا يوجد من يغفر الذنوب الا الله ، وكل مسئول عن عمله لا تنفع أحدا عند الله قرابة حتى للرسول الكريم فقد قال عليه السلام : « يا معشر قريش **اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا** » وقال لو سرقت فاطمة ــ بنته رضى الله عنها ــ لقطعت يدها .

وأخيرا يساوى الاسلام بين رسل الله جميعا ، وأديانهم « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » .

وقد نشأ من كل ذلك جو من حرية الرأى أتاح للمسلمين وأخوانهم من أهل الكتاب أن يتعاونوا فى انشاء حضارة انسانية طابعها المميز التسامح وكراهيــة القسر والعنف حتى فى أدوار انحلالها ، وقد روى مصطفى كامل فى كتابه الشهير (المسألة الشرقية) أنه لما فتحت القسطنطينية على يد محمــد الفاتح الســلطان التركى ، وانتخب المسيحيون الروم بطريركا قال له السلطان محمد « كن بطريركا لليونان والله يحميك ، وفى كل الاحوال والظروف اعتمد على مساعدتى وتمتع بكل الامتيازات التى كانت لأسلافك من قبل » . .

فهل علمانية كائنة ما كانت قادرة على أن تحقق هذا أو شيئا قريبا منه ؟ .



الحكمة ضالــة المؤمن

وأرسل الينا السيد محمد سعيد السيد أحمد الشبيب من سوريا كلمــة بهذا العنوان يقول فيها : ــ

قال تعالى «**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**)) المؤمن ينظر الى الأمور بعقله لا بعينه فقط . والرجل المؤمن لا ينظر الى الغرب كامام وزعيم خالد ، والى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، انما ينظر الى الغرب كمجتمع سبق وقرين تفوق فى بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منها ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه ان كان فى حاجة الى أن يتعلم من الغرب كثيرا فالغرب فى حاجة الى أن يتعلم منه أكثر ، وربما كان ما يتعلمه منه الغرب أفضل مما يتعلمه هو من الغرب .

والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها ، فالمؤمن يأخذ من علوم الغرب والشرق ما تفتقر اليه أمته ، وينفض عن كل ما يأخذ من الغرب والشرق غبارا لصق به فى القرون المضحلة وفى عصر الثورة على الدين عصر التوتر العصبى والقلق النفسى ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الالحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويغلفها بايمان عميق بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منهـــا نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر اسعادا للانسانية مما توصل اليه أساتذة الغرب على الاطـــلاق .

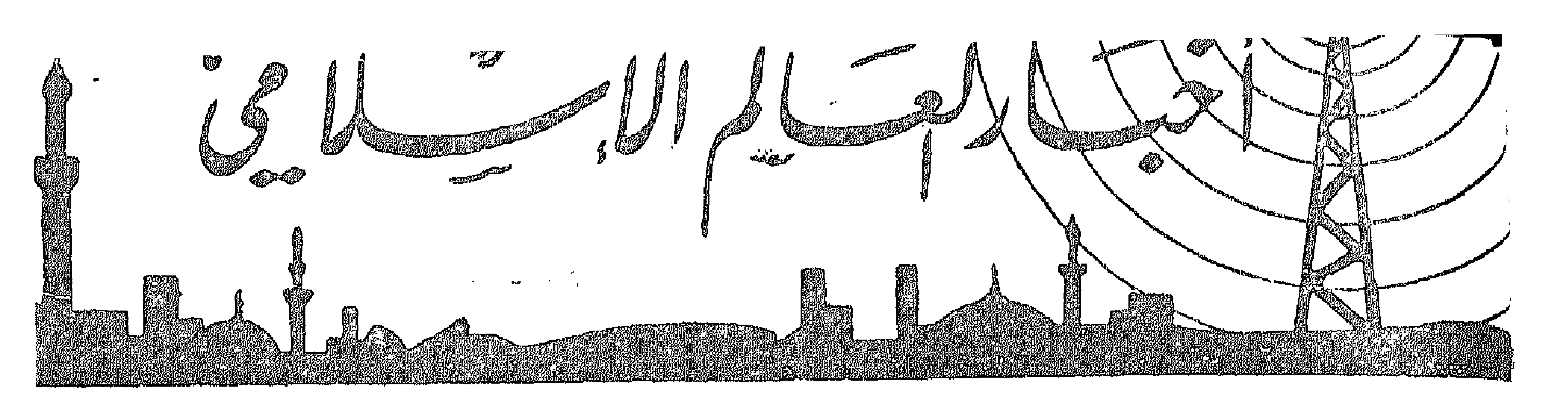
اضرار المسكــرات

وتحت هذا العنوان بعث السيد عادل جلال سعيد كلمة اقتطفنا منها ما يلى : ــ

ان احتساء الانسا ن الخمر يفقد الانسان قيمة وعمل تلك الجوهرة التى ميزه بها الله تعالى عن سائر الحيوان ، ويجرده من عواطفه الغريزية ، فينسيه واجبه كابن أو كزوج أو كأب ، ويفقده مقدرته ويسلبه كفاءته فلا يستطيع القيام بعمله ويسوقه الى خيانة الامانة ، ويرغمه على الاحتيال والسرقة وارتكاب كل منكر ،

فيصبح مخالفا للشريعة مناقضا للناموس خارجا على القانون ، فنرى أن هنـــاك من انتحر أو قتل غيره أو تجرد من أملاكه بيعا ، أو أفلس بسبب الخمر ، ولا يقف خطر المسكرات عند هذا الحد بل أنه يؤسس كثيرا من الامراض الخطيرة كالشلل والتهاب المعدة وأمراض الكبد والكليتين والآلام العصبية ، زد على ذلـــك أن الأطباء قد قرروا أن مجال الشفاء يتسع للذين لا يتعاطون الخمور حين يصابون بمرض من الامراض السالفة الذكر أكثر مما يتسع للمسكرين ، هذا وان تعاطيه يؤذى الجسم ولا يفيده بحـــال من الاحـــوال ، والكحول سم قوى قاتل فلو طلب من سكير أن يشرب سما فتاكا كالزرنيخ مثلا لما قبل مع أن الأدلة التى تثبت ذلك عديدة وموفورة ، فاننا لو وضعنا دودة من ديدان الأرض أو سمكة فى وعاء يحتوى على ما نسبة الكحول فيه ١٪ لماتت سريعا ، وكذلك لو أخذنا زلال بيضة وصببنا عليه قليلا مما يسمى الويسكى أو أى مشروب روحى قوى فانه يجمده حالا ، ويغير لونه ، كما لو كنا نضعه فى ماء يغلى أو فوق حديد محمى ، وحين نذكر أن القلب والكبد والكليتين والعضلات مركبة فى نفس المواد التى يتركب منها زلال البيضة ، عرفنا أن الكحول يحدث هذا التأثير ، ويعطل أنسجتها ، ويميت حيويتها ويحرق الجزء الذى يلامسه فى الجسم ولا يعطيه فيوقف نموه ، أما الاطفال الذين يعطون جرعات من المشروبات الروحية فان نموهم العقلى يصبح بطيئا ، ولا تقوى بنيتهم ، ولا يصلب عودهم الى الحد الذى بالامكان الوصول اليه لولا استعمـــال الخمور ..

فالرجل الذى يعاقر الخمر يحسب أنها تعينه على التفكير ، والواقع أن المخ فى غضون الدقائق العشر الأولى التى تعقب جرعة خفيفة من الخمر يحـــدث معه تنبه فى الابتداء فتتنبه الذاكرة وتسيل القرحة ، وتتدفق الافكار ولكن يلاحظ فى الوقت نفسه . أن الأفكار مضطربة متبلبلة ، والكلام متلجلج سخيف ، والألفاظ سمجة وبعيدة عن الاخلاق الفاضلة لأن الرجل المستقيم فى سلوكه ، المتعقل فى قوله ، والمتروى فى فعله عادة يظهر فى مظهر غريب بعد الاسراف فى معاقرة الخمر ، ومن الأدلة القاطعة على الضرر الذى يلحقه الكحول بالمخ كونه من أقوى الأسباب الداعية الى الجنون .



الكويت : افتتح سمو أمير البلاد المعظم الدورة الجديدة لمجلس الامة وقد القى سموه توجيها للشعب قال فيه علينا أن نكون يقظين أو مستعدين لمواجهة أى طارىء .

● أكد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أن الكويت لن تدخر وسعا فى بذل الجهود لمساعدة المسلمين فى الفيليبين سواء على الصعيد الديبلوماسى أم المعنوى .

● استضافت الكويت فى موسمها الثقافى الماضى فى رمضان عددا من كبار المفكرين والعلماء المسلمين الذين ألقوا محاضرات فى بعض الجمعيات والمساجد الكبرى تناولت الفكر الاسلامى وشئون المسلمين .

● أغلق باب الانتساب الى دار القرآن الكريم بعد فرصة دامت ستة أشهر وقد بلغ عدد المتقدمين لحفظ القرآن الكريم فى السنة الاولى ٩٠٠ طالب .

القاهرة : وافقت ادارة الازهر على بعثة طلبتها الكويت من المتخصصين فى القراءات وذلك للتدريس فى دار القرآن الكريم .

● أهدت القاهرة مكتبات اسلامية الى تونس وزامبيا وغانا والى الجاليات الاسلامية فى جمهوريات سلفادور ونيكاراجوا وهندوراس وكوستاريكا وجواتيمالا .

السعودية : قرر المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى دورته الثالثة عشرة دعم جميع القضايا الاسلامية والمطالبة بحقوق الاقليات الاسلامية فى العالم وانشاء صندوق للجهاد لدعم القضية الفلسطينية فى البلاد الاسلامية .

● أعلن وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية فى الامم المتحدة انه اذا أصرت اسرائيل على موقفها بشأن القدس فان العرب والمسلمين فى العالم كله سيضحون بأنفسهم من أجل التحرير .

● تقرر تبادل التمثيل الديبلوماسي بين المملكة وكل من قطر والبحرين .

● سيعقد مؤتمر وزراء الخارجية للدول الاسلامية مؤتمره القادم فى جدة فى شهر مارس القادم .

الاردن : أبلغ وزير الخارجية الاردنى الامم المتحدة بأنه طالما كان هناك احتلال اسرائيلى للارض العربية فلن يكون هناك سلام فى المنطقة .

● قدمت الاردن شكوى الى منظمة اليونسكو توضح فيها بالتفصيل عبث اسرائيل بالممتلكات الثقافية والحضارية فى الاراضى العربية المحتلة .

سوريا : قال وزير الخارجية السورى أمام الامم المتحدة ان طرد العرب من أراضيهم جريمة رهيبة وقال ان اسرائيل أهملت ٥٤ قرارا للامم المتحدة الامر الذى يجعلنا نطالب بطردها من المنظمة الدولية طبقا للمادة السادسة من ميثاق المنظمة .

لبنان : صرح لقمان هارون الزعيم الفيليبينى المسلم فى بيروت أن دولا عربية وعدت بتقديم المساعدات لمسلمى الفيليبين ، وقال ان اسرائيل تمد الفيليبين بالخبراء والمساعدات وان اليهود فى الفيليبين عدة آلاف يمثلهم وزير فى الحكومة بينما لا يمثل أربعة ملايين مسلم أى وزير .

ليبيا : ندد المؤتمر السادس للآثار العربية بجرائم اسرائيل .

تونس : قررت جمعية الجامعات الاسلامية فى تونس تقوية التعليم الاسلامى وتعصيره بالنسبة لسائر الكليات الاسلامية .

الجزائر : حلت اللغة العربية محل اللغة الفرنسية فى جميع المحاكم الجزائرية وسوف تكون هناك فقط ترجمة بالفرنسية للغة العربية .

السودان : أعلن الرئيس جعفر نميرى فى مهرجان شعبى كبير أن السودان عازم على الاشتراك فى تحرير الارض العربية واسترداد حقوق شعب فلسطين .

كينيا : قررت جمعية الدعوة الاسلامية فى كينيا مواصلة الجهود ونشر الدعوة فى كل مكان ومواجهة الحركات التبشيرية .

● القى الرئيس جومو كينياتا خطابا أكد فيه حقوق المسلمين فى وطنهم وأقر عيد الفطر والاعياد الاسلامية أعيادا وطنية لكينيا .

باكستان : حذرت الباكستان من نشوب حرب عالمية من جراء مشكلة اللاجئين وتدخل بعض الدول .

● تقوم بعثة من الجماعة الاسلامية فى باكستان بجولة فى بعض دول العالم لشرح حقائق الموقف فى باكستان .

أفغانستان : دعت الامم المتحدة دول العالم لمساعدة أفغانستان نظرا للقحط الذى تعرضت له خلال العامين الماضيين .

الفيليبين : تستمر المذابح ضد المسلمين فى الفيليبين وقد نشط زعماء المسلمين هناك لشن حملات توعية المسلمين فى العالم بما يلاقيه اخوانهم فى الفيليبين .

ماليزيا : دعا الدكتور تون اسماعيل رئيس الوزراء بالوكالة المرشدين ورجال الدعوة الاسلامية الى عرض الاسلام للشعب الماليزى بطريقة صحيحة .

● سيقوم المجلس الاسلامى الاعلى بانشاء معهد لتدريب الدعاة وغيرهم من العاملين فى حقل التربية الدينية .

جمهورية أوزبكستان السوفيتية : عثر فريق من المستشرقين الروس على مخطوطة نادرة تتناول بالتحليل والنقد العلمى التاريخ الاموى والعباسى .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جـدة : مكتبة مكة — السيد عوض با عامر — ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين

عـدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابوذا .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت